اللآلئ البهيَّة

على

المنظومة الحائيَّة

للإمام أبي بكر بن الإمام أبي داود السجستاني رَحِمَهُ اللَّهُ

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤٦هـ ٢٠٢٤م

اليمن – صنعاء – ذهبان
خلف مستشفى الهلال
جوال/ ٠٠٩٦٧٧٧٣٨٨٨٤٣٨
البريد الالكتروني:
Alhijaji10@gmail.com

الموقع الرسمي
/http://aleimad.com
التلجرام: https://t.me/aaalemad
تـ واتساب: ٠٠٩٦٧٧٧٧٣٣٥٥٢٥

اللآلئ البهية

على

المنظومة الحائية

للإمام أبي بكر بن أبي داود السجستاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

تأليف:

أبي أنس عبد الخالق بن محمد العماد

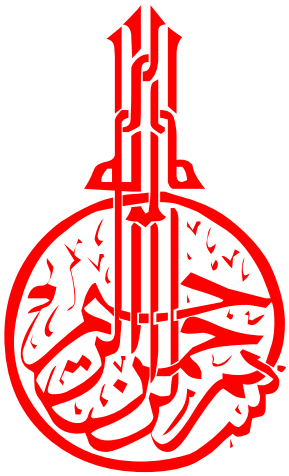

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدّمة

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فإن المنظومة الحائية، قليلة المبنى كثيرة المعنى، عظيمة النفع، ولعلو رتبتها وشرف مكانتها، كَثُرَت شروحُها، والعناية بها.

وهذه تعليقات مختصرة عليها، رجاء أن تكون نافعة لمبتغيها، ميسرة لحفظها، ومسهلة لفهمها.

أسميتها: (اللآلئ البهية على المنظومة الحائية).

أسأل الله عز وجل أن يجعل هذا الشرح مباركا، ولوجهه خالصا، إن ربي لسميع الدعاء.

كتبه: أبو أنس عبد الخالق بن محمد بن سنان العماد

٣٠ ربيع الأول، لعام ١٤٤٦هـ.

دار الحديث بمسجد الفرقان. قشن. المهرة. اليمن.

ترجمة مختصرة للناظم رحمه الله تعالى

اسمه: هو الإمام الحافظ شيخ بغداد، عبد الله بن الإمام أبي داود سليمان بن الأشعث، أبو بكر السجستاني صاحب التصانيف رَحِمَهُ ٱللَّهُ. ولد بسجستان، في سنة ثلاثين ومائتين، وسافر به أبوه وهو صبي.

قال الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عبد الله بن أبي داود رحل به أبوه من سجستان، يطوف به شرقا وغربا بخراسان والجبال وأصبهان وفارس والبصرة وبغداد والكوفة ومكة والمدينة والشام ومصر والجزيرة والثغور، يسمع ويكتب. واستوطن بغداد، وصنف (المسند)، و(السنن) و(التفسير)، و(القراءات)، و(الناسخ والمنسوخ) وغير ذلك. وكان فقيها، عالما، حافظا. **وقال الحافظ الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وكان من بحور العلم، بحيث إن بعضهم فضله على أبيه .... حدث عنه خلق كثير، منهم: ابن حبان، وأبو أحمد الحاكم، وأبو الحسن الدارقطني، ... وأبو مسلم محمد بن أحمد الكاتب، وآخرون.

رتبته العلمية، وثناء العلماء عليه:

قال الحافظ أبو بكر بن أبي داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ: دخلت الكوفة ومعي درهم واحد، فأخذت به ثلاثين مد باقلا (الفول) ، فكنت آكل منه، وأكتب عن أبي سعيد الأشج، فما فرغ الباقلا حتى كتبت عنه ثلاثين ألف حديث، ما بين مقطوع ومرسل. **قال الحاكم أبو عبد الله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سمعت أبا علي الحافظ، سمعت ابن أبي داود، يقول: حدثت من حفظي بأصبهان بستة وثلاثين ألفا، ألزموني الوهم فيها في

سبعة أحاديث، فلما انصرفت، وجدت في كتابي خمسة منها على ما كنت حدثتهم به.

وقال الحافظ أبو محمد الخلال رَحِمَهُ اللَّهُ: كان ابن أبي داود إمام أهل العراق، ومن نصب له السلطان المنبر، وقد كان في وقته بالعراق مشايخ أسند منه، ولم يبلغوا في الآلة والإتقان ما بلغ هو. وقال محمد بن عبد الله بن الشخير: كان ابن أبي داود زاهدا ناسكا، صلى عليه يوم مات نحو من ثلاث مائة ألف إنسان، وأكثر. **قال الحافظ الذهبي** رَحِمَهُ اللَّهُ: والرجل من كبار علماء الإسلام، ومن أوثق الحفاظ رحمه الله تعالى. وذكر قصيدته هذه الحائية.

وفاته: مات في ذي الحجة، سنة ست عشرة وثلاث مائة، وخلف ثلاثة بنين: عبد الأعلى، ومحمدا، وأبا معمر عبيد الله، وخمس بنات، وعاش سبعا وثمانين سنة، وصلي عليه ثمانين مرة.

تنبيه: ما ذكر من أن أباه كذبه، فغير صحيح، شكك في ذلك الحافظ الذهبي، وفند العلامة عبد الرحمن المعلمي هذه التهمة في التنكيل، وقال: فقد أطبق أهل العلم على السماع من ابن أبي داود وتوثيقه والاحتجاج به ولم يبق معنى للطعن فيه.[(١)]

(١) تذكرة الحفاظ (٢/ ٧٦٩ - ٧٧٠) وتاريخ بغداد: (٩/ ٤٦٤) وسير أعلام النبلاء ط الرسالة (١٣/ ٢٢١ـ٢٣١) والتنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل (١/ ٤٥٤).

نسبة المنظومة إلى الإمام أبي بكر بن أبي داود

ذكر الحافظ الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ هذه المنظومة في السير كما تقدم في الترجمة.

ورواها في كتابه العلو للعلي الغفار(ص: ٢١٢)، ثم قال عقبها: هَذِه القصيدة متواترة عَن ناظمها رَوَاهَا الْآجُرِيّ وصنف لَهَا شرحا وَأَبُو عبد الله ابْن بطة فِي الْإِبَانَة قَالَ ابْن أبي دَاوُد هَذَا قَول أبي وَقَول شُيُوخنَا وَقَول الْعلمَاء مِمَّن لم نرهم كَمَا بلغنَا عَنْهُم فَمن قَالَ غير ذَلِك فقد كذب.اهـ. وممن ذكر المنظومة الإمام ابن القيم في نونيته حيث قال:

وكذا الإمام ابن الإمام المرتضى ... حقا أبي داود ذي العرفان

تصنيفــه نظــما ونثرا واضــح ... في السنة المثلى هما نجــمان

وتمت مراجعة المنظومة على ثلاث نسخ خطية.

الأولى: في طبقات الحنابلة، لأبي الحسين بن أبي يعلى، المتوفى سنة (٥٢٦هـ).

والثانية: من كتاب الشريعة للإمام أبي القاسم محمد بن الحسين الآجري المتوفى (٣٦٠هـ.) وذكر أنه أملاها عليهم في مسجد الرصافة، سنة ٩٠٣هـ.

الثالثة: عن ابن شاهين، وهي مسندة في كتاب العلو للذهبي المتوفى (٧٤٨هـ.).

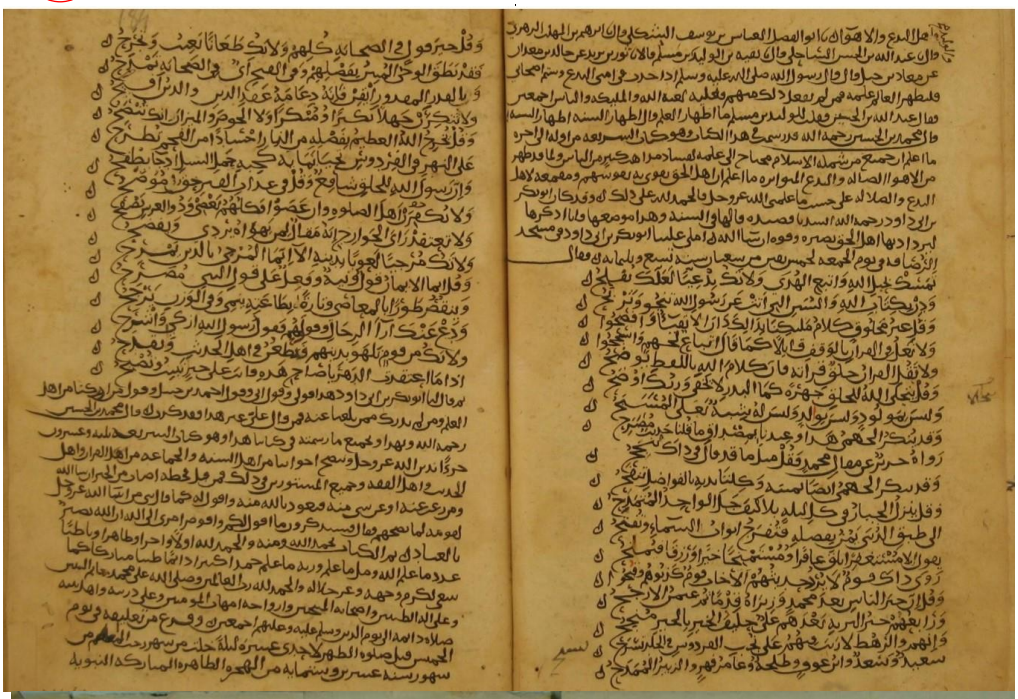

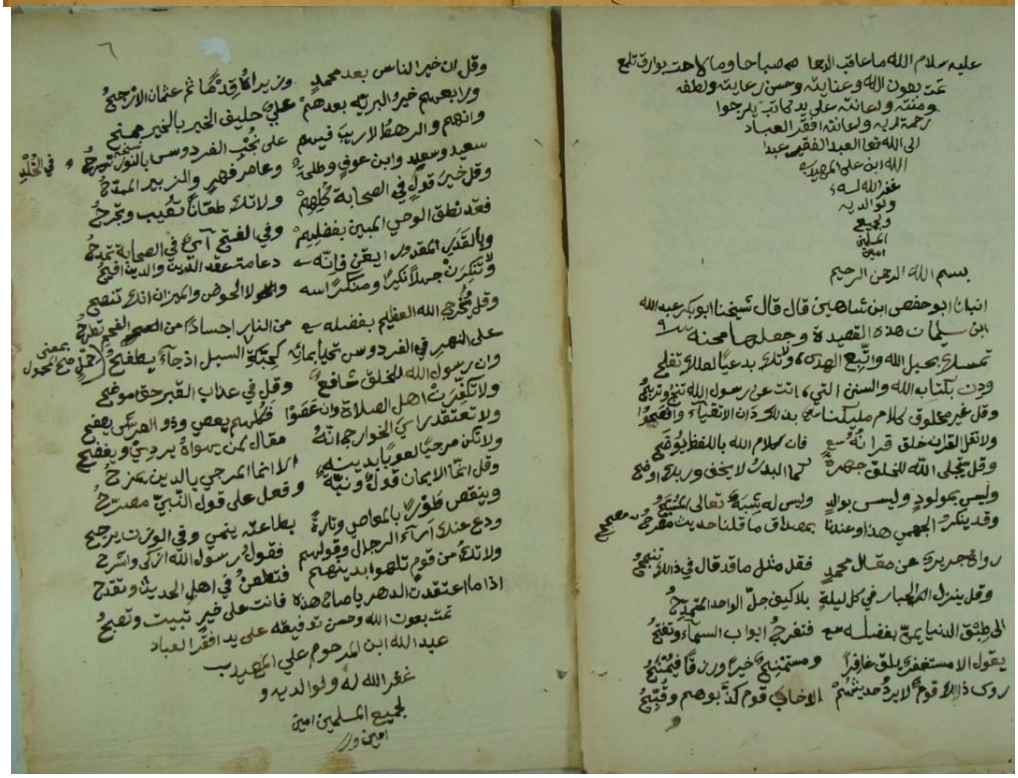

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المنظومة الحائية

١- تَمسَّكْ بحَبْلِ اللهِ واتَّبِع الهُدَى ... ولا تَكُ بِدْعِيًّا لَعلَّكَ تُفْلِحُ

٢- وَدِنْ بِكِتَابِ اللهِ والسُّنَنِ التِي ... أَتَتْ عَن رَسُولِ اللهِ تَنْجُو وَتَرْبَحُ

٣- وَقُلْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلامُ مَليكِنا ... بِذَلكَ دَانَ الأَتْقِياءُ وأَفْصحُوا

٤- وَلا تَكُ فِي القُرْآنِ بالوَقْفِ قَائِلًا ... كَمَا قَالَ أَتْبَاعٌ لِجَهْمٍ وَأَسْجَحُوا

٥- ولا تَقُلِ القُرآنُ خَلْقٌ قَرَأْتُهُ ... فإنَّ كَلامَ اللهِ باللفْظِ يُوضَحُ

٦- وَقُلْ يَتَجلَّى اللهُ للخَلْقِ جَهْرةً ... كَمَا البدْرُ لا يَخْفى وَرَبُّكَ أَوْضَحُ

٧- وَلَيْسَ بمَوْلُودٍ وليسَ بِوَالِدٍ ... وَلَيسَ لَهُ شِبْهٌ تَعَالَى المسَبَّحُ

٨- وَقَدْ يُنكِرُ الجَهْميُّ هَذَا وعِندَنَا ... بِمِصْدَاقِ ما قُلْنَا حَدِيثٌ مُصَرَّحُ

٩- رَوَاهُ جَرِيرٌ عن مَقَالِ مُحمَّدٍ ... فقُلْ مِثْلَ ما قَدْ قَالَ في ذَاكَ تَنْجَحُ

١٠- وَقَدْ يُنكِرُ الجَهْمِيُّ أَيضًا ... وَكِلْتَا يَدَيْهِ بالفواضِلِ تَنْفَحُ

١١- وَقُلْ يَنْزِلُ الجَبَّارُ في كُلِّ ... بِلا كَيْف جَلَّ الواحدُ المتَمَدَّحُ

١٢- إلى طَبَقِ الدُّنيا يَمُنُّ بِفَضْلِهِ ... فَتُفْرَجُ أَبْوابُ السَّماءِ وتُفْتَحُ

١٣- يَقولُ: ألا مُسْتغفِرٌ يَلْقَ ... ومُسْتَمنِحٌ خَيْرًا ورِزقًا فيُمْنَحُ

١٤- رَوَى ذَاكَ قَومٌ لا يُرَدُّ ... ألا خَابَ قَوْمٌ كذَّبوهُم وقُبِّحُوا

١٥- وَقُلْ إنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ ... وَزِيراهُ قِدْمًا، ثُمَّ عُثْمَانُ الاَرْجَحُ

١٦- وَرابِعُهُم خَيْرُ البريَّةِ ... عَلِيٌّ حَليفُ الخَيرِ، بالخَيرِ مُنْجِحُ

١٧- وإنَّهُمُ والرَّهْطُ لا رَيْبَ فِيْهِـــمُ ... عَلَى نُجُبِ الفِرْدَوْسِ فِي الخُلْدِ تَسْـرَحُ

١٨- سَـعِيدٌ وسَـعْدٌ وابـنُ عَـوْفٍ ... وعَـامِرُ فِهْـرٍ والزُّبَيْـرُ المُمَـدَّحُ

١٩- وَقُلْ خَـيْرَ قـولٍ في الصَّـحَابةِ ... ولا تَـكُ طَعَّانـاً تَعِيْـبُ وَتَجْـرَحُ

٢٠- فَقَـدْ نَطَـقَ الـوَحْيُ المُبِـينُ ... وفي الفَـتْحِ آيٌ في الصَّـحابةِ تَمْـدَحُ

٢١- وبِالقَـدَرِ المقْـدُورِ أيْقِـنْ فإنَّـهُ ... دِعَامَـةُ عقْـدِ الـدِّينِ والـدِّينُ أفْيَـحُ

٢٢- وَلا تُنْكِرَنْ جَهلاً نَكِيرًا ومُنْكَرًا ... وَلا الْحَـوضَ والمِيـزانَ إنَّـكَ تُنْصَـحُ

٢٣- وقُـلْ يُخْـرِجُ اللهُ العَظيمُ بِفَضلِهِ ... مِن النارِ أجْسـادًا مِـن الفَحْـمِ تُطْـرَحُ

٢٤- عَـلَى النَّهـرِ في الفِـردوسِ تَحْيـا ... كَحَبَّـةِ حِمْـلِ السَّـيْلِ إذْ جَـاءَ يَطْفَـحُ

٢٥- فـإنَّ رَسُـولَ اللـهِ للخَلـقِ ... وقُلْ فِي عَذابِ القَـبرِ حـقٌّ مُوَضَّـحُ

٢٦- ولا تُكْفِـرَنْ أهْـلَ الصَّـلاةِ وإنْ ... فكلُّهُمُ يَعْصِـي وذُو العَـرشِ يَصْـفَحُ

٢٧- ولا تَعتقِـدْ رَأيَ الخَـوارجِ ... مَقَـالٌ لِمَـنْ يهـواهُ يُـرْدِي ويَفْضَـحُ

٢٨- ولا تَـكُ مُرْجِيـًّا لَعُـوبًا ... ألا إنَّـمَا المُـرْجيُّ بالـدِّينِ يَمْـزَحُ

٢٩- وقُـلْ إنَّمـا الإيمـانُ قَـوْلٌ ... وفِعْـلٌ عَـلَى قَـولِ النبـيِّ مُصَـرَّحُ

٣٠- ويَـنْقُصُ طَـوْرًا بالمعَاصـي ... بطَاعَتِـهِ يَنْمِـي وفي الـوَزنِ يَرْجَـحُ

٣١- وَدَعْ عنكَ آراءَ الرِّجالِ وَقولَهم ... فَقَـولُ رَسُـولِ اللهِ أَزْكَـى وَأَشْـرَحُ

٣٢- وَلا تَـكُ مِـن قَـوْمٍ تَلَهَّـوْ ... فَتَطْعَـنَ في أَهَـلِ الحَـدِيثِ وتَقْـدَحُ

٣٣- إذا مَا اعتقـدْتَ الدَّهْرَ يا صَاحِ ... فَأَنْـتَ عَلـى خَـيْرٍ تَبِيـتُ وتُصْـبِحُ

***

وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة

١. تَمَسَّكْ بحَبْلِ اللهِ واتَّبِع الهُدَى ..... ولا تَكُ بِدْعِيًّا لَعَلَّكَ تُفْلِحُ

٢. وَدِنْ بِكِتَابِ اللهِ والسُّنَنِ التِي .....أَتَتْ عَن رَسُولِ اللهِ تَنْجُو وَتَرْبَحُ

شرع الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ منظومته بوصيةٍ عظيمةٍ، وهي التمسك بالكتاب والسنة.

قوله: (**تَمَسَّكْ**) أي: اعْتَصِم، قال ابن منظور: تَمَسَّكتُ بِهِ واسْتَمْسَكت بِهِ وامْتَسَكْتُ كُلُّه بِمَعْنَى اعْتَصَمْتُ.

وقوله: (**بحَبْلِ اللهِ**) الحبل في الأصل: ما يتوصل به إلي غيره، كالسبب؛ ولهذا فسر قوله تعالى: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ﴾[الحج: ١٥] أي: بحبل.

وحبل الله هو القرآن، ووصف بأنه حبل الله لأنه موصل إلى الله عز وجل، وقد أمر الله بالاستمساك بحبله، وحث رسول الله ﷺ على ذلك. ومن أدلة ذلك:

١. قول الله تعالى: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾ [الزُّخرُف:٤٣]

٢. حديث زيد بن أرقم، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**أَلَا وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَحَدُهُمَا كِتَابُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، هُوَ حَبْلُ اللهِ، مَنِ اتَّبَعَهُ كَانَ عَلَى الْهُدَى، وَمَنْ تَرَكَهُ كَانَ عَلَى ضَلَالَةٍ**» وفي رواية: «**وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ**». رواه مسلم (٢٤٠٨).

٢. حديث أَبي شُرَيح الخُزَاعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «**أَبْشِرُوا وَبشِّرُوا، أَلَيسَ تَشْهَدُونَ أَن لَا إِلَه إِلّا الله، وأَنّي رَسُولُ الله؟!**»، قالوا: نعم، قال: «**فَإِنَّ هذَا القُرآن سَبَبٌ، طرفه بيد الله، وطرفه بأيديكم، فتمسكوا به؛ فإِنّكم لن**

تضلّوا، ولن تهلَكوا بعده أبدًا» رواه ابن أبي شيبة بإسناد حسن، وهو في الصحيحة للعلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ، برقم: (٧١٣) والصحيح المسند لشيخنا العلامة الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ برقم: (١٢٣١). **وقيل المراد بحبل الله**: عهده، وقيل دين الإسلام، ولا تنافي بينها، كما ذكر شيخ الإسلام.

والاعتصام بكتاب الله، أمان من الضلال، وأمان من الفرقة والاختلاف، وهي وصية الله تعالى لعباده، ووصية رسول الله ﷺ لأمته:

قال الله سبحانه: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران:١٠٣]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ»** رواه مسلم (١٧١٥). وفي رواية لأحمد (٨٧٩٩) بإسناد صحيح: **«وَأَنْ تُنَاصِحُوا مَنْ وَلَّاهُ اللهُ أَمْرَكُمْ»**.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: الِاعْتِصَام نَوْعَانِ: اعْتِصَامٌ بِالله، وَاعْتِصَامٌ بِحَبْلِ الله، قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾[آل عمران:١٠٣]

وَقَالَ: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ [الحج:٧٨]

وَالِاعْتِصَامُ افْتِعَالٌ مِنَ الْعِصْمَةِ، وَهُوَ التَّمَسُّكُ بِمَا يَعْصِمُكَ، وَيَمْنَعُكَ مِنَ الْمَحْذُورِ وَالْمَخُوفِ، فَالْعِصْمَةُ: الْحِمْيَةُ، وَالِاعْتِصَامُ: الِاحْتِمَاءُ، وَمِنْهُ سُمِّيَتِ الْقِلَاعُ: الْعَوَاصِمَ، لِمَنْعِهَا وَحِمَايَتِهَا. وَمَدَارُ السَّعَادَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْأُخْرَوِيَّةِ عَلَى الِاعْتِصَامِ بِالله، وَالِاعْتِصَامِ بِحَبْلِهِ، وَلَا نَجَاةَ إِلَّا لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهَاتَيْنِ الْعِصْمَتَيْنِ، فَأَمَّا الِاعْتِصَامُ بِحَبْلِهِ

فَإِنَّهُ يَعْصِمُ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَالِاعْتِصَامُ بِهِ يَعْصِمُ مِنَ الْهَلَكَةِ.اهـ. (١)

قوله: (واتَّبع الْهُدَى) الاتباع: الاقتفاء، والامتثال للأمر، والهدى: الرشاد، والبيان، قال الله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [البقرة:٣٨]

(فمن تبع هداي) أي: آمن برسلي وكتبي، واهتدى بهم، وذلك بتصديق جميع أخبار الرسل والكتب، والامتثال للأمر والاجتناب للنهي.

﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:٣٨]

وفي الآية الأخرى: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه:١٢٣]

فرتب على اتباع الهدى أربعة أشياء:

الأول: نفي الخوف. **والثاني:** نفي الحزن.

وإذا انتفيا، حصل ضدهما، وهو الأمن التام والسرور.

الثالث: نفي الضلال. **والرابع:** نفي الشقاء عمن اتبع هداه.

وإذا انتفيا ثبت ضدهما، وهو الهدى والسعادة. (٢)

واتباع الهدى شرط لصحة العبادة:

فالعبادة مبناها على أصلين، لا تصح إلا بهما:

الأول: الإخلاص لله تعالى. قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البيِّنة:٥]

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا**

(١) مدارج السالكين (١/ ٤٥٧)

(٢) تفسير السعدي (ص: ٥٠).

لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى» رواه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧).

الثاني: المتابعة لرسول الله ﷺ. فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» رواه البخاري (٢٦٩٧) ومسلم (١٧١٨).

وفي رواية لمسلم: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**».

قال **شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله: **الْعِبَادَاتُ مَبْنَاهَا عَلَى الشَّرْعِ وَالِاتِّبَاعِ لَا عَلَى الْهَوَى وَالِابْتِدَاعِ**، فَإِنَّ الْإِسْلَامَ مَبْنِيٌّ عَلَى أَصْلَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنْ نَعْبُدَ الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

وَالثَّانِي: أَنْ نَعْبُدَهُ بِمَا شَرَعَهُ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ لَا نَعْبُدُهُ بِالْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ.

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [الجاثية:١٩] الْآيَةَ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾[الشورى:٢١].اهـ. (١)

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله: الْعَمَلُ بِغَيْرِ إخلاص وَلَا اقْتِدَاء؛ كالمسافر يمْلَأ جرابه رَمْلًا، يُثقِلُه وَلَا يَنْفَعهُ.اهـ. (٢)

والمتابعة لا تتحقق إلا إذا كان العمل موافقا للشريعة في أمور ستة:

١. السبب.. ٢. الجنس.. ٣. القدر.. ٤. الكيفية.. ٥. الزمان.. ٦. المكان. (٣)

---

(١) مجموع الفتاوى (١/ ٨٠)

(٢) الفوائد (ص: ٤٩)

(٣) أفاده العلامة العثيمين رحمه الله في مجموع فتاواه (٥/ ٢٥٣)، وذكر مثالا لكل فقرة.

فائدة في الفرق بين الاتباع والتقليد:

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: فَرَّقَ أحمد بين التقليد والاتباع فقال أبو داود: سمعته يقول: الاتباع أن يتبع الرجل ما جاء عن النبي ﷺ وعن أصحابه، ثم هو من بعد في التابعين مخير... **وقال أبو عبد الله بن خويز منداد البصري المالكي:** التقليد معناه في الشرع الرجوع إلى قول لا حجة لقائله عليه، وذلك ممنوع منه في الشريعة، والاتباع: ما ثبت عليه حجة. اهـ. (١)

ونَقَلَ عن الإمام أحمد قوله: لا تقلدني ولا تقلد مالكا ولا الثوري ولا الأوزاعي، وخذ من حيث أخذوا. **وقال:** من قلة فقه الرجل أن يقلد دينه الرجال.

قوله: (**ولا تَكُ بِدْعِيًّا**) تك فعل مضارع أصلها (تكون) ودخلت عليها (لا) الناهية فسكنت النون فالتقى ساكنان فحذفت (الواو) لالتقاء الساكنين ثم حذفت (النون) تخفيفًا جائزًا، وتعيَّن حذفها هنا للنظم.

قوله: (**بِدْعِيًّا**): **البدعي: نسبة إلى البدعة، والبدعة،** لغة: الشيء المستحدث، وقيل: ما أحدث على غير مثال سابق. **واصطلاحًا:** ما أُحْدِثَ في الدين على خلاف ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه من عقيدة أو عمل.

والبدعة حرام ومن كبائر الذنوب؛ لأنها مشاقة للرسول ﷺ، ومن أدلة ذلك:

١. قوله تعالى: ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥**﴾ [النساء: ١١٥].

٢. حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ كان يقول: «**فَإِنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ الله، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**» رواه مسلم

(١) إعلام الموقعين (٢/ ١٣٧ - ١٣٩)

(٨٦٧).

٣. حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**» رواه أبو داود (٤٦٠٧) غيره، وهو في الصحيح المسند (٩٢١).

قال شيخ الإسلام رحمه الله: فَمَنْ اتَّخَذَ عَمَلًا مِنْ الْأَعْمَالِ عِبَادَةً وَدِينًا وَلَيْسَ ذَلِكَ فِي الشَّرِيعَةِ وَاجِبًا وَلَا مُسْتَحَبًّا فَهُوَ ضَالٌّ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ.اهـ.(١)

وفي هذه الأدلة ردٌّ على من قسم البدعة إلى حسنة وسيئة، فالأدلة تدل بمنطوقها على بطلان هذا القول، وأن كل بدعة في الدين فهي ضلالة.

قال العلامة ابن باز رحمه الله: فالبدع كلها ضلالة، وإن سمى بعض الناس بعض البدع بدعة حسنة، فهو قول اجتهادي لا دليل عليه، ولا يجوز أن يعارض قول الرسول ﷺ، بقول أحد من الناس، فالرسول ﷺ، حكم على البدع بأنها ضلالة، فليس لنا أن نستثني شيئا من هذا الأمر إلا بدليل شرعي، لأن هذه جملة عامة محكمة: «**كل بدعة ضلالة**» وهكذا الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج، وبليلة النصف من شعبان، والاحتفال بالهجرة النبوية، أو بفتح مكة أو بيوم بدر، كل ذلك من البدع؛ لأن هذه الأمور موجودة على عهد النبي ﷺ، ولم يحتفل بها، ولو كانت قربة إلى الله لاحتفل بها عليه الصلاة والسلام، أو أمر بها الصحابة.اهـ.(٢)

ومن أمثلة هذه المحدثات: ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث قال: وأما اتخاذ موسم غير المواسم الشرعية كبعض ليالي شهر ربيع الأول التي يقال: إنها

(١) مجموع الفتاوى (٢٧ / ١٥٢)

(٢) فتاوى نور على الدرب (٣/ ١٠٠)

ليلة المولد أو بعض ليالي رجب أو ثامن عشر ذي الحجة أو أول جمعة من رجب أو ثامن شوال الذي يسميه الجهال عيد الأبرار فإنها من البدع التي لم يستحبها السلف ولم يفعلوها والله سبحانه وتعالى أعلم.اهـ. (١)

ولا يشترط في الوقوع في البدعة ترك جميع السنة:

فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول: لَسْتُ تَارِكًا شَيْئًا كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَعْمَلُ بِهِ، إِلَّا عَمِلْتُ بِهِ، إِنِّي أَخْشَى إِنْ تَرَكْتُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِ أَنْ أَزِيغَ. رواه البخاري (٣٠٩٣) ومسلم (١٧٥٩) عن عائشة رضي الله عنها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: كان السلف يعدون كل من خرج عن الشريعة في شيء من الدين من أهل الأهواء.اهـ. (٢)

وقال أيضا: فالبدع تكون في أولها شبرا ثم تكثر في الاتباع حتى تصير أذرعا وأميالا وفراسخ.اهـ. (٣)

وقال الإمام الشوكاني رحمه الله: فإن أهل البدع لم ينكروا جميع السنة، ولا عادوا كتبها الموضوعة لجمعها، بل حق عليهم اسم البدعة عند سائر المسلمين بمخالفة بعض مسائل الشرع.اهـ. (٤)

وذكر العلامة العثيمين قاعدة في البدعة.

ففي فتاوى نور على الدرب سئل رحمه الله، **قال السائل:** ما هي البدعة؟ وهل لها أقسام؟ وكيف أعرف أن هذا العمل مُبتدَع؟ جزاكم الله خيراً.

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٥/ ٢٩٨)

(٢) الاستقامة(ص:١٩٢)

(٣) مجموع الفتاوى (٨/ ٤٢٥)

(٤) أدب الطلب (ص:١٢٤)

فأجاب رحمه الله تعالى: البدعة في اللغة: كل شيء يأتي به الإنسان لم يسبقه إليه أحد. هذه البدعة، هذا في اللغة، سواءٌ كان في العادات أو في المعاملات أو في العبادات. **ولكن البدعة الشرعية المذمومة** هي البدعة في العبادات، بأن يتعبد الإنسان لله عز وجل بما لم يشرعه، سواءٌ كانت هذه العبادة تتعلق بالعقيدة أو تتعلق بقول اللسان أو تتعلق بأفعال الجوارح.

فالبدعة شرعًا: هي التعبد لله بما لم يشرعه. هذه البدعة شرعا.

وبناءً على ذلك فنقول: إذا كان الشيء يفعل لا على سبيل التعبد، وإنما هو من العادات، ولم يرد نهيٌ عنه فالأصل فيه الإباحة، وأما ما قصد الإنسان به التعبد والتقرب إلى الله فإن هذا لا يجوز إلا إذا ثبت أنه مشروع، هذه هي القاعدة في البدعة.

وأما تقسيم بعض العلماء رحمهم الله البدعة إلى أقسام، فإن هذا التقسيم لا يرد على البدعة الشرعية؛ لأن البدعة الشرعية ليس فيها تقسيم إطلاقاً، بل هي قسمٌ واحد حدده رسول الله ﷺ حيث قال: **(كل بدعةٍ ضلالة)** . وجميع من يعرف اللغة العربية وأساليبها يعلم أن هذه الجملة جملةٌ عامة شاملة لا يستثنى منها شيء، كل بدعةٍ ضلالة، والقائل هو رسول الله ﷺ، وهذه من قواعد الشريعة.اهـ.

ومن أعظم أسباب الوقوع في البدع:

مجالسة أهل البدع، وقراءة كتبهم والسماع لمحاضراتهم وخطبهم.

وقد حذرنا النبي ﷺ من أهل البدع، فعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: تَلَا رَسُولُ الله ﷺ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا

ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٧﴾ [آل عمران:٧] قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ**» رواه البخاري (٤٥٤٧) ومسلم (٢٦٦٥).

فقوله: « **فاحذروهم**» نص صريح في التحذير من أهل البدع.

وأخبر النبيُّ ﷺ أن إيواءَ المبتدع والدفاعَ عنه والرضا به، من أسباب اللعنة، نعوذ بالله من موجبات سخطه. فعن علي رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا**»، رواه مسلم (١٩٧٨).

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: **لَا تُجَالِسْ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ، فَإِنَّ مُجَالَسَتَهُمْ مَمْرَضَةٌ لِلْقُلُوبِ**. أخرجه الآجري في الشريعة(١٣٣) بإسناد حسن.

وعن أبي قلابة عبد الله بن زيد الجرمي رحمه الله قال: **لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم أو يلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون.** رواه الآجري في الشريعة (١١٤) بإسناد صحيح.

وقَالَ الْفُضَيْلُ بن عياض رحمه الله: صَاحِبُ البِدْعَةِ لَا تَأْمَنْهُ عَلَى دِينِكَ، وَلَا تُشَاوِرْهُ فِي أَمْرِكَ ، وَلَا تَجْلِسْ إِلَيْهِ ، وَمَنْ جَلَسَ إِلَى صَاحِبِ بِدْعَةٍ ، أَوْرَثَهُ الله الْعَمَى. يَعْنِي فِي قَلْبِهِ .اهـ.[١] **وَقَالَ أيضا**: من عَظَّم صاحب بدعة فقد أعان عَلَى هدم الإسلام، ومن تبسم فِي وجه مبتدع فقد استخف بما أنزل اللهُ عز وجل عَلَى مُحَمَّد ﷺ، ومن زوج كريمته من مبتدع فقد قطع رحمها، ومن تبع جنازة مبتدع لم يزل فِي سخط اللهِ حتى يرجع.اهـ.[٢]

---

(١) الإبانة الكبرى لابن بطة (٢/ ٤٥٩)

(٢) طبقات الحنابلة (٢/ ٤٣)

قوله: (**لَعلَّكَ تُفْلِحُ**) **الفلاح:** هو الفوز والنجاة والبقاء في الخير. فمن اعتصم بالكتاب والسنة، واجتنب البدع فاز بالمطلوب ونجا من المرهوب بإذن الله، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف:١٥٧]

وقال عز وجل: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ [النور:٥١]

وعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّةٌ، وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ، فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى سُنَّتِي، فَقَدْ أَفْلَحَ، وَمَنْ كَانَتْ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَقَدْ هَلَكَ**». رواه أحمد (٦٩٥٨) بإسناد صحيح على شرط الشيخين. وهو في الصحيح المسند برقم: (٨٠٢)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الترغيب.

وقوله: (**لعلك**) لم يجزم بحصول الفلاح لأن العقيدة الصحيحة، أن لا نجزم لأحد بالفلاح إلا من شهد له الدليل بذلك، بل نرجو للمحسن ونخاف على المسيء؛ ولئلا يغتر الإنسان بعمله. فذكر الناظم رحمه الله في هذا البيت ثلاثةً من أسباب الفلاح: **الأول:** التمسك بكتاب الله تعالى.

الثاني: اتباع الهدى. **الثالث:** اجتناب البدع.[1]

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٤٠) ولسان العرب (١٠/ ٤٨٨) ومختار الصحاح (ص: ٢٩٤) والقاموس المحيط (ص: ٢٣٤) وغريب القرآن لابن الهائم (ص: ١٢٧) وتفسير السعدي (ص: ٥٠) وشرح مقدمة التفسير لابن تيمية للعلامة العثيمين (ص: ١١) وتفسيره للفاتحة والبقرة (١/ ١٣٨) وتعليقه المختصر على لمعة الاعتقاد (ص: ٤٠) وشرح رياض الصالحين (٢/ ٣٢٨ـ٣٣٣) وشرح الفوزان على المنظومة (ص:١٧).

وجوب الانقياد للكتاب والسنة

٢. وَدِنْ بِكِتَابِ اللهِ والسُّـنَـنِ الَّتِـي .....أَتَتْ عَن رَسُولِ اللهِ تَنْجُو وَتَرْبَحُ

قوله: (وَدِنْ بِكِتَابِ اللهِ) دَانَ لَهُ يَدِينُ دِينًا، أي: انْقَادَ وَأَطَاعَ.

ودِنْ: أَمْرٌ بالطاعة والانقياد والتعبد لله تعالى بكتابه، وهو القرآن، والله أمر عباده باتباع كتابه عقيدةً وقولًا وعملًا. قال الله تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأنعام:١٥٥]

وقال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأعراف:٣]

فَفَرَضَ اتِّبَاعَ مَا أَنْزَلَهُ مِنْ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ وَحَظَرَ اتِّبَاعَ أَحَدٍ مِنْ دُونِهِ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ﴾ [العنكبوت:٥١]فَزَجَرَ مَنْ لَمْ يَكْتَفِ بِالْكِتَابِ الْمُنَزَّلِ. (١)

قوله: (والسُّـنَـنِ التِـي أَتَتْ عَن رَسُولِ اللهِ) السنة، لغة: الطريقة، ومنه: قول النبي ﷺ: «لَتَتْبَعُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»(٢) يعني: طريقتهم.

واصطلاحا: السنة: هي ما أُثِرَ عن النبيِّ ﷺ من قول أوفعل أوتقرير. فتشمل الواجب والمستحب. (٣)

فيجب على المؤمن أن يتعبد لله وينقاد له بامتثال سنة النبي ﷺ، وهذا هو

---

(١) مجموع الفتاوى (١٩/ ٦٧).

(٢) رواه البخاري (٧٣٢٠) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٣) شرح العقيدة الواسطية للعثيمين (٢/ ٥)

برهان صدق محبة الله، قال الله سبحانه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران:٣١]

وقال سبحانه: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف:١٥٨]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: «**مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى**» رواه البخاري (٧٢٨٠)

قال شيخ الإسلام رحمه الله: لَا تَجِدُ أَحَدًا تَرَكَ بَعْضَ السُّنَّةِ الَّتِي يَجِبُ التَّصْدِيقُ بِهَا وَالْعَمَلُ إلَّا وَقَعَ فِي بِدْعَةٍ وَلَا تَجِدُ صَاحِبَ بِدْعَةٍ إلَّا تَرَكَ شَيْئًا مِنْ السُّنَّةِ.اهـ.(١)

حُجِّيَةُ السُّنَّةِ:

السنة وحي من الله، وقد أمر الله في القرآن باتباع الرسول ﷺ وتصديقه، ومن أدلة ذلك: ١. قول الله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ﴾ [النساء:٨٠]

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله: ثَبَتَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ أَنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَرَضَ عَلَى الخَلْقِ طَاعَتَهُ وَطَاعَةَ رَسُولِهِ ﷺ وَلَمْ يُوجِبْ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ طَاعَةَ أَحَدٍ بِعَيْنِهِ فِي كُلِّ مَا يَأْمُرُ بِهِ وَيَنْهَى عَنْهُ إلَّا رَسُولَ الله ﷺ حَتَّى كَانَ صِدِّيقُ الْأُمَّةِ وَأَفْضَلُهَا بَعْدَ نَبِيِّهَا يَقُولُ: أَطِيعُونِي مَا أَطَعْت الله، فَإِذَا عَصَيْت اللهَ فَلَا طَاعَةَ لِي

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ١٧٣)

عَلَيْكُمْ. وَاتَّفَقُوا كُلُّهُمْ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مَعْصُومًا فِي كُلِّ مَا يَأْمُرُ بِهِ وَيَنْهَى عَنْهُ إِلَّا رَسُولُ الله ﷺ وَلِهَذَا قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ الْأَئِمَّةِ: كُلُّ أَحَدٍ مِنْ النَّاسِ يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ وَيُتْرَكُ إِلَّا رَسُولَ الله ﷺ .اهـ. (١)

٢. قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [النساء:١١٣]

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالْكتاب هُوَ الْقُرْآن وَالْحِكْمَة هى السّنة باتفاق السّلف، وَمَا أخبر بِهِ الرَّسُول عَن الله فَهُوَ فِي وجوب تَصْدِيقه وَالْإِيمَان بِهِ كَمَا أخبر بِهِ الرب تَعَالَى على لِسَان رَسُوله هَذَا أصل مُتَّفق عَلَيْهِ بَين أهل الْإِسْلَام لَا يُنكره إِلَّا من لَيْسَ مِنْهُم.اهـ. (٢)

٣. **قوله سبحانه:** ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧] **قال العلامة السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير الآية: وهذا شامل لأصول الدين وفروعه، ظاهره وباطنه، وأن ما جاء به الرسول يتعين على العباد الأخذ به واتباعه، ولا تحل مخالفته، وأن نص الرسول على حكم الشيء كنص الله تعالى، لا رخصة لأحد ولا عذر له في تركه، ولا يجوز تقديم قول أحد على قوله.اهـ.

٤. **قوله سبحانه:** ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم:٤]

٥. حديث المقدام بن مَعْدي كَرِبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: «**ألا إني أوتيتُ الكتابَ ومثلَه معه، ألا يوشِكُ رَجُلٌ شَبعانُ على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وَجَدتُم فيه من حلالٍ فأَحِلُّوه، وما وجدتُم فيه من حَرَامٍ فحَرِّمُوه، ألا لا يَحِلُّ لَكُم لحمُ الحِمَارِ الأهليِّ، ولا كُل ذي نابٍ من السَّبُع، ولا لُقَطةُ مُعاهَدٍ إلا أنْ**

(١) مجموع الفتاوى (٢٠/ ٢١٠)

(٢) كتاب الروح (ص: ٧٥)

يستغنيَ عنها صاحِبُها، ومن نزلَ بقومٍ، فعليهم أن يَقْرُوه، فإنْ لم يَقرُوه فله أن يُعقِبَهم بمثل قِرَاه». رواه أبو داود (٤٦٠٤) بإسناد صحيح وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في الصحيحة (٢٨٧٠)، وشيخنا الوادعي في الجامع الصحيح في القدر.

قال العلامة الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ: اعْلَمْ أَنَّهُ قَدِ اتَّفَقَ مَنْ يُعْتَدُّ بِهِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ عَلَى أَنَّ السُّنَّةَ الْمُطَهَّرَةَ مُسْتَقِلَّةٌ بِتَشْرِيعِ الْأَحْكَامِ وَأَنَّهَا كَالْقُرْآنِ فِي تَحْلِيلِ الْحَلَالِ وَتَحْرِيمِ الْحَرَامِ، وَقَدْ ثَبَتَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**أَلَا وَإِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ**» أَيْ: أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَأُوتِيتُ مِثْلَهُ مِنَ السُّنَّةِ الَّتِي لَمْ يَنْطِقْ بِهَا الْقُرْآنُ، وَذَلِكَ كَتَحْرِيمِ لُحُومِ الْحُمُرِ الْأَهْلِيَّةِ وَتَحْرِيمِ كُلِّ ذِي نَابٍ مِنَ السِّبَاعِ وَمِخْلَبٍ مِنَ الطَّيْرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَا يَأْتِي عَلَيْهِ الْحَصْرُ. وَأَمَّا مَا يُرْوَى مِنْ طَرِيقِ ثَوْبَانَ فِي الْأَمْرِ بِعَرْضِ الْأَحَادِيثِ عَلَى القرآن فقال **يحيى بن معين**: إنه موضع وَضَعَتْهُ الزَّنَادِقَةُ.

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: مَا رَوَاهُ أَحَدٌ عَمَّنْ يَثْبُتُ حَدِيثُهُ فِي شَيْءٍ صَغِيرٍ وَلَا كَبِيرٍ.

وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي كِتَابِ جَامِعِ الْعِلْمِ: قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ: الزنادقة والخوارج وضعوا حَدِيثَ: «**مَا أَتَاكُمْ عَنِّي فَاعْرِضُوهُ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ فَإِنْ وَافَقَ كِتَابَ اللَّهِ فَأَنَا قُلْتُهُ وَإِنْ خَالَفَ فَلَمْ أَقُلْهُ**» وَقَدْ عَارَضَ حَدِيثُ الْعَرْضِ قَوْمٌ فَقَالُوا: عَرَضْنَا هَذَا الْحَدِيثَ الْمَوْضُوعَ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ فَخَالَفَهُ، لِأَنَّا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ الله: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧]وَوَجَدْنَا فِيهِ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[آل عمران:٣١]

وَوَجَدْنَا فِيهِ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[النساء:٨٠] اهـ.(١)

(١) إرشاد الفحول (١/ ٩٦-٩٧)

إقامة الدين لا يكون إلا بالقرآن والسنة جميعا:

فالسنة تبين القرآن، وتخصص إطلاقه، و، وفيها أحكام مستقلة:

قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل:٤٤]

قال الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: فَعَلَيْنَا أَنْ نَتَّبِعَ الْكِتَابَ وَعَلَيْنَا أَنْ نَتَّبِعَ الرَّسُولَ وَاتِّبَاعُ أَحَدِهِمَا هُوَ اتِّبَاعُ الْآخَرِ؛ فَإِنَّ الرَّسُولَ بَلَّغَ الْكِتَابَ وَالْكِتَابُ أَمَرَ بِطَاعَةِ الرَّسُولِ. وَلَا يَخْتَلِفُ الْكِتَابُ وَالرَّسُولُ أَلْبَتَّةَ كَمَا لَا يُخَالِفُ الْكِتَابُ بَعْضُهُ بَعْضًا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء:٨٢]

وَالْأَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ فِي وُجُوبِ اتِّبَاعِ الْكِتَابِ وَفِي وُجُوبِ اتِّبَاعِ سُنَّتِهِ ﷺ كَقَوْلِهِ: «**لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَأْتِيهِ الْأَمْرُ مِنْ أَمْرِي مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ فَيَقُولُ: بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ هَذَا الْقُرْآنُ فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَلَالٍ حَلَّلْنَاهُ وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَرَامٍ حَرَّمْنَاهُ أَلَا وَإِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ أَلَا وَإِنَّهُ مِثْلُ الْقُرْآنِ أَوْ أَعْظَمُ**» هَذَا الْحَدِيثُ فِي السُّنَنِ وَالْمَسَانِيدِ مَأْثُورٌ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ عِدَّةِ جِهَاتٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي ثَعْلَبَةَ وَأَبِي رَافِعٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَغَيْرِهِمْ. وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ [١٢١٨] عَنْهُ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ أَنَّهُ قَالَ فِي خُطْبَةِ الْوَدَاعِ: «**وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ: كِتَابَ اللَّهِ تَعَالَى**»

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى رضي الله عنهما **أَنَّهُ قِيلَ لَهُ: هَلْ أَوْصَى رَسُولُ اللهِ ﷺ ؟ قَالَ: لَا قِيلَ: فَكَيْفَ كَتَبَهُ عَلَى النَّاسِ الْوَصِيَّةَ؟ قَالَ: أَوْصَى بِكِتَابِ اللهِ.** (١)

وَسُنَّةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ تُفَسِّرُ الْقُرْآنَ كَمَا فَسَّرَتْ أَعْدَادَ الصَّلَوَاتِ وَقَدْرَ الْقِرَاءَةِ فِيهَا وَالْجَهْرَ وَالْمُخَافَتَةَ، وَكَمَا فَسَّرَتْ فَرَائِضَ الزَّكَاةِ وَنُصُبَهَا وَكَمَا فَسَّرَتْ الْمَنَاسِكَ

(١) رواه البخاري (٢٧٤٠)، ومسلم (١٦٣٤).

وَقَدْرَ الطَّوَافِ بِالْبَيْتِ وَالسَّعْيِ وَرَمْيِ الْجِمَارِ وَنَحْوِ ذَلِكَ. وَهَذِهِ السُّنَّةُ إذَا ثَبَتَتْ فَإِنَّ الْمُسْلِمِينَ كُلَّهُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَى وُجُوبِ اتِّبَاعِهَا.

وَقَدْ يَكُونُ مِنْ سُنَّتِهِ مَا يَظُنُّ أَنَّهُ مُخَالِفٌ لِظَاهِرِ الْقُرْآنِ وَزِيَادَةٌ عَلَيْهِ كَالسُّنَّةِ الْمُفَسِّرَةِ لِنِصَابِ السَّرِقَةِ وَالْمُوجِبَةِ لِرَجْمِ الزَّانِي الْمُحْصَنِ فَهَذِهِ السُّنَّةُ أَيْضًا مِمَّا يَجِبُ اتِّبَاعُهُ عِنْدَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانِ وَسَائِرِ طَوَائِفِ الْمُسْلِمِينَ إلَّا مَنْ نَازَعَ فِي ذَلِكَ مِنْ الْخَوَارِجِ الْمَارِقِينَ.اهـ. (١)

قوله: (**تَنْجُ وَتَرْبَحُ**) تنج: من النجاة، وتربح: من الربح، وكلا الفعلين مجزوم بالطلب، **والمعنى:** أن من دان بالكتاب والسنة واتبعهما أفلح ونجا من الضلال والزيغ عن الصراط المستقيم، وسلم بإذن الله تعالى من الفتنة في دينه، وهذا ربح عظيم.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في نونيته:

يَا مَنْ يُرِيدُ نَجَاتَهُ يَومَ الحِسَـــا ... بِ مِنَ الجَحِيمِ وَموقِدِ النِّـيرَانِ

اتْبَعْ رَسُولَ اللهِ فِي الأَقْوَالِ وَالْـ ... ـأَعْمَالِ لَا تَخْـرُجْ عَنِ القُـــــرْآنِ

وَخُذِ الصَّحِيحَينِ الَّذَينِ هُمَـــ ... ـا لِعَقْدِ الدِّينِ وَالْإِيمَانِ وَاسِطَتَانِ

وَاقْـرَأْهُمَا بَعْدَ التَّجَرُّدِ مِنْ هَوًى ... وَتَعَصُّبٍ وَحَمِيَّـةِ الشَّيطَـــانِ

وَاجْعَلْهُمَـا حَكَمًا وَلَا تَحْكُمْ عَلَى ... مَا فِيهِمَا أَصْلًا بِقَـولِ فُـــلَانِ

(١) مجموع الفتاوى (١٩/ ٨٤ـ ٨٦).

وجوب الإيمان بما ورد في الكتاب والسنة من الأسماء والصفات:

فإن مما يجب علينا الإيمان به، الإيمان بما ورد في الكتاب والسنة من أسماء الله وصفاته:

ومذهب أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته، أنهم يثبتون لله تعالى كل ما أثبته لنفسه من الأسماء، وكل ما أثبته لنفسه من الصفات، على وجه ليس فيه تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: أهل السنة مجمعون على الصفات الواردة كلها في القرآن الكريم والسنة والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئا من ذلك ولا يحدون فيه صفة محدودة.

وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرها ولا يحمل شيئا منها على الحقيقة ويزعمون أن من أقر بها مشبه وهم عند من أثبتها نافون للمعبود والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله وهم أئمة الجماعة والحمد لله. اهـ. (١)

❁❁❁

(١) التمهيد (٧/ ١٤٥).

صفة الكلام

٣. وَقُـلْ غَيْـرُ مَخْلُوقٍ كَلامُ مَليكِنا .....بِذَلكَ دَانَ الأَتْقِياءُ وأَفْصحُــوا
٤. وَلا تَكُ فِي القُرْآنِ بالوَقْفِ قَائِلًا..... كَمَا قَالَ أَتْبَاعٌ لِجَهْمٍ وَأَسْجَحُــوا
٥. ولا تَقُـلِ القُرآنُ خَـلقًا قـرأتَـهُ .....فإنَّ كَـلامَ اللهِ باللفْـظِ يُــوضَحُ

الشرح:

في هذه الأبيات يحث الإمام أبو بكر ابن أبي داود رَحِمَهُ اللَّهُ على لزوم معتقد أهل الحق، أهل السنة والجماعة، في القرآن وأنه كلام الله تعالى، ويحذر من اتباع الجهمية في معتقدها الباطل في كلام الله تعالى، فقد افترقت الجهمية في ذلك على ثلاث فرق:

- فرقة يقولون القرآن مخلوق، (**وهم رءوس الجهمية**).
- وفرقة تقف ولا تقول مخلوق ولا غير مخلوق، (**وهم الواقفة**)
- وفرقة تقول ألفاظنا بالقرآن مخلوقة، (**وهم اللفظية**) وكلهم على ضلالة.[(١)]

٣. وَقُـلْ غَيْـرُ مَخْلُوقٍ كَلامُ مَليكِنا .....بِذَلكَ دَانَ الأَتْقِياءُ وأَفْصحُــوا

هذا البيت تضمن الرد على الفرقة الأولى من الجهمية القائلين بأن القرآن مخلوق تعالى الله عن ذلك. بل القرآن كلام الله، وليس من صفات الله تعالى شيء مخلوق.

قوله: (وَقُـلْ غَيْـرُ مَخْلُوقٍ كَلامُ مَلِيكِنا) أي: قل بلسانك معتقدا بِجَنَانِكَ، أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق. و**المليك**: من أسماء الله الحسنى، قال الله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر:٥٥]

(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ٢٠٦،٣٥٩).

والمليك: بمعنى الملك، والمالك: وهو الذي له الملك فهو الموصوف بصفة الملك، وهي صفات العظمة والكبرياء، والقهر والتدبير، الذي له التصرف المطلق في الخلق والأمر والجزاء، وله جميع العالم العلوي والسفلي، كلهم عبيد ومماليك، ومضطرون إليه. (١)

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، أَنَّهُ حَدَّثَهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ: «**الحَمْدُ لِلهِ الَّذِي كَفَانِي وَآوَانِي، وَأَطْعَمَنِي وَسَقَانِي، وَالَّذِي مَنَّ عَلَيَّ فَأَفْضَلَ، وَالَّذِي أَعْطَانِي فَأَجْزَلَ، الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ اللَّهُمَّ رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ وَإِلَهَ كُلِّ شَيْءٍ، أَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ**» رواه أبو داود (٥٠٥٨) وهو في الصحيح المسند (٧٣٠).

وفتنة القول بخلق القرآن فتنة عظيمة:

أول من ابتدع القول بها هو (**الجعد بن درهم**)، وأخذه عنه وأظهره وحمل لواء هذه البدعة ونشرها واشتهر بها (**الجهم بن صفوان**). **قال شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله: ولا خلاف بين الأمة أن أول من قال: القرآن مخلوق الجعد بن درهم ثم الجهم بن صفوان، وكلاهما قتله المسلمون.اهـ. (٢)

وابتلي العلماء والأئمة في ذلك بسبب تأثر الخليفة المأمون بالمعتزلة، وحمل الناس على القول بذلك، فتأول من تأول، وثبت من ثبت، وأعظم من ثبت في هذا هو الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، فلم يجامل ولم يتأول، بل ثبت على القول بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، ورد على المبتدعة وناظرهم وبَيَّنَ أن القول بخلق القرآن بدعة منكرة، لم تأت في كتاب ولا سنة، ولا قال بها أحد من السلف الصالح.

---

(١) معارج القبول (١/ ٢٩٠) وتفسير السعدي (ص: ٩٤٥).

(٢) مجموع الفتاوى (١٢/ ٤٢٠).

وبدعة القول بخلق القرآن مبنية على باطل، وهو نفي كلام الرب سبحانه.

❁ **والأدلة التي تدل على صفة الكلام**، وأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، كثيرة من الكتاب والسنة، وعلى ذلك إجماع السلف.

أولا: الأدلة على صفة الكلام:

الله عز وجل من صفاته أنه يتكلم، وكلامه حقيقي يليق به، متعلق بمشيئته بحرف وصوت مسموع. ومن أدلة ذلك:

قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء:١٦٤]

وقوله: (تَكْلِيمًا): مصدر مؤكِّد، والمصدر المؤكد بكسر الكاف؛ ينفي احتمال المجاز. فدل على أنه كلام حقيقي؛ وقد نقل أبو جعفر النحاس المتوفى ٣٣٨ هـ إجماع النحاة على أن الفعل إذا أُكِّدَ بالمصدر لم يكن مجازًا، بل هو حقيقة قطعًا. (١)

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ ٥١﴾ [الشورى:٥١]

❁ والدليل على أنه متعلق بمشيئة الله، قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف:١٤٣] فالتكليم حصل بعد مجيء موسى عليه السلام، فدل على أنه متعلق بمشيئته تعالى، فيبطل به قول من قال: إن كلامه هو المعنى القائم بالنفس، وإنه لا يتعلق بمشيئته، وذلك لأن الكلام صار حين المجيء، لا سابقًا عليه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: والسلف والأئمة نصوا على أن الرب تعالى، لم يزل متكلما إذا شاء وكما شاء، كما نص على ذلك عبد الله بن المبارك وأحمد بن

(١) شرح العقيدة الواسطية للعثيمين (ص: ٤٢١) ومصطلحات في كتب العقائد (ص: ٢٠٦)

حنبل وغيرهم من أئمة الدين وسلف المسلمين.اهـ. (١)

❁ والدليل على أنه حروف قوله تعالى: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾

فإن هذه الكلمات حروف وهي كلام الله تعالى.

❁ والدليل على أنه بصوت قوله تعالى: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾ [مريم:٥٢]

والنداء في لغة العرب: هو صوت رفيع ؛ لا يطلق النداء على ما ليس بصوت لا حقيقة ولا مجازا، كما قال شيخ الإسلام. (٢)

فالنداء والمناجاة لا تكون إلا بصوت، ومما يدل على ذلك:

حديث جابر رضي الله عنه عن النَّبِيِّ ﷺ أنه قال: «**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ – أَوْ قَالَ: الْعِبَادُ – عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا**» قَالَ: قُلْنَا: وَمَا بُهْمًا؟ قَالَ: «**لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مِنْ قَرُبَ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ**» الحديث. رواه أحمد (١٦٠٤٢) وحسنه العلامة الألباني في صحيح الأدب المفرد (٩٧٠).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وَقَالَ تَعَالَى: (**هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى**) وَقَالَ تَعَالَى: (**وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا**) وَاسْتَفَاضَتْ الْآثَارُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ وَالصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ أَئِمَّةِ السُّنَّةِ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ يُنَادِي بِصَوْتٍ: نَادَى مُوسَى، وَيُنَادِي عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَوْتٍ، وَيَتَكَلَّمُ بِالْوَحْيِ بِصَوْتٍ.

وَلَمْ يُنْقَلْ عَنْ أَحَدٍ مِنْ السَّلَفِ أَنَّهُ قَالَ: إنَّ الله يَتَكَلَّمُ بِلَا صَوْتٍ أَوْ بِلَا حَرْفٍ،

(١) مجموع الفتاوى (٩/ ٢٨٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٦/ ٥٣١).

وَلَا أَنَّهُ أَنْكَرَ أَنْ يَتَكَلَّمَ الله بِصَوْتٍ أَوْ بِحَرْفٍ، كَمَا لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِنَّ الصَّوْتَ الَّذِي سَمِعَهُ مُوسَى قَدِيمٌ، وَلَا إِنَّ ذَلِكَ النِّدَاءَ قَدِيمٌ، وَلَا قَالَ أَحَدٌ مِنْهُمْ: إِنَّ هَذِهِ الْأَصْوَاتَ الْمَسْمُوعَةَ مِنْ الْقُرَّاءِ هِيَ الصَّوْتُ الَّذِي تَكَلَّمَ الله بِهِ؛ بَلْ الْآثَارُ مُسْتَفِيضَةٌ عَنْهُمْ بِالْفَرْقِ بَيْنَ الصَّوْتِ الَّذِي يَتَكَلَّمُ الله بِهِ وَبَيْنَ أَصْوَاتِ الْعِبَادِ.

وَكَانَ أَئِمَّةُ السُّنَّةِ يَعُدُّونَ مَنْ أَنْكَرَ تَكَلُّمَهُ بِصَوْتٍ، مِنْ الْجَهْمِيَّة كَمَا قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَد لَمَّا سُئِلَ عَمَّنْ قَالَ: إِنَّ الله لَا يَتَكَلَّمُ بِصَوْتٍ، فَقَالَ: هَؤُلَاءِ جهمية إِنَّمَا يَدُورُونَ عَلَى التَّعْطِيلِ. وَذَكَرَ بَعْضَ الْآثَارِ الْمَرْوِيَّةِ فِي أَنَّهُ سُبْحَانَهُ يَتَكَلَّمُ بِصَوْتٍ.اهـ. (١)

ثانيا: الأدلة على أن القرآن كلام الله تعالى:

الأدلة على ذلك من القرآن والسنة كثيرة، ومنها:

١. قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٦] ٢. قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الفتح:١٥]

والإضافة في قوله تعالى: (كلام الله)، من باب إضافة الصفة إلى الموصوف.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: الْمُضَافُ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ نَوْعَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَعْيَانٌ قَائِمَةٌ بِنَفْسِهَا، كَبَيْتِ الله وَنَاقَةِ الله وَرُوحِ الله وَعَبْدِهِ، فَهَذَا إِضَافَةُ مَخْلُوقٍ إِلَى خَالِقِهِ، وَهِيَ إِضَافَةُ اخْتِصَاصٍ وَتَشْرِيفٍ.

الثَّانِي: إِضَافَةُ صِفَةٍ إِلَى مَوْصُوفِهَا كَسَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَعِلْمِهِ وَحَيَاتِهِ وَقُدْرَتِهِ وَكَلَامِهِ وَوَجْهِهِ وَيَدَيْهِ وَمَشِيئَتِهِ وَرِضَاهُ وَغَضَبِهِ، فَهَذَا يُمْتَنَعُ أَنْ يَكُونَ الْمُضَافُ فِيهِ مَخْلُوقًا مُنْفَصِلًا، بَلْ هُوَ صِفَةٌ قَائِمَةٌ بِهِ سُبْحَانَهُ.اهـ. (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ٣٠٤،٣٠٥)

(٢) مختصر الصواعق (ص: ٤٤٣)

٣. قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف:٥٤]

فجعل (الخلق) شيئًا و(الأمر) شيئًا آخر؛ لأن العطف يقتضي المغايرة، والقرآن من الأمر؛ بدليل قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ﴾ [الشورى:٥٢]

فإذا كان القرآن أمرًا، وهو قسيم للخلق؛ صار غيرَ مخلوق؛ لأنه لو كان مخلوقًا ما صح التقسيم.(١)

٤. حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنهما، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَعْرِضُ نَفْسَهُ عَلَى النَّاسِ بِالْمَوْقِفِ فَيَقُولُ: « **هَلْ مِنْ رَجُلٍ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ، فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي**»، رواه أحمد (١٥١٩٢) بإسناد صحيح، وهو في الصحيح المسند (٢١٦).

والآيات التي تدل على أنه منزل من عند الله كثيرة جدا، ومنها:

قول الله تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾ [النساء:١٦٦]

وقوله سبحانه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء:١٩٢-١٩٥]

قال الإمام محمد بن الحسين الآجري في الشريعة رحمه الله: اعلموا رحمنا الله وإياكم أن قول المسلمين الذين لم يزغ قلوبهم عن الحق، ووفقوا للرشاد قديما وحديثا: أن القرآن كلام الله تعالى ليس بمخلوق؛ لأن القرآن من علم الله، وعلم الله لا يكون

(١) السنة للخلال (٥/ ١٣٨)، وشرح العقيدة الواسطية للعثيمين (ص: ٤٢٧)

مخلوقا، تعالى الله عن ذلك، دل على ذلك القرآن والسنة، وقول الصحابة رضي الله عنهم وقول أئمة المسلمين لا ينكر هذا إلا جهمي خبيث.اهـ.

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: والمنقول عن السلف اتفاقهم على أن القرآن كلام الله غير مخلوق، تلقاه جبريل عن الله، وبلغه جبريل إلى محمد عليه الصلاة و السلام، وبلغه صلى الله عليه وسلم إلى أمته.اهـ. (١)

الطوائف التي خالفت أهل السنة في صفة الكلام:

خالف أهل السنة والجماعة في ذلك، طوائف:

الطائفة الأولى: الجهمية. (٢) يقولون: إن الكلام ليس من صفات الله، وإنما هو خلق من مخلوقات الله يخلقه الله في الهواء، أو في المحل الذي يسمع منه، وإضافته إلى الله إضافة خلق، أو تشريف، مثل: ناقة الله، وبيت الله.

ويرد عليهم بما يلي: أولا: أنه خلاف إجماع السلف، وأنه خلاف المعقول، لأن الكلام صفة للمتكلم وليس شيئًا قائمًا بنفسه منفصلًا عن المتكلم.

ثانيا: أن موسى عليه السلام سمع الله يقول: ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي ﴾ طه: ١٤ . ومحال أن يقول ذلك أحد إلا الله سبحانه وتعالى.

الطائفة الثانية: الأشاعرة. (٣) قالوا: كلام الله معنى قائم بنفسه لا يتعلق

---

(١) الفتح (٧٤٨٨)

(٢) **الجهمية:** نسبة إلى الجهم بن صفوان ، مذهبهم في الصفات التعطيل والنفي، وفي القدر القول بالجبر، وفي الإيمان القول بالإرجاء، وهو أن الإيمان مجرد الإقرار بالقلب وليس القول والعمل من الإيمان، ففاعل الكبيرة عندهم مؤمن كامل الإيمان، فهم معطلة جبرية مرجئة وهم فرق كثيرة. **وانظر:** تعليق مختصر على لمعة الاعتقاد للعثيمين (ص: ١٦٢)

(٣) **الأشاعرة:** هم أتباع أبي الحسن الأشعري (ت ٣٣٠هـ) الذي كان معتزليًا، ثم ترك الاعتزال، واتَّخذ له مذهبًا بين الاعتزال ومذهب أهل السنة والجماعة، ثم رجع وتاب، ووافق الإمام أحمد وأهل السنة والجماعة في =

بمشيئته، وهذه الحروف والأصوات المسموعة مخلوقة للتعبير عن المعنى القائم بنفس الله تعالى. **ويرد عليهم بما يلي:**

أولا: أنه خلاف الأدلة لأنها تدل على أن كلام الله يسمع، ولا يسمع إلا الصوت ولا يسمع المعنى القائم بالنفس.

ثانيا: أنه خلاف المعهود لأن الكلام المعهود هو ما ينطق به المتكلم لا ما يضمره في نفسه.

ثالثا: أنه خلاف إجماع السلف. (١)

قوله: (**بِذَلكَ دَانَ الأَتْقِياءُ**) (**بِذَلكَ**) أي: بالمعتقد الصحيح الذي دلت عليه الأدلة من الكتاب والسنة والإجماع، أن القرآن كلام الله على الحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية.

ومعنى (**دَانَ الأَتْقِياءُ**) أي: انقادوا وتعبدوا لله تعالى بذلك، واعتقدوا أن القرآن كلام الله غير مخلوق. **والأتقياء:** جمع تقي، وهذا وصف لأهل الحق المتمسكين بالكتاب والسنة على فهم سلف الأمة، فهم الذين انقادوا لذلك واعتقدوا ما دلت عليه الأدلة الشرعية.

والتقوى: أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله، كما قال طلق بن حبيب. وهذا أحسن ما قيل

=

معتقداتهم، وبقي بعض أتباعه إلى اليوم يحملون معتقده الثاني، وهم مرجئة في الإيمان، مؤوِّلة في الصفات، ومتأخروهم يثبتون سبع صفات فقط، وينكرون علو الذات.

انظر: الفرق الكلامية الإسلامية (٢٧٨)، ومجموع الفتاوى (١٢/ ٢٠٤، ٣٦٨) و(١٣/ ١٣١).

(١) شرح لمعة الاعتقاد للعلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ.

في حد التقوى، كما أفاده ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ. (١)

قوله: (**وأَفْصَحُوا**) أي: بينوا معتقدهم في كلام الله، وأعلنوه، وأظهروه في مؤلفاتهم، وصرحوا بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، وناظروا وألفوا في ذلك المؤلفات الخاصة. فهذا سبيل المتقين المقتفين أثر الصحابة والتابعين، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف:١٠٨]

٤. وَلا تَكُ فِي القُرْآنِ بالوَقْفِ قَائِلًا.... كَمَا قَالَ أَتْبَاعٌ لِجَهْمٍ وَأَسْجَحُوا

هذا البيت فيه رد على الفرقة الثانية من الجهمية، وهم الواقفة، الذين يقولون: لا نقول القرآن مخلوق ولا غير مخلوق. **قوله:** (**وَلا تَكُ**): (لا) ناهية و(تك) فعل مضارع مجزوم بلا، كما تقدم في البيت الأول.

وقوله: (**فِي القُرْآنِ**): **القرآن**: هو كلام الله المنزل على نبينا محمد ﷺ، المعجز بنفسه، المتعبّد بتلاوته. **قاله العلامة العثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ.

قوله: (**بالوَقْفِ قَائِلًا**): أي: ولا تقل بقول الواقفة في القرآن، وهي الفرقة الثانية من فرق الجهمية كما تقدم، **والواقفة**، هم الذين قالوا: لا نقول القرآن مخلوق ولا نقول إنه غير مخلوق. مع أنَّ كثيرًا من الواقفة يكون في الباطن مضمرًا للقول المخالف للسنة ولكن يظهر الوقف نفاقا ومصانعة، فمثل هذا موجود . كما قاله شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ وأفاد أن هؤلاء قد ذمهم السلف وحكم بضلالهم جمهور

(١) الرسالة التبوكية (ص: ١٣)..

الأئمة كوكيع بن الجراح والإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه، ومن لا يحصي عدده إلا الله عز وجل. (١)

وسئل الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ، **قيل له:** قَوْمٌ هَاهُنَا حَدَّثُوا ، يَقُولُونَ : لاَ نَقُولُ مَخْلُوقٌ وَلاَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ . قَالَ : هَؤُلاَءِ أَضَرُّ مِنَ الْجَهْمِيَّةِ عَلَى النَّاسِ ، وَيْلَكُمْ ، فَإِنْ لَمْ تَقُولُوا لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ ، فَقُولُوا مَخْلُوقٌ ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ الله: كَلاَمُ سُوءٍ .

فَقَالَ الْعَبَّاسُ : مَا تَقُولُ يَا أَبَا عَبْدِ الله ؟ فَقَالَ : الَّذِي أَعْتَقِدُهُ وَأَذْهَبُ إِلَيْهِ، وَلاَ أَشُكُّ فِيهِ ، أَنَّ الْقُرْآنَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ . ثُمَّ قَالَ : سُبْحَانَ الله، وَمَنْ يَشُكُّ فِي هَذَا؟ ثُمَّ تَكَلَّمَ أَبُو عَبْدِ اللهَّ اسْتِعْظَامًا لِلشَّكِّ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : سُبْحَانَ اللهَّ ، فِي هَذَا شَكٌّ؟ قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ : {**أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ**} ، فَفَرَّقَ بَيْنَ الْخَلْقِ وَالأَمْرِ.اهـ. (٢)

قوله: (**كَمَا قَالَ أَتْبَاعٌ لِجَهْمٍ**): مراده أنَّ قولَ الواقفة هو قول الجهمية، فهم تابعون لهم؛ وحكم عليهم الإمام أحمد بالبدعة؛ لأن الوقوف والسكوت عن مسألة بين الحق والباطل، انحراف عن الحق نفسه؛ لأن الأدلة من الكتاب والسنة تدل على أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق وأنه بحرف وصوت، فالذي يتوقف في ذلك، لازم قوله أنه لا يؤمن ولا يقر بهذه النصوص الشرعية.

فلذلك قال الإمام أحمد عن الواقفة: إنهم جهمية مبتدعة. قال الله عز وجل: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس:٣٢]. (٣)

قوله: (**أَتْبَاعٌ لِجَهْمٍ**): جهم هو أبو محرز جهم بن صفوان. السمرقندي، الضال

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ٤٢٠)، والفتاوى الكبرى (٦/ ٣٥١).

(٢) السنة للخلال (٥/ ١٣٨)

(٣) مجموع الفتاوى (١٢/ ٣٩٥،٣٥٩).

المبتدع، دعا إلى تعطيل صفات الرب عز وجل وخلق القرآن، وهو رأس الجهمية، قتل سنة ثمان وعشرين ومئة.(١)

قوله: (وَأَسْجَحُوا): سجح: أي: سهل ولان، والمعنى أن هؤلاء الواقفة لانوا ومالوا إلى قول جهم واعتقدوا هذا المعتقد، وإن لم يظهروا ذلك، ويفصحوا به، كما تقدم في كلام شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ.

٥. ولا تَقُلِ القُرآنُ خَلقٌ قَرَأْتُهُ .....فإنَّ كَلامَ اللهِ باللفْظِ يُوضَحُ

قوله: (ولا تَقُلِ القُرآنُ خَلقٌ قرأْتُهُ): أي: لا تقل ألفاظنا وتلاوتنا للقرآن مخلوقة، كما قالته الفرقة الثالثة من الجهمية، وهم اللفظية، فإن حقيقة قول هؤلاء أن القرآن الذي نزل به جبريل على قلب رسول الله ﷺ هو قرآن مخلوق لم يتكلم الله به، كما قال شيخ الإسلام. ومنشأ هذه البدعة هي بدعة الجهمية نفسها، وشبهتهم هي شبهة الجهمية. **قال الإمام أحمد** رَحِمَهُ اللَّهُ: من قال: لفظي بالقرآن مخلوق، يريد به القرآن فهو جهمي.اهـ.(٢)

ولشيخ الإسلام كلام مفاده، أن اللفظ والتلاوة والقراءة مصادر تحتمل أحد أمرين : الأول: اللفظ والتلاوة والقراءة يراد بهما المصدر الذي هو فعل العبد وأفعال العباد مخلوقة: فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ « **مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ** » رواه البخاري (٤٧٣٥) ومسلم (١٨٨٣). ومعنى (أَذِنَ): استمع.

(١) تذكرة الحفاظ (١/ ١٢٠) ولسان الميزان : (٢/ ١٧٩) .

(٢) سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٨٨)

وعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ**». رواه أبو داود بإسناد صحيح. (١)

فجعل الكلام كلام الباري، وجعل الصوت الذى يقرأ به العبد صوت القارىء. (٢) فمن جعل شيئا من أفعالهم وأصواتهم وغير ذلك من صفاتهم غير مخلوق فهو مبتدع.

الثاني: يراد باللفظ نفس الملفوظ كما يراد بالتلاوة والقراءة نفس الكلام وهو القرآن نفسه، قال الله سبحانه: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ [النحل:٩٨]

وقال: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾﴾ [الكهف:٢٧] وقال: ﴿وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ﴾ [النمل:٩٢]

فلا بد من التفصيل:

هل تريد بقولك (لفظي بالقرآن): التلفظ والصوت، أو تريد الملفوظ به؟

فإن كنت تريد الملفوظ به، فهو كلام الله غير مخلوق.

وإن كنت تريد به حركة اللسان والصوت، فهذا مخلوق، فلسانك مخلوق، وصوتك مخلوق، ولفظك مخلوق، لكن الملفوظ به المؤدى باللفظ غير مخلوق.

قال العلامة حافظ الحكمي رحمه الله:

فالصوت والألحان صوت القاري ... لكنما المتلو قول الباري

❁ فمن قال: (**لفظي بالقرآن مخلوق**) ولم يفصل وقع في مذهب الجهمية.

---

(١) رواه أبو داود (١٤٧٠) وهو في الصحيح المسند (١٣٠) والصحيحة (٧٧١).

(٢) مجموع الفتاوى (١٢/ ١٣٧)

❁ ومن قال: (**تلاوتنا للقرآن غير مخلوقة وألفاظنا به غير مخلوقة**)، فقد قابل بدعة اللفظية ببدعة، ورد الباطل بباطل، وقابل الفاسد بفاسد.

ووجه وقوعه في البدعة: أنه أدخل أفعال العبد مع أفعال الله، وجعل فعله غير مخلوق، وهذا مذهب القدرية الذين ينفون القدر، ويجعلون العباد هم الذين يخلقون أفعالهم. ولهذا **قال الإمام أحمد** رَحِمَهُ اللَّهُ: من قال: لفظي بالقرآن مخلوق، فهو جهمي. ومن قال: لفظي به غير مخلوق فهو قدري. وقد قال أيضًا: فهو بدعي.

قال الإمام أبو عمرو الداني رَحِمَهُ اللَّهُ: وقول أحمد هذا قول جميع أهل السنة.اهـ.(١)

وقال الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: وهكذا أنكر الأئمة قول من قال: لفظي بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق. وقالوا: من قال هو مخلوق فهو جهمي ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع.

وكذلك قالوا في التلاوة والقراءة؛ لأن اللفظ والتلاوة والقراءة يراد بهما المصدر الذي هو فعل العبد وأفعال العباد مخلوقة فمن جعل شيئا من أفعالهم وأصواتهم وغير ذلك من صفاتهم غير مخلوق فهو مبتدع.

ويراد باللفظ نفس الملفوظ كما يراد بالتلاوة والقراءة نفس الكلام وهو القرآن نفسه، ومن قال كلام الله الذي أنزله على نبيه ﷺ وقرأه المسلمون مخلوق فهو جهمي..اهـ.(٢)

وقال العلامة العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: اللفظ بالقرآن هل يصح أن نقول: إنه مخلوق أو غير مخلوق، أو يجب السكوت؟

---

(١) الرسالة الوافية لأبي عمرو الداني (ص: ١٥٧) ومجموع الفتاوى (١٢/ ٢٠٦، ٣٥٩) وشرح الحائية للعلامة الفوزان (ص: ٣٠).

(٢) مجموع الفتاوى (١٢/ ١٧٠).

فالجواب: أن يقال: إن إطلاق القول في هذا نفيًا أو إثباتًا غير صحيح.

وأما عند التفصيل فيقال: إن أريد باللفظ التلفظ الذي هو فعل العبد فهو مخلوق، لأن العبد وفعله مخلوقان، وإن أريد باللفظ الملفوظ به فهو كلام الله غير مخلوق؛ لأن كلام الله من صفاته، وصفاته غير مخلوقة.

ويشير إلى هذا التفصيل قول الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: من قال: لفظي بالقرآن مخلوق يريد به القرآن فهو جهمي، فقوله: يريد به القرآن يدل على أنه إن أراد به غير القرآن وهو التلفظ الذي هو فعل فليس بجهمي. والله أعلم.اهـ. (١)

قوله: (**فإنَّ كَلامَ اللهِ باللفْظِ يُوضَحُ**): أي: أن القرآن كلام الله ألفاظه ومعانيه ليس كلام الله دون المعنى ولا المعنى دون اللفظ، وسواء حفظ في الصدور أو تلي بالألسنة أو كتب في المصاحف لا يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله تعالى حقيقة.

قال الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَـٰتُۢ بَيِّنَـٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [العنكبوت:٤٩]

وقال سبحانه: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَـٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَـٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾ [الإسراء:١٠٦]

قال الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: فنص أحمد على ما جاء به الكتاب والسنة أنَّا نقرأ القرآن بأصواتنا والقرآن كلام الله كله لفظه ومعناه سمعه جبريل من الله وبلغه إلى محمد ﷺ وسمعه محمد منه وبلغه محمد إلى الخلق والخلق يبلغه بعضهم إلى بعض

(١) تلخيص الحموية (٣٣/ ٣٥).

ويسمعه بعضهم من بعض.اهـ. (١)

قال **العلامة حافظ الحكمي** رَحِمَهُ اللَّهُ، في منظومته سلم الوصول:

وَالْقَوْلُ فِي كِتَابِهِ الْمُفَصَّلْ ... بِأَنَّهُ كَلَامُهُ الْمُنَزَّلْ
عَلَى الرَّسُولِ الْمُصْطَفَى خَيْرِ الْوَرَى ... لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ وَلَا بِمُفْتَرَى
يُحْفَظُ بِالْقَلْبِ وَبِاللِّسَانِ ... يُتْلَى كَمَا يُسْمَعُ بِالْآذَانِ
كَذَا بِالَابْصَارِ إِلَيْهِ يُنْظَرُ ... وَبِالْأَيَادِي خَطُّهُ يُسَطَّرُ
وَكُلُّ ذِي مَخْلُوقَةٍ حَقِيقَهْ ... دُونَ كَلَامِ بَارِئِ الْخَلِيقَهْ
جَلَّتْ صِفَاتُ رَبِّنَا الرَّحْمَنِ ...عَنْ وَصْفِهَا بِالْخَلْقِ وَالْحَدَثَانِ
فَالصَّوْتُ وَالْأَلْحَانُ صَوْتُ الْقَارِي ... لَكِنَّمَا الْمَتْلُوُّ قَوْلُ الْبَارِي
مَا قَالَهُ لَا يَقْبَلُ التَّبْدِيلَا ... كَلَّا وَلَا أَصْدَقُ مِنْهُ قِيلًا

❁❁❁

(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ٩٨)، وانظر: شرح العقيدة الواسطية للفوزان (ص: ١٠١) مصطلحات في كتب العقائد (ص: ٧٧)

رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة

٦. وَقُـلْ يَتَجلَّى اللهُ للخَلْقِ جَـهْـرةً .....كَمَا البدْرُ لا يَخْفى وَرَبُّكَ أَوْضَحُ

٧. وَلَيْسَ بمولُـودٍ وليسَ بِـوَالِـدٍ ..... وَلَيسَ لهُ شِبْهٌ تَعَـــالَى المسَبَّحُ

٨. وَقَـدْ يُنكِرُ الجَهْميُّ هَذَا وعِنْدَنَا .... بِمِصْـدَاقِ ما قُلْنَا حَـدِيثٌ مُصَرِّحُ

٩. رَوَاهُ جَرِيـرٌ عـن مَقَـالِ مُحَـمَّدٍ ..... فقُلْ مِثْلَ ما قَدْ قَالَ في ذَاكَ تَنْجَحُ

الشرح

٦. وَقُـلْ يَتَجلَّى اللهُ للخَلْقِ جَـهْـرةً .....كَمَا البدْرُ لا يَخْفى وَرَبُّكَ أَوْضَـحُ

في هذه البيت يوصي الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ، بالأخذ بمذهب أهل الحق في رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة. **فقوله:** (وَقُـلْ يَتَجلَّى اللهُ) أي: قل أيها المتبع لآثار من سلف، يتجلى الله لأهل الإيمان في الآخرة، والتجلي صفة ثابتة لله تعالى، ومعنى تجلى: أي: ظَهَرَ وَبَانَ. كما في لسان العرب.

قال الله سبحانه: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٤٣﴾ [الأعراف:١٤٣]

قال **الإمام ابن القيم** رَحِمَهُ اللَّهُ: الله سُبْحَانَهُ أَرَادَ أَنْ يُرِيَ مُوسَى ﷺ مِنْ كَمَالِ عَظَمَتِهِ وَجَلَالِهِ مَا يَعْلَمُ بِهِ أَنَّ الْقُوَّةَ الْبَشَرِيَّةَ فِي هَذِهِ الدَّارِ لَا تَثْبُتُ لِرُؤْيَتِهِ وَمُشَاهَدَتِهِ

عِيَانًا. لِصَيْرُورَةِ الْجَبَلِ دَكًّا عِنْدَ تَجَلِّي رَبِّهِ سُبْحَانَهُ أَدْنَى تَجَلٍّ.اهـ. (١)

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، **عَنِ النَّبِيِّ** ﷺ **فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ)** [الأعراف: ١٤٣] **قَالَ: هَكَذَا، يَعْنِي أَنَّهُ أَخْرَجَ طَرَفَ الْخِنْصَرِ.** قَالَ أَبِي: أَرَانَاهُ مُعَاذٌ، قَالَ: فَقَالَ لَهُ حُمَيْدٌ الطَّوِيلُ: مَا تُرِيدُ إِلَى هَذَا يَا أَبَا مُحَمَّدٍ؟ قَالَ: فَضَرَبَ صَدْرَهُ ضَرْبَةً شَدِيدَةً، وَقَالَ: مَنْ أَنْتَ يَا حُمَيْدُ؟ وَمَا أَنْتَ يَا حُمَيْدُ، يُحَدِّثُنِي بِهِ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَتَقُولُ أَنْتَ مَا تُرِيدُ إِلَيْهِ. رواه أحمد (١٢٢٦٠) بإسناد صحيح على شرط مسلم وهو في الصحيح المسند لشيخنا الإمام الوادعي رحمه الله (٩٦)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله.

وهذا التجلي منه سبحانه تعالى للجبل، دليل على التجلي لأولياء الله في الدار الآخرة. **قال الإمام ابن القيم** رحمه الله: وهذا من أبين الأدلة على جواز رؤيته تبارك وتعالى فإنه إذا جاز أن يتجلى للجبل الذي هو جماد لا ثواب له ولا عقاب عليه فكيف يمتنع أن يتجلى لأنبيائه ورسله وأوليائه في دار كرامتهم ويريهم نفسه فأعلم سبحانه وتعالى موسى إن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته في هذه الدار فالبشر أضعف.اهـ. (٢)

وتجلي الله تعالى لأوليائه، إنما يكون في الآخرة:

دليل ذلك قول النبي ﷺ: **«تَعَلَّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَمُوتَ»** رواه مسلم (٢٩٣٠).

ولأن الإنسان لا يطيق ذلك في الدنيا، كما تقدم في قصة موسى ﷺ،

---

(١) مدارج السالكين (٣/ ٩٩).

(٢) حادي الأرواح (ص:٢٨٧)

قال الله تعالى له: (قَالَ لَن تَرَىٰنِي)

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره لهذه الآية: أي: لن تقدر الآن على رؤيتي، فإن الله تبارك وتعالى أنشأ الخلق في هذه الدار على نشأة لا يقدرون بها ولا يثبتون لرؤية الله، وليس في هذا دليل على أنهم لا يرونه في الجنة، فإنه قد دلت النصوص القرآنية والأحاديث النبوية على أن أهل الجنة يرون ربهم تبارك وتعالى ويتمتعون بالنظر إلى وجهه الكريم، وأنه ينشئهم نشأة كاملة، يقدرون معها على رؤية الله تعالى، ولهذا رتب الله الرؤية في هذه الآية على ثبوت الجبل، فقال – مقنعا لموسى في عدم إجابته للرؤية (وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ) إذا تجلى الله له (فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ) الأصم الغليظ (جَعَلَهُۥ دَكًّا) أي: انهال مثل الرمل، انزعاجا من رؤية الله وعدم ثبوته لها (وَخَرَّ مُوسَىٰ) حين رأى ما رأى (صَعِقًا) فتبين له حينئذ أنه إذا لم يثبت الجبل لرؤية الله، فموسى أولى أن لا يثبت لذلك، واستغفر ربه لما صدر منه من السؤال، الذي لم يوافق موضعا و لذلك (قَالَ سُبْحَٰنَكَ) أي: تنزيها لك، وتعظيما عما لا يليق بجلالك.اهـ.

قال الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فإن أئمة السنة والجماعة متفقون على أن الله لا يراه أحد بعينه في الدنيا، ولم يتنازعوا إلا في نبينا ﷺ خاصة. وقد روي نفي رؤيتنا له في الدنيا عن النبي ﷺ من عدة أوجه: منها ما رواه مسلم في صحيحه عن النبي ﷺ أنه قال لما ذكر الدجال قال: «**واعلموا أن أحدا منكم لن يرى ربه حتى يموت**»

وموسى بن عمران عليه السلام قد سأل الرؤية فذكر الله سبحانه قوله: (لَن تَرَىٰنِي)

وما أصاب موسى من الصعق.اهـ. (١)

وأمور الآخرة تختلف على الدنيا:

❁ **قال العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وسؤال موسى الرؤية يدل على إمكانها، إذ لو لم تكن ممكنة عقلا ما سألها موسى عليه الصلاة والسلام، لكن الإنسان في الدنيا لا يستطيع أن يرى الله عز وجل، وذلك لقصوره وضعفه، ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام: (**واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا**) .

ويدل لهذا أن الله تعالى لما تجلى للجبل اندك الجبل وهو الحجر الأصم، فكيف يمكن لجسم ابن آدم الضعيف أن يثبت لرؤية الله عز وجل في هذه الدنيا؟

أما في الآخرة فشأنها غير شأن الدنيا.

وفي الآخرة من الأمور ما لا يمكن إطلاقاً في الدنيا: دنو الشمس قدر ميل يوم القيامة، لو حدث ذلك في الدنيا لاحترقت الأرض ومن عليها. كون الناس في الموقف يختلفون، يعرقون فيختلفون في العرق: منهم من يصل إلى كعبيه، ومنهم من يصل إلى ركبتيه، ومنهم من يصل إلى حقويه، هذا أمر لا يمكن في الدنيا، لكنه في الآخرة ممكن. كون الناس يمشون على الصراط، وهو كما جاء في مسلم بلاغًا (**أدق من الشعر وأحد من السيف**) أمر لا يمكن في الدنيا، ويمكن في الآخرة. كون الناس يقفون خمسين ألف سنة لا يأكلون ولا يشربون، حفاة عراة غرلاً، هذا لا يمكن في الدنيا وأمكن في الآخرة. فإذا كانت رؤية الله في الدنيا لا تمكن فإنه لا يلزم من ذلك ألا تمكن في الآخرة.

وأما دعواهم أن (**لن**) تفيد التأبيد في قوله تعالى: (**قَالَ لَن تَرَىٰنِي**) فدعوى غير

(١) مجموع الفتاوى (٥/ ٤٩٠)

صحيحة، فإن الله تعالى أخبر عن أهل النار أنهم لن يتمنوا الموت أبدا ، قال تعالى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة:٩٥]

وقال عن أهل النار يوم القيامة: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزُّخرُف:٧٧]

أي: ليهلكنا ويمتنا حتى نستريح، فهنا تمنوا الموت وسألوا الله تعالى أن يقضي عليهم، ولكن لا يتسنى لهم ذلك: ﴿قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الزُّخرُف:٧٧]

ولهذا قال ابن مالك رَحِمَهُ اللَّهُ في الكافية:

ومن رأى النفي بلن مؤبدا ... فقوله اردد وسواه فاعضدا

والخلاصة: أنه يجب علينا أن نؤمن بأن الله تعالى يرى يوم القيامة رؤية حق بالعين، يراه المؤمنون في عرصات القيامة، وفي الجنة.اهـ. (١)

قوله: (**للخَلْقِ جَهْرةً**) المراد بالخلق: المؤمنون، فهم يرونه في الآخرة في العرصات، وفي الجنات.

قال الله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطفِّفين:١٥]

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: قَالَ الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ الله الشَّافِعِيُّ: [فِي] هَذِهِ الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَئِذٍ. وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ، رَحِمَهُ اللَّهُ، فِي غَايَةِ الْحُسْنِ، وَهُوَ اسْتِدْلَالٌ بِمَفْهُومِ هَذِهِ الْآيَةِ، كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ مَنْطُوقُ قَوْلِهِ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾[القيامة:٢٣] وَكَمَا دَلَّتْ عَلَى ذَلِكَ الْأَحَادِيثُ الصِّحَاحُ الْمُتَوَاتِرَةُ فِي رُؤْيَةِ الْمُؤْمِنِينَ رَبَّهُمْ عَزَّ وَجَلَّ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، رُؤْيَةٌ بِالْأَبْصَارِ

(١) أفاده العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ في فتاوى نور على الدرب.

فِي عَرَصات الْقِيَامَةِ، وَفِي رَوْضَاتِ الْجِنَانِ الْفَاخِرَةِ.اهـ. (١)

وقال الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: قال القاضي أبو يعلى وغيره: كانت الأمَّة في رؤية الله بالأبصار على قولين منهم المحيل للرؤية عليه وهم المعتزلة والنجارية وغيرهم من الموافقين لهم على ذلك.

والفريق الآخر: أهل الحق والسلف من الأمة متفقون على أن المؤمنين يرون الله في المعاد وأن الكافرين لا يرونه فثبت بهذا إجماع الأمة، ممن يقول بجواز الرؤية وممن ينكرها على منع رؤية الكافرين لله وكل قول حادث بعد الإجماع فهو باطل مردود.اهـ. (٢)

قوله: (**كَمَا البَدْرُ لا يَخْفى وَرَبُّكَ أَوْضَحُ**) أي: كما أن رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحابة، فيراه الإنسان من غير حصول ضرر ولا ازدحام، فكذلك رؤية الله في الآخرة، بل رؤية الله أوضح، **وأدلة ذلك كثيرة، منها:**

١. قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة ٢٤،٢٣].

٢. ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦]

٣. وعَنْ صُهَيْبٍ بن سنان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ**»، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: {لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ} [يونس: ٢٦] رواه مسلم (١٨١٨)

---

(١) تفسير ابن كثير، ت سلامة (٨/ ٣٥١)

(٢) مجموع الفتاوى (٦/ ٥٠٠ـ٥٠٢)

٤. **حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ** رضي الله عنه، أَنَّ نَاسًا فِي زَمَنِ رَسُولِ الله ﷺ قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «نَعَمْ» قَالَ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ صَحْوًا لَيْسَ مَعَهَا سَحَابٌ؟ وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ صَحْوًا لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ؟**» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «**مَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا**». الحديث. رواه البخاري (٤٥٨١) ومسلم (١٨٣).

٥. **حديث أبي موسى عَبْدِ الله بْنِ قَيْسٍ** رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا، وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا، وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ**» رواه البخاري (٤٨٧٨) ومسلم (١٨٠) وبنحوه حديث أبي هريرة. والأحاديث في ذلك متواترة، كما قيل:

مما تواتر حـــديث من كذب ..... ومن بنى لله بيتـا واحتســـب

ورؤية شفاعـة والحـــوض ..... ومسح خفين وهذي بعـــض. (١)

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله: الإيمان بأن المؤمنين يرون ربهم في الآخرة فإن الإيمان بذلك فرض واجب؛ لما قد تواتر فيها عن النبي ﷺ وصحابته وسلف الأمة.اهـ. (٢)

---

(١) قال الكتاني في نظم المتناثر من الحديث المتواتر ص ١٨: قال الشيخ التاودي في حواشيه على الصحيح وقد نظمت ذلك فقلت. مما تواتر حديث من كذب..... فذكر الأبيات.اهـ. قلت: ذكر الزركلي في الأعلام (٦/ ٦٢) ترجمته، وهو: محمد التَّاوُدِي بن محمد الطَّالِب ابن محمد بن علي، ابن سَوْدَة المُرِّي الفاسي، فقيه المالكية في عصره، وشيخ الجماعة بفاس. ذاعت شهرته بعد رحلة قام بها إلى مصر والحجاز. له (زاد المجد الساري – ط) حاشية على البخاري، و (تعليق على صحيح مسلم) و (حاشية على سنن أبي داود)، المتوفى سنة ٨٢٩ هـ.

(٢) مجموع الفتاوى (٦/ ٥٠٤)

وعلى ذلك إجماع السلف: **قال الإمام النووي** رَحِمَهُ اللَّهُ: اعلم أَنَّ مَذْهَبَ أَهْلِ السُّنَّةِ بِأَجْمَعِهِمْ أَنَّ رُؤْيَةَ الله تَعَالَى مُمْكِنَةٌ غَيْرُ مُسْتَحِيلَةٍ عَقْلًا وَأَجْمَعُوا أَيْضًا عَلَى وُقُوعِهَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَ الله تَعَالَى دُونَ الْكَافِرِينَ.

وَزَعَمَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ الْمُعْتَزِلَةُ وَالْخَوَارِجُ وَبَعْضُ الْمُرْجِئَةِ أَنَّ الله تَعَالَى لَا يَرَاهُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ وَأَنَّ رُؤْيَتَهُ مُسْتَحِيلَةٌ عَقْلًا، وَهَذَا الَّذِي قَالُوهُ خَطَأٌ صَرِيحٌ وَجَهْلٌ قَبِيحٌ، وَقَدْ تَظَاهَرَتْ أَدِلَّةُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ الصَّحَابَةِ فَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ سَلَفِ الْأُمَّةِ عَلَى إِثْبَاتِ رُؤْيَةِ اللهَّ تَعَالَى فِي الْآخِرَةِ لِلْمُؤْمِنِيْنِ، وَرَوَاهَا نَحْوٌ مِنْ عِشْرِينَ صَحَابِيًّا عَنْ رَسُولِ الله ﷺ وَآيَاتُ الْقُرْآنِ فِيهَا مَشْهُورَةٌ.اهـ. (١)

وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: قد دل القران والسنة المتواترة وإجماع الصحابة وأئمة الإسلام، وأهل الحديث عصابة الإسلام ونُزُلُ الإيمان، وخاصَّةُ رسول الله ﷺ، على أن الله سبحانه وتعالى يرى يوم القيامة بالأبصار عيانا كما يرى القمر ليلة البدر صحوا وكما ترى الشمس في الظهيرة.اهـ. (٢)

٧. وَلَيْسَ بِمَوْلُودٍ وليسَ بِوَالِدٍ ..... وَلَيسَ لهُ شِبْهٌ تَعَالَى المسَبَّحُ

قوله: (**وَلَيْسَ بِمَوْلُودٍ**) لأنه لو وُلِدَ لكان مسبوقًا بوالد، مع أنه جل وعلا هو الأول الذي ليس قبله شيء، وهو الخالق وما سواه مخلوق، فكيف يولد؟

قال الله عز وجل: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾[الحديد:٣] وقال النبي ﷺ: «**اللهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ**

(١) شرح مسلم (٣/ ١٥)

(٢) حادي الأرواح (ص: ٣٤٢)

الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ» رواه مسلم (٢٧١٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قوله: (وليسَ بِـوَالِـدٍ) لأنه لا مثيل له، ولا صاحبة له؛ ولأنه مستغنٍ عن كل أحد، قال الله عز وجل: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [يونس:٦٨]

وقال تعالى ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾ [الأنعام:١٠١]

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾ [النساء:١٧١]

وقال جل وعلا: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص:٤]

وفي قوله: (لم يلد) رَدٌّ على ثلاث طوائف منحرفة من بني آدم، وهم:

١. **المشركون**: جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثًا.

٢. **اليهود**: قالوا: عزير ابن الله.

٣. **النصارى**: قالوا: المسيح ابن الله. فكذبهم الله بقوله: (لم يلد ولم يولد)

وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟» قَالُوا: وَكَيْفَ يَقْرَأُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟ قَالَ: «﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ» «إِنَّ اللهَ جَزَّأَ الْقُرْآنَ ثَلَاثَةَ أَجْزَاءٍ، فَجَعَلَ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ جُزْءًا مِنْ

أَجْزَاءِ الْقُرْآنِ» رواه مسلم.(١)

ومعنى قوله ﷺ: « تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ»: حمله بعضهم على ظاهره، فقال: هي ثلث باعتبار معاني القرآن؛ لأنه أحكام، وأخبار، وتوحيد، وقد اشتملت هي على القسم الثالث، فكانت ثلثًا بهذا الاعتبار. **قال شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد بينا أن أحسن الوجوه أن معاني القرآن ثلاثة أنواع: توحيد وقصص وأحكام. وهذه السورة صفة الرحمن فيها التوحيد وحده.اهـ.(٢)

قوله: (وَلَيسَ لهُ شِبْهٌ) أي: ليس له نظير ولا ند، ولا سَمِيٌّ ولا كفء، وليس له مثيل سبحانه وتعالى. وهذا النفي المقصود منه كمال صفاته، لأنه لكمال صفاته لا أحد يماثله، لا في أسمائه ولا في أوصافه، ولا في أفعاله، تبارك وتعالى.

قال سبحانه: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾[مريم:٦٥] أي: ليس له شبيه ولا نظير ولا أحد يساويه في جميع صفات الكمال. وقال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص:٤]

أي: لم يكن له أحد مساويًا لا في أسمائه ولا في أوصافه، ولا في أفعاله، تبارك وتعالى. وقال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾[البقرة: ٢٢]

فقوله: (**فَلا تَجْعَلُوا للهِ أَنْدَادًا**) أي: نظراء وأشباها من المخلوقين، فتعبدونهم كما تعبدون الله، وتحبونهم كما تحبون الله، وهم مثلكم، مخلوقون، مرزوقون مدبرون، لا يملكون مثقال ذرة في السماء ولا في الأرض، ولا ينفعونكم ولا يضرون.

(**وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**) أن الله ليس له شريك، ولا نظير، لا في الخلق، والرزق،

---

(١) رواه مسلم (٨١١) وأخرجه البخاري (٥٠١٥) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) مجموع الفتاوى (١٧/ ١٣٤)

والتدبير، ولا في العبادة فكيف تعبدون معه آلهة أخرى مع علمكم بذلك؟ هذا من أعجب العجب، وأسفه السفه. وهذه الآية جمعت بين الأمر بعبادة الله وحده، والنهي عن عبادة ما سواه، وبيان الدليل الباهر على وجوب عبادته، وبطلان عبادة من سواه.

وعَنْ عَبْدِ الله بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: **أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ الله؟** قَالَ: «**أَنْ تَجْعَلَ لله نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ**» رواه البخاري (٤٤٧٧) ومسلم (٨٦).

وقال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[الشورى:١١]

أي: ليس مثله أحد من خلقه. (**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**) في علمه وقدرته وسمعه وبصره وعزته وحكمته ورحمته وغير ذلك من صفاته.

(**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**) في كل كمال. فهذه الآيات كلها فيها تنزيه لله، عن كل نقص، وأنه لا مثيل له، ولا ندله، أي: أن الله سبحانه منزه ومتعال عن الأنداد، فليس له نظير ولا مثيل.

قوله: (**تَعَالَى المسَبَّحُ**) تعالى: أي: ترفع وتقدس، وتنزه. (١)

وقوله: (**المسَبَّحُ**) أي: المنزه عن كل نقص وعيب، فهو منزه عن صفات النقص، منزه عن الصاحبة والولد، ومنزه عن الشريك، ومنزه عن أن يكون له مثيل، ومنزه عما لا يليق به سبحانه.

قال الله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات:١٨٠-١٨٢]

فنزه نَفسه عَمَّا يصفه بِهِ الواصفون، وَسلَّمَ على الْمُرْسلين؛ لِسَلَامَةِ مَا وَصَفُوهُ بِهِ

(١) شرح الواسطية للعثيمين (ص: ٣٦٧)، ومجموع فتاوى العثيمين (٨/ ٣١٠).

من كل نقص وعيب، وَحمدَ نَفسه إِذْ هُوَ المَوْصُوف بِصِفَات الْكَمَال الَّتِي يسْتَحق لأَجلهَا الْحَمد ومنزه عَن كل نقص يُنَافِي كَمَال حَمده.

قال الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: ومعلوم أن الإجماع على تنزيه الله تعالى عن صفات النقص، متناول لتنزيهه عن كل نقص من صفاته الفعلية وغير الفعلية.اهـ. (١)

وتنزيه الله عز وجل يكون عن ثلاثة أشياء:

١ ـ **تنزيه عن النَّقصِ في صفات الكمال.** فصفاته التي يتصف بها، منزَّه فيها عن كُلِّ نقص، متَّصف بالعِلمِ الكاملِ، وبالحياةِ الكاملةِ، وبالسَّمْعِ الكامل، وبالبصر الكامل.

٢ ـ **تنزيه عن صفات النَّقصِ المجردة عن الكمال.**

فهو سبحانه مُنزَّه عن أن يوصف بصفة نَقْصٍ محضة، مثل أن يوصف بالعجز، أو الظُّلم، أو ما أشبه ذلك، تعالى الله عن ذلك.

٣ ـ **تنزيه عن مماثلة المخلوقين.**

❁ فالله عز وجل مُنزَّه عن أن تكون صفاتُه الخبريَّة كصفات المخلوقين، مثل: الوجه، واليدين، والقدم، والعينين.

❁ ومُنزَّه أن تكون صفاتُه الذاتية المعنوية كصفات المخلوقين، فعلمُه ليس كعِلْمِ المخلوق؛ وقدرته ليست كقدرة المخلوق، فهو سبحانه كاملُ العِلْمِ، كامل

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٤/ ٨٩) وجلاء الأفهام (ص: ١٧٠) ومختصر الصواعق (ص: ١٦) وتفسير ابن كثير ت سلامة (١/ ٣٩٦) والقاموس، والمصباح المنير (١/ ١٠٥) وتيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٥) (ص: ٩٣٧) شرح العقيدة الواسطية للعثيمين (١/ ١٢٩) (١/ ١٠٣) (١/ ٣٥٦) (١/ ١٤٥) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ١١) وفتاوى نور على الدرب للعثيمين، ومجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٨/ ١٣١) (١٠/ ٦٢٥) وتفسير العثيمين: جزء عم (ص: ٣٥٠) والشرح الممتع (١٠/ ٣٥٩).

القدرة.

❁ ومنزه عن أن يماثل المخلوق في صفاته الفعلية، مثل: الاستواء على العرش، والنُّزول إلى السَّماءِ الدُّنيا، والمجيء إلى الفصل بين العباد، والرِّضى والغضب، وما أشبه ذلك، وإنْ وافقها في الاسم، فالاسمُ هو الاسمُ، ولكن المُسمَّى غير المُسمَّى، فالصِّفةُ هي الصفة، ولكن الموصوف غير الموصوف؛ فلا تماثل بين الخالق والمخلوق. أفاده العلامة العثيمين.(١)

٨. وَقَـدْ يُنكِرُ الجَهْمِيُّ هَذَا وعِنْدَنَا .... بِمِصْـدَاقِ ما قُلْنَا حَـدِيثٌ مُصَرِّحُ

قوله: (**وَقَـدْ يُنكِرُ الجَهْمِيُّ هَذَا**): (**قد**) هنا تفيد التحقيق، أي: أن الجهمي، وهو المتبع لمذهب الجهمية المبتدعة، ينكر ويكذب برؤية المؤمنين لربهم في الآخرة، وليس لهم مستند شرعي في ذلك.

وهو مذهب المعتزلة، ووافقهم متأخروا الخوارج، والإباضية منهم، والرافضة والزيدية، وهو لازم قول الأشاعرة والكلابية.(٢)

---

(١) الشرح الممتع (٣/ ٤٢ـ٤٤).

(٢) **قال الإمام ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٣٠٢): وهؤلاء الجهمية معروفون بمفارقة السنة والجماعة وتكفير من خالفهم واستحلال دمه كما نعت النبي ﷺ الخوارج، لكن قولهم في الله أقبح من قول الخوارج وإن كان للخوارج من المباينة للجماعة والمقاتلة لهم ما ليس لهم، مع أن أهل المقالات ذكروا أن قول الخوارج في الصفات هو قول الجهمية والمعتزلة هذا ذكره الأشعري وغيره من المعتزلة، وهذا والله أعلم يكون قول من تأخر من الخوارج إلى أن حدث التجهم في أول المائة الثانية.

وأما الخوارج الذين كانوا في زمن الصحابة وكبار التابعين فأولئك لم يكن قد ظهر في زمنهم التجهم أصلا ولا عرف في الأمة إذ ذاك من كان ينكر الصفات أو ينكر أن يكون على العرش أو يقول أن القرآن مخلوق أو ينكر =

والناس في الرؤية على أربعة أقسام:

الأول: من أنكر الرؤية في الدنيا والآخرة، وهم الجهمية والمعتزلة.

الثاني: من أثبتها في الدنيا والآخرة، وهم الحلولية.

الثالث: من قال إن الله يرى في الآخرة من غير معاينة، وهم الأشاعرة، والكلابية، ولازم قولهم إنكار الرؤية.

الرابع: من قال: لا يرى في الدنيا ويرى في الآخرة بالأبصار عيانا، وهم أهل الحق المتبعون للسلف.

قال الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: والناس في رؤية الله **على ثلاثة أقوال:**

فالصحابة والتابعون وأئمة المسلمين على أن الله يرى في الآخرة بالأبصار عيانًا، وأنَّ أحدًا لا يراه في الدنيا بعينه ....

(والقول الثاني): قول نفاة الجهمية أنه لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة .

(والثالث): قول من يزعم أنه يرى في الدنيا والآخرة. وحلولية الجهمية يجمعون بين النفي والإثبات فيقولون: إنه لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة وإنه يرى في الدنيا والآخرة. وهذا قول ابن عربي صاحب الفصوص وأمثاله.اهـ. (١)

والقسم الرابع: نقله في موضع آخر وهو قول الأشاعرة، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: قول هؤلاء: إن الله يرى من غير معاينة ومواجهة قول انفردوا به دون سائر طوائف الأمة وجمهور العقلاء، على أن فساد هذا معلوم بالضرورة . والأخبار المتواترة عن

= رؤية الله تعالى ونحو ذلك مما ابتدعته الجهمية من هذه الأمة .اهـ. وانظر: شرح الطحاوية للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (ص:١٣٦)

(١) مجموع الفتاوى (٢/ ٣٣٦)

النبي ﷺ ترد عليهم.اهـ. (١)

حكم من أنكر الرؤية في الآخرة:

قال الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالَّذِي عَلَيْهِ جُمْهُورُ السَّلَفِ أَنَّ مَنْ جَحَدَ رُؤْيَةَ اللهِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ فَهُوَ كَافِرٌ؛ فَإِنْ كَانَ مِمَّنْ لَمْ يَبْلُغْهُ الْعِلْمُ فِي ذَلِكَ عُرِّفَ ذَلِكَ كَمَا يُعَرَّفُ مَنْ لَمْ تَبْلُغْهُ شَرَائِعُ الْإِسْلَامِ، فَإِنْ أَصَرَّ عَلَى الْجُحُودِ بَعْدَ بُلُوغِ الْعِلْمِ لَهُ فَهُوَ كَافِرٌ.اهـ. (٢)

وفي معرض ذكر أحاديث الرؤية، **قال الإمام ابن القيم** رَحِمَهُ اللَّهُ: فهاك سياق أحاديثهم من الصحاح والمسانيد والسنن وتلقَّها بالقبول والتسليم وانشراح الصدر لا بالتحريف والتبديل وضيق العطن ولا تُكَذِّب بِهَا، فَمن كَذَّبَ بها لم يكن إلى وجه ربه من الناظرين وكان عنه يوم القيامة من المحجوبين.اهـ. (٣)

قوله: (**وَعِنْدَنَا**): أي: عند أهل السنة المتبعين للسلف.

قوله: (**بِمِصْدَاقِ ما قُلْنَا**): أي: عندنا ما يدل على صدق قولنا، وهي أدلة ظاهرة جلية متواترة، لا ينكرها إلا جاهل أو مكابر، في أن المؤمنين يرون ربهم بالأبصار يوم القيامة.

قوله: (**حَدِيثٌ مُصَرِّحُ**): أي: حديث صريح في إثبات الرؤية، بل رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة يدل عليها القرآن والسنة وإجماع السلف، كما تقدم ذلك.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٦/ ٨٤).

(٢) مجموع الفتاوى (٦/ ٤٨٦).

(٣) حادي الأرواح (ص: ٢٩٧).

٩. رَوَاهُ جَرِيـرٌ عـن مَقَـالِ مُحـمَّدٍ ..... فقُلْ مِثْلَ ما قَدْ قَالَ في ذَاكَ تَنْجَحُ

قوله: (**رَوَاهُ جَرِيـرٌ**): أي: روى الحديث الصحيح الصريح في هذه المسألة جرير وهو ابن عبد الله البجلي جَرِيْرُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ جَابِرِ بنِ مَالِكٍ البَجَلِيُّ القَسْرِيُّ الأَمِيْرُ، النَّبِيْلُ، الجَمِيْلُ، أَبُو عَمْرٍ، كان سيدا في قومه مطاعا، وكان إسلامه متأخرا عن الفتح، وبعد نزول سورة المائدة، وَبَايَعَ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى النُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ. (١)

ومن فضائله: قال جرير رضي الله عنه: مَا رَآنِي رَسُوْلُ اللهِ ﷺ إِلاَّ تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي، وَقَالَ: «**يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ مِنْ هَذَا البَابِ رَجُلٌ مِنْ خَيْرِ ذِي يَمَنٍ، عَلَى وَجْهِهِ مِسْحَةُ مَلَكٍ**» فدخل جرير رضي الله عنه. (٢) ودعا له النبي ﷺ، حين بعثه لكسر صنم دوس ذي الخلصة، فقال: «**اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا**»فَنَفَرْتُ فِي مِائَةٍ وَخَمْسِينَ رَاكِبًا فَكَسَرْنَاهُ، وَقَتَلْنَا مَنْ وَجَدْنَا عِنْدَهُ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ فَدَعَا لَنَا وَلِأَحْمَسَ، متفق عليه.(٣) روى عن رسول الله ﷺ نحوا من مائة حديث بالمكرر.

ونزل جرير الكوفة وسكنها، وكان له بها دار، ثم تحول إلى قرقيسياء، ومات بها سنة أربع وخمسين. وقيل: مات بالسراة في ولاية الضحاك بن قيس على الكوفة لمعاوية، سَنَةَ إِحْدَى وَخَمْسِيْنَ. (٤)

قوله: (**عَـنْ مَقَـالِ مُحـمَّدٍ**): أي: رواه عن رسول الله ﷺ وهو الصادق

---

(١) رواه البخاري (٥٧) ومسلم (٥٦).

(٢) رواه البخاري في "الأدب المفرد" (٢٥٠) وصححه العلامة الألباني"الصحيحة" (٣١٩٣)، ومعنى **مسحة ملك**: يقال على وجهه مسحة ملك ومسحة جمال أي أثر ظاهر منه، ولا يقال ذلك إلا في المدح. "النهاية".

(٣) رواه البخاري(٤٣٥٥،٣٠٣٥) ومسلم (٢٤٧٦) عن جرير رضي الله عنه .

(٤) "الاستيعاب" (١/ ٢٣٨) و"سير أعلام النبلاء" ط الرسالة (٢/ ٥٣٠ـ٥٣٦) و"البداية والنهاية" ط: هجر (٧/ ٣٢٩).

المصدوق، الذي لا ينطق عن الهوى، الحديث رواه الشيخان في صحيحيهما الذين هما أصح الكتب المصنفة، من طريق إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ، حَدَّثَنَا قَيْسُ بْنُ أَبِي حَازِمٍ، قَالَ: سَمِعْتُ جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ الله، وَهُوَ يَقُولُ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ، إِذْ نَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، فَقَالَ: «**أَمَا إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَقَبْلَ غُرُوبِهَا**» يَعْنِي الْعَصْرَ وَالْفَجْرَ، ثُمَّ قَرَأَ جَرِيرٌ {**وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا**} [طه: ١٣٠] رواه البخاري (٥٥٤) ومسلم (٦٣٣). فشبه الرؤية بالرؤية ولم يشبه المرئي بالمرئي؛ فإن الكاف حرف التشبيه، دخل على الرؤية. (١)

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ عن حديث جرير رضي الله عنه: وَهَذَا الْحَدِيثُ مِنْ أَصَحِّ الْأَحَادِيثِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ الْمُتَلَقَّاةِ بِالْقَبُولِ الْمُجْمَعِ عَلَيْهَا عِنْدَ الْعُلَمَاءِ بِالْحَدِيثِ وَسَائِرِ أَهْلِ السُّنَّةِ.اهـ. (٢)

ولا يرد هذا الحديث وأمثاله من أحاديث الصفات إلا المعطلة من الجهمية، ومن نحا نحوهم، وسلك سبيلهم في اتباع الهوى ورد الحق والهدى.

قال عبد الله بن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ في السنة (١/ ٢٣١) (٤١٨) حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ بُهْلُولٍ الْأَنْبَارِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ وَكِيعًا، يَقُولُ: مَنْ رَدَّ حَدِيثَ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ عَنْ قَيْسٍ، عَنْ جَرِيرٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الرُّؤْيَةِ فَاحْسِبُوهُ مِنَ الْجَهْمِيَّةِ. إسناده صحيح، إسحاق بن بهلول: وثقه الخطيب.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٦/ ٨٤)

(٢) مجموع الفتاوى (٦ / ٤٢١)

وقد ذكرنا في ما مضى جملة من الأدلة على رؤية الله تعالى، وحديث جرير ليس هو الدليل الوحيد في هذه المسألة.

قال الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: فأبو الحسين البصري وأمثاله من المعتزلة يعتمدون في أصول دينهم على أحاديث قد يجمعها عبد الوهاب بن أبي حية البغدادي فيها الكذب والضعف، وأضعافها من الأخبار المتواترة لا يعرفونها البتة، حتى يعتقدون أنه ليس في الرؤية إلا حديث جرير بن عبد الله البجلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**إنكم ترون ربكم كما ترون الشمس والقمر فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا**»

ويقولون : هذا لم يروه إلا قيس بن أبي حازم وكان يبغض عليا فيظنون أنه ليس في الرؤية إلا هذا الحديث.

وأهل العلم بالحديث يعلمون أحاديث الرؤية متواترة أعظم من تواتر كثير مما يظنونه متواترا، وقد احتج أصحاب الصحيح منها أكثر مما خرجوه في الشفعة والطلاق والفرائض وسجود السهو، ومناقب عثمان وعلي وتحريم المرأة على عمتها وخالتها والمسح على الخفين والإجماع وخبر الواحد والقياس وغير ذلك من الأبواب الذين يقولون إن أحاديثها متواترة.

فأحاديث الرؤية أعظم من حديث كل نوع من هذه الأنواع، وفي الصحاح منها أكثر مما فيها من هذه الأنواع، مثل حديث أبي هريرة الطويل في تجليه يوم القيامة ومرورهم على الصراط وهو في الصحيح أيضا من حديث أبي سعيد ومن حديث جابر، وفي الصحيحين حديث أبي موسى في رؤيته في الجنة، وفي الصحيحين في حديث الشفاعة رؤيته لربه، وفي الصحيح حديث صهيب في رؤية أهل الجنة.

وأما أحاديث العلو وما يتضمن هذا المعنى فأضعاف أضعاف أحاديث الرؤية فأبو الحسين وأمثاله من المعتزلة وكذلك الغزالي والرازي وأمثالهما من فروع الجهمية، هم من أقل الناس علما بالأحاديث النبوية وأقوال السلف، في أصول الدين وفي معاني القرآن وفيما بلغوه من الحديث.اهـ. (١)

وقد أورد **الإمام ابن القيم** رَحِمَهُ اللَّهُ جملة كبيرة من أدلة الرؤية في كتاب حادي الأوراح، وأفردت المسألة بالتأليف عند السلف، ومن ذلك:

كتاب الرؤية للإمام علي بن عمر الدارقطني البغدادي (ت: ٣٨٥هـ).

ورؤية الله لعبد الرحمن بن عمر التجيبي المصري ابن النحاس المالكي (ت:٤١٦هـ)

قوله: (**فَقُلْ مِثْلَ ما قَدْ قَالَ في ذَاكَ تَنْجَحُ**): أي: قل أيها المتمسك بالحق بما قاله الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، في إثبات رؤية الله تعالى، وفي غيره مما دلت عليه الأدلة في صفات الله عموما، ولا تقل بقول أهل التعطيل من الجهمية وغيرهم من أهل الأهواء؛ لأن الواجب على المسلم اتباع الحق، ففيه الفلاح والنجاح.

وقوله: (**تَنْجَحُ**) النَّجَاحُ، بالفتح، والنُّجْحُ، بالضم: الظَّفَرُ بالشيء. القاموس (ص: ٢٤٣).

فمن اتبع الحق، وسلم للشرع ظفر بمطلوبه، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٥٢﴾ [النور:٥٢].

❁ ❁ ❁

(١) درء تعارض العقل والنقل (٤/ ٩٠)

صفة اليدين

١٠. وَقَدْ يُنكِرُ الجَهْمِيُّ أَيضًا يَمِيْنَهُ ..... وَكِلْتَا يَدَيْهِ بالفواضِلِ تَنْفَحُ

قوله: (وَقَدْ يُنكِرُ الجَهْمِيُّ) (قد) هنا: كما سبق تفيد التحقيق، كقول الله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾[الأحزاب:١٨] وفي هذا البيت بين فيه الناظم رحمه الله، مذهب الجهمية في صفة اليدين، وأنهم ينكرونها، كما هو مذهبهم في نفي جميع الأسماء والصفات، ووافقهم في نفي صفة اليدين المعتزلة، والأشاعرة.

ويؤولون اليد بمعنى القدرة أو القوة، أو بمعنى النعمة، والقوة شيء واليد شيء آخر، والنعمة شيء واليد شيء آخر. **فيقال لهم:**

كيف تفسرون قول الله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥] فهل يقال:

لما خلقت بقدرَتَيَّ، فهي قدرة واحدة، وهل يقال: لما خلقت بنعمتي.

قوله: (أَيضًا) أيضًا: مصدر آض يئيض أيضا أي رجع وعاد يعود، فإذا قلت: أيضا تقول أعد لي ما مضى.(١) فكلمة (أيضا) فيها معنى الرجوع إلى مثل ما سبق، **فقوله:** (أَيضًا يَمِيْنَهُ) أي: أن الجهمي ينكر كذلك يمين الرب، كما أنكر رؤية الله تعالى، ثم بين المؤلف مذهب أهل الحق في ذلك فقال: (وَكِلْتَا يَدَيْهِ بالفواضِلِ تَنْفَحُ): أي: وكلتا يدي الرب سبحانه، (بالفواضِلِ): بالعطاء والنعم. (تَنْفَحُ): النفحة العطية،ونفحه بشيء أي أعطاه.(٢)

وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْمُكْثِرِينَ هُمُ الْمُقِلُّونَ يَوْمَ

(١) لسان العرب (٧ / ١١٦).

(٢) المصباح (٢/ ١١٦) ولسان العرب (٢ / ٦٢٢)

الْقِيَامَةِ، إِلَّا مَنْ أَعْطَاهُ اللهُ خَيْرًا، فَنَفَحَ فِيهِ يَمِينَهُ وَشِمَالَهُ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ وَوَرَاءَهُ، وَعَمِلَ فِيهِ خَيْرًا» رواه البخاري (٦٤٤٣)، ومسلم (٩٤).

والمعنى: أن الله عز وجل يعطي عباده ويمدهم، وعطاء الله لا ينقطع عنهم، وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: **يَدُ اللهِ مَلْأَى لاَ يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ، وَقَالَ: عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، وَبِيَدِهِ الأُخْرَى المِيزَانُ، يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ**، رواه البخاري (٧٤١١) ومسلم (٩٩٣). ومعنى (**لا يغيضها**): أي: لا ينقصها، (**سحَّاء**): أي: دائمة الصب والهطل بالعطاء. (١)

قوله: «**وبيده الأخرى الميزان يخفض ويرفع**» قال الحافظ عند حديث أبي هريرة في البخاري رقم (٧٤١١) وفي هذه الرواية رد على من تأول اليد بالقدرة، قال ابن التين قوله: «**وبيده الأخرى الميزان**» يدفع تأويل اليد هنا بالقدرة. (٢)

فأهل السنة يثبتون صفات الله تعالى، وهي على قسمين:

صفات ذاتية، وهي التي لم يزل ولا يزال متصفا بها.

وصفات فعليه، متعلقة بمشيئته.

فالفعلية: كالاستواء، والنزول، والخلق والرزق.

والذاتية، نوعان:

أ. **معنوية**، كالعلم والحياة والقدرة والحكمة.

أ. **خبرية**؛ كالوجه واليدين والعينين والأصابع. (٣)

---

(١) النهاية.

(٢) الفتح (١٣/ ٣٩٤).

(٣) شرح العقيدة الواسطية للعثيمين (١/ ٧٨).

وهي صفات تليق به سبحانه نثبتها من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى:١١]

فلله تعالى يدان حقيقيتان ثابتان بالأدلة من الكتاب والسنة على الوجه اللائق به سبحانه، ليست كأيدي المخلوقين، ومن أدلة ذلك:

١. قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾﴾[ص:٧٥]

قال الإمام الدارمي رَحِمَهُ اللَّهُ: حدثنا موسى بن إسماعيل ثنا عبد الواحد بن زياد ثنا عبيد بن مهران ثنا مجاهد قال قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: **خلق الله أربعة أشياء بيده**: العرش، والقلم، وجنةَ عَدْنٍ، وآدم، ثم قال لسائر الخلق كن فكان. رجاله ثقات. وقال العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في مختصر العلو(٧٥): إسناده صحيح على شرط مسلم.

٢. قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ﴾ [المائدة:٦٤]. (١)

والتثنية في اللغة تدل على الحقيقة.

قال الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: ولست تجد في كلام العرب ولا العجم، إن شاء الله تعالى، أن فصيحا يقول: فعلت هذا بيدي أو فلان فعل هذا بيديه إلا ويكون فعله بيديه حقيقة. ولا يجوز أن يكون لا يد له أو أن يكون له يد والفعل وقع بغيرها.

وبهذا الفرق المحقق تتبين مواضع المجاز ومواضع الحقيقة؛ ويتبين أن الآيات لا تقبل المجاز البتة من جهة نفس اللغة.اهـ. (٢)

---

(١) النقض على المريسي (١/ ٢٦١)

(٢) مجموع الفتاوى (٦/ ٣٦٦)

قال أبو الحسن الأشعري رَحِمَهُ اللَّهُ: وأجمعوا على أنه عز و جل يسمع ويرى وأن له تعالى يدين مبسوطتين وأن الأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه.اهـ. (١)

ويد الله عز وجل توصف بأنها يَمِين، وهذا ثابتٌ بالكتاب والسنة.

ومن أدلة ذلك:

١. قول الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزُّمَر:٦٧]

٢. حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ يَمِينَ اللهِ مَلْأَى لاَ يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ مَا فِي يَمِينِهِ، وَعَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، وَبِيَدِهِ الأُخْرَى الفَيْضُ أَوِ القَبْضُ يَرْفَعُ وَيَخْفِضُ**» رواه البخاري (٧٤١٩) ومسلم (٩٩٣).

٣. حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**يَقْبِضُ اللهُ الأَرْضَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ**». رواه البخاري (٧٣٨٢)، ومسلم (٢٧٨٧).

٤. حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلاَ يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ**». رواه البخاري (٧٤٣٠)، ومسلم (١٠١٤).

---

(١) رسالة إلى أهل الثغر (٢٢٥)

٥. **عن** عبد الله بن عمرو، رضي الله عنهما قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ الله عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا**» رواه مسلم (١٨٢٧).

وقال **الإمام ابن القيم** رحمه الله: وَرَدَ لَفْظُ الْيَدِ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَكَلَامِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ فِي أَكْثَرِ مِنْ مِائَةِ مَوْضِعٍ وُرُودًا مُتَنَوِّعًا مُتَصَرَّفًا فِيهِ مَقْرُونًا بِمَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا يَدٌ حَقِيقَةً، مِنَ الْإِمْسَاكِ وَالطَّيِّ وَالْقَبْضِ وَالْبَسْطِ ...اهـ. (١)

❁ ❁ ❁

(١) مختصر الصواعق (ص: ٤٠٥)..

صفة النزول الإلهي

١١. وَقُـلْ يَنْـزِلُ الجَبَّارُ فـي كُـلِّ لَيْلَةٍ ..... بِلا كَيْفَ جَلَّ الوَاحِدُ المتَمَدِّحُ

١٢. إلى طَبَـقِ الدُّنيا يَمُـنُّ بِفَضْلِـهِ ..... فَتُفْـرَجُ أَبْوابُ السَّـماءِ وتُفْتَـحُ

١٣. يَقولُ : ألا مُسْـتغفِـرٌ يَلْـقَ غَافِرًا ..... ومُسْـتَمنِحٌ خَيْرًا ورِزقًا فأمْنَـحُ

١٤. رَوَى ذَاكَ قَـومٌ لا يُـرَدُّ حَدِيثُهم ..... ألا خَابَ قَـوْمٌ كذَّبوهُم وقُبِّحُوا

قوله: (وَقُـلْ يَنْـزِلُ الجَبَّارُ) **الجبار:** من أسماء الله الحسنى، قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر:٢٣]

والجبار له ثلاثة معان:

المعنى الأول: أنه الذي يجبر الضعيف وكل قلب منكسر لأجله، فيجبر الكسير، ويُغني الفقير، ويُيسّر على المعسر كل عسير، ويجبر المصاب بتوفيقه للثبات والصبر، ويعوِّضُهُ على مصابه أعظم الأجر إذا قام بواجبها، ويجبر جبرا خاصاً قُلوبَ الخاضعينَ لعظمته وجلاله.

والمعنى الثاني: أنه القهَّار لكل شيء، الذي دان له كلُّ شيء، وخضع له كلُّ شيء.

والمعنى الثالث: أَنَّهُ العليُّ على كل شيء. فالجبار مُتضمن لمعنى الرءوف القهَّار العليّ.(١)

(١) تفسير أسماء الله الحسنى للعلامة السعدي (ص: ١٧٧).

قوله: (**وَقُلْ يَنْزِلُ الجَبَّارُ في كُلِّ لَيْلَةٍ**) يخاطب الناظم من يعتقد العقيدة الصحيحة المؤيدة بنصوص الوحيين، أن يقول ذلك، مؤمنا مصدقا بهذه الصفة.

فنزول الله عز وجل إلى السماء الدنيا في ثلث الليل الآخر من كل ليلة من صفات الله تعالى، الثابتة بالسنة وإجماع السلف، ونص في الحديث على أن ذلك يكون كل ليلة.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ، قَالَ: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ**» متفق عليه (١).

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله وقد سئل عن حديث النزول: هَذَا الْقَوْلَ الَّذِي قَالَهُ؛ قَدْ اسْتَفَاضَتْ بِهِ السُّنَّةُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ وَاتَّفَقَ سَلَفُ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتُهَا وَأَهْلُ الْعِلْمِ بِالسُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ عَلَى تَصْدِيقِ ذَلِكَ وَتَلَقِّيه بِالْقَبُولِ.اهـ. (٢)

قوله: (**بِلا كَيْف**) أي: نؤمن بهذه الصفة وسائر الصفات بغير تكييف لها، لأن كيفية الشيء، حقيته وكُنْهُه وعقول البشر تعجز عن معرفة حقيقة صفات الله وكيفيتها؛ لأن الشيء لا يمكن إدراكه إلا بمشاهدته، أو مشاهدة نظيره، أو الخبر الصادق عنه، وكل ذلك منتف بالنسبة لكيفية صفات الله تعالى، فإننا وإن كنا نعلم معاني هذه الصفات، لكننا لا ندرك حقائقها وكيفيتها؛ لقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه: ١١٠]

وقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ

---

(١) رواه البخاري (١١٤٥) ومسلم (٧٥٨).

(٢) مجموع الفتاوى (٥/ ٣٢٢).

﴿١٠٣﴾[الأنعام:١٠٣] وقال النبي ﷺ : « **لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**» رواه مسلم (٤٨٦) عن عائشة رضي الله عنها.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: التَّكْيِيفَ مَأْثُورٌ نَفْيُهُ عَنْ السَّلَفِ كَمَا قَالَ رَبِيعَةُ وَمَالِكٌ وَابْنُ عُيَيْنَة وَغَيْرُهُمْ الْمَقَالَةَ الَّتِي تَلَقَّاهَا الْعُلَمَاءُ بِالْقَبُولِ: **الِاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ وَالْكَيْفُ مَجْهُولٌ وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ**، فَاتَّفَقَ هَؤُلَاءِ السَّلَفُ عَلَى أَنَّ الْكَيْفَ غَيْرُ مَعْلُومٍ لَنَا.اهـ.(١)

وقال أيضا: وَهُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ اللهَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَأَنَّهُ لَا يُعْلَمُ كَيْفَ يَنْزِلُ، وَلَا تُمَثَّلُ صِفَاتُهُ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ اهـ. (٢).

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: الْعَقْل قَدْ يَئِسَ مِنْ تَعَرُّفِ كُنْهِ الصِّفَةِ وَكَيْفِيَّتِهَا، فَإِنَّهُ لَا يَعْلَمُ كَيْفَ الله إِلَّا الله.

وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ السَّلَفِ: (**بِلَا كَيْفٍ**) أَيْ: بِلَا كَيْفٍ يَعْقِلُهُ الْبَشَرُ، فَإِنَّ مَنْ لَا تُعْلَمُ حَقِيقَةُ ذَاتِهِ وَمَاهِيَّتُهُ، كَيْفَ تُعْرَفُ كَيْفِيَّةُ نُعُوتِهِ وَصِفَاتِهِ؟

وَلَا يَقْدَحُ ذَلِكَ فِي الْإِيمَانِ بِهَا، وَمَعْرِفَةِ مَعَانِيهَا، فَالْكَيْفِيَّةُ وَرَاءَ ذَلِكَ، كَمَا أَنَّا نَعْرِفُ مَعَانِي مَا أَخْبَرَ الله بِهِ مِنْ حَقَائِقِ مَا فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلَا نَعْرِفُ حَقِيقَةَ كَيْفِيَّتِهِ، مَعَ قُرْبِ مَا بَيْنَ الْمَخْلُوقِ وَالْمَخْلُوقِ، فَعَجْزُنَا عَنْ مَعْرِفَةِ كَيْفِيَّةِ الْخَالِقِ وَصِفَاتِهِ أَعْظَمُ وَأَعْظَمُ. فَكَيْفَ يَطْمَعُ الْعَقْلُ الْمَخْلُوقُ الْمَحْصُورُ الْمَحْدُودُ فِي مَعْرِفَةِ كَيْفِيَّةِ مَنْ لَهُ الْكَمَالُ كُلُّهُ، وَالْجَمَالُ كُلُّهُ، وَالْعِلْمُ كُلُّهُ، وَالْقُدْرَةُ كُلُّهَا، وَالْعَظَمَةُ كُلُّهَا، وَالْكِبْرِيَاءُ كُلُّهَا؟ مَنْ لَوْ كُشِفَ الْحِجَابُ عَنْ وَجْهِهِ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ١٦٧).

(٢) منهاج السنة النبوية (٢/ ٦٣٨).

فِيهِمَا وَمَا بَيْنَهُمَا، وَمَا وَرَاءَ ذَلِكَ؟

الَّذِي يَقْبِضُ سَمَاوَاتِهِ بِيَدِهِ، فَتَغِيبُ كَمَا تَغِيبُ الْخَرْدَلَةُ فِي كَفِّ أَحَدِنَا، الَّذِي نِسْبَةُ عُلُومِ الْخَلَائِقِ كُلِّهَا إِلَى عِلْمِهِ أَقَلُّ مِنْ نِسْبَةِ نَقْرَةِ عُصْفُورٍ مِنْ بِحَارِ الْعِلْمِ الَّذِي لَوْ أَنَّ الْبَحْرَ - يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ - مِدَادٌ وَأَشْجَارَ الْأَرْضِ - مِنْ حِينِ خُلِقَتْ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ - أَقْلَامٌ: لَفَنِيَ الْمِدَادُ وَفَنِيَتِ الْأَقْلَامُ، وَلَمْ تَنْفَدْ كَلِمَاتُهُ، الَّذِي لَوْ أَنَّ الْخَلْقَ مِنْ أَوَّلِ الدُّنْيَا إِلَى آخِرِهَا - إِنْسَهُمْ وَجِنَّهُمْ، وَنَاطِقَهُمْ وَأَعْجَمَهُمْ - جُعِلُوا صَفًّا وَاحِدًا مَا أَحَاطُوا بِهِ سُبْحَانَهُ، الَّذِي يَضَعُ السَّمَاوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ مِنْ أَصَابِعِهِ، وَالْأَرْضَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْجِبَالَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَشْجَارَ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ.اهـ. (١)

فمن عقيدة أهل الحق: إثبات جميع صفات الله تعالى، على ما ورد في الكتاب والسنة، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، لأن الله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى:١١]

❁ **والتحريف**: التغيير، وهو صرف اللفظ عن ظاهره إلى ما يخالف ظاهره.

❁ **والتعطيل**: التخلية والترك، وهو إنكار ما أثبت الله لنفسه من الأسماء والصفات، سواء كان كليًّا أو جزئيًّا، وسواء كان ذلك بتحريف أو بجحود، هذا كله يسمى تعطيلا.

❁ **والتكييف**: ذكر كيفية الصفة غير مقيدة بمماثل.

❁ **والتمثيل**: ذكر كيفية الصفة مقيدة بمماثل.

فأهل السنة والجماعة يؤمنون بصفات الله تعالى، إيمانا خاليا من هذه الأربعة.

---

(١) مدارج السالكين (٣/ ٣٣٥).

قال الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: فمذهب السلف رضوان الله عليهم، إثبات الصفات وإجراؤها على ظاهرها ونفي الكيفية عنها. **وقال أيضا:** طريقة السلف وأئمتها إثبات ما أثبته الله من الصفات من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل.اهـ. (١)

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير سورة الأعراف آية (٥٤): يُسلك فِي هَذَا المَقَامِ مَذْهَبُ السَّلَفِ الصَّالِحِ: مَالِكٌ، وَالْأَوْزَاعِيُّ، والثوري، وَاللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ، وَالشَّافِعِيُّ، وَأَحْمَدُ ابْنُ حَنْبَلٍ، وَإِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ وَغَيْرُهُمْ، مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ قَدِيمًا وَحَدِيثًا، وَهُوَ إِمْرَارُهَا كَمَا جَاءَتْ مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَشْبِيهٍ وَلَا تَعْطِيلٍ.

وَالظَّاهِرُ الْمُتَبَادَرُ إِلَى أَذْهَانِ الْمُشَبِّهِينَ مَنْفِيٌّ عَنِ الله، فَإِنَّ الله لَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشُّورَى:١١]

بَلِ الْأَمْرُ كَمَا قَالَ الْأَئِمَّةُ مِنْهُمْ نُعَيْم بْنُ حَمَّادٍ الْخُزَاعِيُّ شَيْخُ الْبُخَارِيِّ: مَنْ شَبَّهَ الله بِخَلْقِهِ فَقَدْ كَفَرَ، وَمَنْ جَحَدَ مَا وَصَفَ الله بِهِ نَفْسَهُ فَقَدْ كَفَرَ. وَلَيْسَ فِيمَا وَصَفَ الله بِهِ نَفْسَهُ وَلَا رَسُولَهُ تَشْبِيهٌ. فَمَنْ أَثْبَتَ لله تَعَالَى مَا وَرَدَتْ بِهِ الْآيَاتُ الصَّرِيحَةُ وَالْأَخْبَارُ الصَّحِيحَةُ، عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يَلِيقُ بِجَلَالِ اللهِ تَعَالَى، وَنَفَى عَنِ اللهِ تَعَالَى النَّقَائِصَ، فَقَدْ سَلَكَ سَبِيلَ الْهُدَى.اهـ.

قوله: (**جَلَّ الواحدُ المتَمـدِّحُ**) جَلَّ الشَّيْءُ يَجِلُّ بِالْكَسْرِ عَظُمَ فَهُوَ جَلِيلٌ، وَجَلَالُ الله عَظَمَتُهُ. فالله سبحانه منزه عن كل صفة نقص وعيب، ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن:٢٧]

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٣) (٤/ ٦).

(**الواحدُ**) الواحد من أسماء الله الحسنى: قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾﴾ [الرعد:١٦] والواحد والأحد هو الذي توحّد بجميع الكمالات، وتفرّد بكل كمال ومجد وجلال وجمال وحمد وحكمة ورحمة وغيرها من صفات الكمال فليس له فيها مثيل ولا نظير، ولا مناسب بوجه من الوجوه.(١)

(**المتَمَـدِّحُ**) صفة للواحد، أي: الذي مدح نفسه، وأمر عباده أن يمدحوه سبحانه، فعَنْ عَبْدِ الله بن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ اللهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ أَغْيَرَ مِنَ اللهِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ**» رواه البخاري (٤٦٣٤) ومسلم (٢٧٦٠)

وَلَمَّا جَمَعَ سُبْحَانَهُ صِفَاتِ الْكَمَالِ كُلَّهَا كَانَ أَحَقَّ بِالْمَدْحِ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ، وَلَا يَبْلُغُ أَحَدٌ أَنْ يَمْدَحَهُ كَمَا يَنْبَغِي لَهُ، بَلْ هُوَ كَمَا مَدَحَ نَفْسَهُ وَأَثْنَى عَلَى نَفْسِهِ.(٢)

فهو سبحانه وتعالى يحب أن يُمدح ويُحمد؛ لأن ذلك صدق، وحق؛ فإنه سبحانه وتعالى أحق من يُثنى عليه، وأحق من يُحمَد؛ وهو سبحانه وتعالى يحب الحق.(٣)

١٢. إلى طَبَـقِ الدُّنيا يَمُـنُّ بِفَضْلِـهِ ..... فَتُفْـرَجُ أَبْوابُ السَّـماءِ وتُفْتَـحُ

قوله: (**إلى طَبَـقِ الدُّنيا**) أي: ينزل إلى السماء الدنيا، فالسماوات السبع كل واحدة فوق الأخرى ولسن طبقة واحدة، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ

(١) تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (ص: ١٦٧).
(٢) الجواب الكافي (ص: ٦٧)
(٣) تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٣/ ١٩٨)

طِبَاقًا﴾[الملك:٣] .

والسمواتُ الطِّباقُ: سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لُمطابَقة بَعْضِهَا بَعْضًا أَي بَعْضِهَا فَوْقَ بَعْضٍ. (١)

قوله: (**يَمُنُّ**) مَنَّ عَلَيْهِ يَمُنُّ مَنّاً: أَحسن وأَنعم، وَالِاسْمُ المِنَّةُ. (**بِفَضْلِهِ**):الْفَاءُ وَالضَّادُ وَاللَّامُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى زِيَادَةٍ فِي شَيْءٍ. مِنْ ذَلِكَ الْفَضْلُ: الزِّيَادَةُ وَالْخَيْرُ. وَالْإِفْضَالُ: الْإِحْسَانُ. (٢)

قوله: (**فَتُفْرَجُ أَبْوابُ السَّماءِ وتُفْتَحُ**) الفَرْجُ والفُرْجَةُ: الشّقّ بين الشّيئين كفرجة الحائط، وقوله: (**وَما لَها مِنْ فُرُوجٍ**)، أي: شقوق وفتوق، قال تعالى: (**وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ**)، أي: انشقّت. (٣)

والسماء لها أبواب، وأدلة ذلك كثيرة، منها:

١. قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف:٤٠]

٢. عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ نُصَلِّي مَعَ رَسُولِ الله ﷺ إِذْ قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: اللهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ للهِ كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ الله بُكْرَةً وَأَصِيلًا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مِنَ الْقَائِلُ كَلِمَةَ كَذَا وَكَذَا؟**» قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَنَا، يَا رَسُولَ الله قَالَ: «**عَجِبْتُ لَهَا، فُتِحَتْ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ**» قَالَ ابْنُ عُمَرَ: «**فَمَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ ذَلِكَ**» رواه مسلم (٦٠١)

---

(١) لسان العرب (١٠/ ٢١٠) وتفسير السعدي (ص: ٨٧٥)

(٢) لسان العرب (١٣/ ٤١٧) مقاييس اللغة (٤/ ٥٠٨)

(٣) المفردات في غريب القرآن (ص: ٦٢٨)

٣. عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما صَلَّيْنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ الْمَغْرِبَ، فَعَقَّبَ مَنْ عَقَّبَ، وَرَجَعَ مَنْ رَجَعَ، فَجَاءَ ﷺ وَقَدْ كَادَ يَحْسِرُ ثِيَابَهُ عَنْ رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ: «**أَبْشِرُوا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، هَذَا رَبُّكُمْ قَدْ فَتَحَ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ السَّمَاءِ، يُبَاهِي بِكُمُ الْمَلَائِكَةَ، يَقُولُ: هَؤُلَاءِ عِبَادِي قَضَوْا فَرِيضَةً، وَهُمْ يَنْتَظِرُونَ أُخْرَى**» رواه أحمد (٦٧٥٠) بإسناد صحيح على شرط مسلم، وهو في الصحيح المسند (٨٠١) والصحيحة (٦٦١).

٤. وعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ، قَالَ: «**إِذَا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْبَاقِي، يَهْبِطُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ تُفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يَبْسُطُ يَدَهُ، فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَى سُؤْلَهُ؟ فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ، حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ**». رواه أحمد (٣٦٧٣) بإسناد صحيح، وهو في الصحيح المسند (٨٤٣)

١٣. يَقولُ: ألا مُسْتغفِرٌ يَلْقَ غَافِرًا ... ومُسْتَمنِحٌ خَيْرًا ورِزقًا فأمْنَحُ

قوله: (**يَقولُ**) أي: يقول ربنا سبحانه في ثلث الليل الآخر عند نزوله إلى السماء الدنيا.

(**ألا مُسْتغفِرٌ**) أي: هل من مستغفر، والاستغفار طلب المغفرة، أي: ستر الذنب والتجاوز عنه. (**يَلْقَ غَافِرًا**) أي: يلقى ربا غفارا، يستر العبد ويمحو ذنبه، كما في الحديث المتقدم: «**هل من مستغفر فأغفر له**»

قوله: (**ومُسْتَمنِحٌ خَيْرًا ورِزقًا فأمْنَحُ**) الاستمناح طلب العطاء، أي: ينادي الله تعالى هل من طالب عطاء، فأمنحه: أي: أعطيه.[١]

(١) لسان العرب (٢/ ٦٠٧).

كما في الحديث: «**هل من سائل فأعطيه**». **والخير**: كلمة جامعة للخير الديني والدنيوي، كما في حديث جَابِرٍ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: «**إِنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً لَا يُوَافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ، يَسْأَلُ اللهَ خَيْرًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ**» رواه مسلم (٧٥٧).

والرزق: ينقسم إلى قسمين: عام وخاص. **فالعام**: كل ما ينتفع به البدن، سواء كان حلالًا أو حرامًا، وسواء كان المرزوق مسلمًا أو كافرًا، ولهذا قال السفاريني:

وَالرِّزْقُ مَا يَنْفَعُ مِنْ حَلَالِ ... أَوْ ضِدُّهُ فَحُلْ عَنِ المحَالِ

لِأَنَّهُ رَازِقُ كُـلِّ الخَلْـقِ ... وَلَيسَ مَخْلُـوقٌ بِغَيرِ رِزقِ

لأنه لو قيل: إن الرزق هو العطاء الحلال. لكان كل الذين يأكلون الحرام، لم يرزقوا، مع أن الله أعطاهم ما تصلح به أبدانهم، لكن الرزق نوعان: طيب وخبيث، ولهذا قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢].

ولم يقل: والرزق، أما الخبائث من الرزق، فهي حرام.

أما الرزق الخاص، فهو ما يقوم به الدين من العلم النافع والعمل الصالح والرزق الحلال المعين على طاعة الله. أفاده الشيخ ابن عثيمين رحمه الله. (١)

١٤. رَوَى ذَاكَ قَـومٌ لا يُـرَدُّ حَدِيثَهم.... ألا خَابَ قَـوْمٌ كذَّبوهُم وقُبِّحُوا

قوله: (**رَوَى ذَاكَ**) أي: روى أحاديث صفة النزول.

قوله: (**قَـومٌ لا يُـرَدُّ حَدِيثَهم**) أي: رواه ثقات أحاديثهم لا ترد، وهي متواترة،

(١) شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين رحمه الله (١/ ٢٠٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالنُّزُولُ الْمَذْكُورُ فِي الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ عَلَى قَائِلِهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ الَّذِي اتَّفَقَ عَلَيْهِ الشَّيْخَانِ: الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَاتَّفَقَ عُلَمَاءُ الْحَدِيثِ عَلَى صِحَّتِهِ هُوَ: إذَا بَقِيَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ ... وَقَدْ رُوِيَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ رِوَايَةِ جَمَاعَةٍ كَثِيرَةٍ مِنْ الصَّحَابَةِ كَمَا ذَكَرْنَا قَبْلَ هَذَا؛ فَهُوَ حَدِيثٌ مُتَوَاتِرٌ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْحَدِيثِ.اهـ. (١)

وقال أيضا: وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي كِتَابِ التَّمْهِيدِ فِي شَرْحِ الْمُوَطَّأِ وَهُوَ أَجَلُّ مَا صُنِّفَ فِي فَنِّهِ: لَمَّا تَكَلَّمَ عَلَى حَدِيثِ النُّزُولِ قَالَ: هَذَا حَدِيثٌ ثَابِتٌ مِنْ جِهَةِ النَّقْلِ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ لَا يَخْتَلِفُ أَهْلُ الْحَدِيثِ فِي صِحَّتِهِ وَهُوَ حَدِيثٌ مَنْقُولٌ مِنْ طُرُقٍ سِوَى هَذِهِ مِنْ أَخْبَارِ الْعُدُولِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ اللهَ فِي السَّمَاءِ عَلَى الْعَرْشِ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ كَمَا قَالَتْ: الْجَمَاعَةُ. وَهُوَ مِنْ حُجَّتِهِمْ عَلَى الْمُعْتَزِلَةِ فِي قَوْلِهِمْ إنَّ اللهَ بِكُلِّ مَكَانٍ وَلَيْسَ عَلَى الْعَرْشِ.

قَالَ فِي الدَّلِيلِ عَلَى صِحَّةِ مَا قَالَهُ أَهْلُ الْحَقِّ قَوْلُ اللهِ ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾[طه:٥] وَقَالَ ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر:١٠]

وَقَالَ ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾[المعارج:٤]

وَقَالَ لِعِيسَى ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾[آل عمران:٥٥]

وَذَكَرَ آيَاتٍ إلَى أَنْ قَالَ: وَهَذَا أَشْهَرُ عِنْدَ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ مِنْ أَنْ يَحْتَاجَ إلَى أَكْثَرَ مِنْ حِكَايَتِهِ، لِأَنَّهُ اضْطِرَارٌ لَمْ يُوقِفْهُمْ عَلَيْهِ أَحَدٌ وَلَا خَالَفَهُمْ فِيهِ مُسْلِمٌ وَبُسِطَ الْكَلَامُ فِي ذَلِكَ. إلَى أَنْ قَالَ:

---

(١) مجموع الفتاوى (٥/ ٤٧٠).

وَأَمَّا احْتِجَاجُهُمْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾[المجادلة:٧]

فَلَا حُجَّةَ لَهُمْ فِي ظَاهِرِ الْآيَةِ، لِأَنَّ عُلَمَاءَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ الَّذِينَ حُمِلَ عَنْهُمْ التَّأْوِيلُ قَالُوا فِي تَأْوِيلِ هَذِهِ الْآيَةِ: هُوَ عَلَى الْعَرْشِ وَعِلْمُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَمَا خَالَفَهُمْ فِي ذَلِكَ أَحَدٌ يُحْتَجُّ بِقَوْلِهِ.اهـ. (١)

قوله: (**ألا خَابَ قَوْمٌ كذَّبوهُم وقُبِّحُوا**) **ألا**: أداة استفتاح وتنبيه. **خابَ** يَخِيبُ خَيْبَةً: حُرِم، وَلَمْ يَنَلْ مَا طَلَب. **والقوم**: الجماعة من الناس، وهم الرجال دون النساء، لا واحد له من لفظه. **وكذب بالأمر**: أنكره، **والقبح**، بالضم: ضد الحسن. وقبحه الله: نحاه عن الخير، فهو مقبوح. (٢) **والمعنى**: خيب الله أقواما أنكروا الحق وردوه ولم يقبلوه، وخسروا وحرموا، ولا أنالهم الله ما طلبوه.

من أين أُتيَ المخالفون للحق؟

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: وَإِنَّمَا يُؤْتَى الرَّجُلُ مِنْ سُوءِ فَهْمِهِ أَوْ مِنْ سُوءِ قَصْدِهِ أو مِنْ كِلَيْهِمَا، فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا كَمُلَ نَصِيبُهُ مِنَ الضَّلَالِ.اهـ. (٣)

مسألة ما الرد على من يقول: إن الذي ينزل إلى السماء الدنيا أمره؟

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: كل تأويل لا يدل عليه دليل فهو تحريف، نقول: هذا التحريف لا شك أنه باطل فإذا قلنا: إن الذي ينزل أمر الله في ثلث الليل فمقتضاه:

أولا: أنه في غير ثلث الليل لا ينزل أمر الله، وأمر الله نازل في كل لحظة.

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٢٦٣)

(٢) لسان العرب (١/ ٣٦٨) و القاموس المحيط (ص: ٢٣٥) و القاموس الفقهي (ص: ٣١٠).

(٣) مختصر الصواعق (ص: ٤٨٥).

﴿ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ ﴾ [السجدة:٥]

ثانيا: أمر الله ما ينتهي بالسماء الدنيا قال تعالى: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ﴾. وليس إلى السماء الدنيا فقط، فبطل هذا التحريف من جهة أن الأمر لا يختص بهذا الجزء من الليل، وأن الأمر لا ينتهي إلى السماء بل ينزل إلى الأرض.

ورحمة الله أيضا تنزل كل لحظة، ولو فقدت رحمة الله من العالم لحظة لهلك، فكل لحظة تنزل الرحمة وتنزل إلى الأرض، إذا ما الفائدة لنا بنزول الرحمة إلى السماء فقط، إذا لم تصلنا الرحمة فلا فائدة لنا منها، فبطل تفسيره بالرحمة بل ما يترتب على تفسيره بالأمر أو بالرحمة من اللوازم الفاسدة أعظم مما يتوهمه من صرف اللفظ إلى الأمر أو الرحمة من المفاسد في تفسيره بنزول الله نفسه.

ثالثا: هل يمكن للأمر أو الرحمة أن تقول: من يدعوني فأستجيب له إلخ؟

الجواب: لا يمكن أن تقول رحمة الله من يدعوني، ولا يمكن أن يقول أمر الله: من يدعوني، فالذي يقول هو الله عز وجل كذلك إذا قيل: إن الذي ينزل ملك من ملائكته نقول: الملك إذا نزل إلى السماء الدنيا لا يمكن أن يقول: من يدعوني. أبدا لو قال الملك: من يدعوني صار من دعاة الشرك؛ لأن الذي يجيب الداعي إذا دعاه هو الله عز وجل.

فلا يمكن للملك أن يقول: هكذا، حتى لو فرض أن الله أمره أن يقول لقال: من يدعو الله فيستجيب له، ولا يمكن لملك من الملائكة وهم لا يعصون الله أن يقول: من يدعوني فأستجيب له، وبهذا بطل تحريف هذا الحديث إلى هذا المعنى أن

يكون النازل ملكا.اهـ. (١)

اعتراض وجوابه:

يقولون: إن الليل يختلف باختلاف البلدان فكيف يمكن النزول وثلث الليل يتنقل؟! **والجواب عن هذا بأمرين:**

أولا: السؤال هذا بدعة كيف تسأل عن شيء ما سأل عنه الصحابة وهم أحرص منك على الخير وعلى العلم بما يجب لله عز وجل، ولسنا بأعلم من الرسول عليه الصلاة والسلام، فهو لم يعلمهم.

ثانيا: أن هذا نزول لا يقاس بنزول الخلق. (٢)

صفة العلو

وحديث النزول يعتبر من أدلة علو الله تعالى على خلقه.

قال الحافظ أبو عمر ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن حديث النزول: وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ اللهَ فِي السَّمَاءِ عَلَى الْعَرْشِ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ كَمَا قَالَتْ: الْجَمَاعَةُ. وَهُوَ مِنْ حُجَّتِهِمْ عَلَى الْمُعْتَزِلَةِ فِي قَوْلِهِمْ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ مَكَانٍ وَلَيْسَ عَلَى الْعَرْشِ.اهـ. (٣)

وصفة العلو لله تعالى ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع السلف.

ومن أسماء الله تعالى العليّ، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة:٢٥٥]فالله سبحانه هو العلي والأعلى والمتعال، وأسماء الله أعلام وأوصاف، فهو متضمن لصفة العلو، والعلو من الصفات الذاتية، فهو سبحانه، علا على جميع

(١) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١ / ٢٠٨) :

(٢) مجموع الفتاوى (٥ / ٤١٨)، شرح العقيدة الواسطية للعثيمين (١/ ١٠٠)

(٣) التمهيد (٧/ ١٢٩)

مخلوقاته، قال الله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه:٥]

استوى: أي: علا وارتفع. والآيات الكثيرة والأحاديث الكثيرة وإجماع السلف يدل على أن الله فوق العرش، كما **قال الإمام ابن تيمية.** (١)

ومعاني العلوّ ثابتة لله من كل وجه، **ذَاتًا وَقَدْرًا وَقَهْرا**، وجميع أنواع العلو:

أولا: علو الذات: ومعناه: أن الله بذاته فوق جميع خلقه مباين لهم مستو على عرشه، وقد دل على ذلك الكتاب، والسنة، والإجماع، والعقل، والفطرة.

وقد تنوعت دلالة الكتاب والسنة على ذلك:

❁ **فتارة بذكر العلو، والفوقية، والاستواء على العرش، وكونه في السماء.**

مثل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ۝٦٢﴾ [الحج:٦٢]

﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾ [النحل:٥٠] ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ﴾ [الفرقان:٥٩]

﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ [الملك:١٦]

وعن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**أَلَا تَأْمَنُونِي؟ وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ، يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً**» رواه البخاري (٤٣٥١) ومسلم (١٠٦٤)

❁ **وتارة بصعود الأشياء، وعروجها، ورفعها إليه:**

مثل قوله تعالى: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر:١٠] ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ﴾ [المعارج:٤] ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾ [النساء:١٥٨]

وقوله ﷺ: «**لاَ يَصْعَدُ إِلَى اللهِ إِلَّا الطَّيِّبُ**» متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه. (٢)

وقوله ﷺ: «**ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ**». متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه. (١)

---

(١) مجموع الفتاوى (١٦/ ٣٩٧).

(٢) رواه البخاري (٧٤٣٠)، ومسلم (١٠١٤).

وقوله ﷺ: «**يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ**» رواه مسلم (١٧٩) عن أبي موسى رضي الله عنه.

* **وتارة بنزول الأشياء منه ونحو ذلك**. مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ﴾[النحل:١٠٢]

وقوله ﷺ: « **يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا** » متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه. (٢)

وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن حديث النزول، فقال رحمه الله: قَدْ اسْتَفَاضَتْ بِهِ السُّنَّةُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ وَاتَّفَقَ سَلَفُ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتُهَا وَأَهْلُ الْعِلْمِ بِالسُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ عَلَى تَصْدِيقِ ذَلِكَ وَتَلَقِّيه بِالْقَبُولِ.اهـ. (٣)

ومن السنة التقريرية الدالة على علو الله تعالى على جميع خلقه:

حديث معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه، لما ضرب جاريته، وأتى بها إلى النبي ﷺ قال لها: «**أَيْنَ اللهُ؟**» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «**مَنْ أَنَا؟**» قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ الله، قَالَ: «**أَعْتِقْهَا، فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**». رواه مسلم. (٤)

قال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله: وَأَمَّا قَوْلُهُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ لِلْجَارِيَةِ أَيْنَ اللهُ فَعَلَى ذَلِكَ جَمَاعَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَهُمْ أَهْلُ الْحَدِيثِ وَرُوَاتُهُ الْمُتَفَقِّهُونَ فِيهِ وَسَائِرُ نَقَلَتِهِ كُلُّهُمْ يَقُولُ مَا قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) وَأَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي

=

(١) رواه البخاري (٥٥٥)، ومسلم (٦٣٢).

(٢) رواه البخاري (١١٤٥) ومسلم (٧٥٨).

(٣) مجموع الفتاوى (٥/ ٣٢٢).

(٤) رواه مالك في الموطأ (٢٨٧٥/ ٦١٥) والشافعي (٥/ ٢٩٨) وأحمد (٧٩٠٦) ومسلم (٥٣٧) .

السَّمَاءِ وَعِلْمَهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ وَهُوَ ظَاهِرُ الْقُرْآنِ.اهـ.[(١)]

وأما الإجماع: فقد أجمع الصحابة، والتابعون لهم بإحسان، وأئمة أهل السنة على أن الله تعالى فوق سمواته على عرشه.

قال الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: وأما علوه على العالم ومباينته للمخلوقات، فمتفق عليه بين الأنبياء والمرسلين، وسلف الأمة وأئمتها.

ولم يقل أحد من السلف قط: إن الله ليس في السماء، ولا أنه بذاته في كل مكان، ولا أنه لا داخل العالم ولا خارجه.اهـ.[(٢)]

وأما العقل: فإن كل عقل صريح يدل على وجوب علو الله بذاته فوق خلقه؛ لأن العلو صفة كمال لله تعالى، والسفل، صفة نقص والله منزه عن جميع صفات النقص.

وأما الفطرة: فإن الله تعالى فطر الخلق على الإيمان به وبعلوه فما من عبد يتوجه إلى ربه بدعاء أو عبادة إلا وجد من نفسه ضرورة بطلب العلو وارتفاع قلبه إلى السماء.

ثانيا: علو القدر: وهو علو صفاته، وعظمتها فلا يماثل صفاته صفة مخلوق، بل لا يقدر الخلائق كلهم أن يحيطوا ببعض معاني صفة واحدة من صفاته، قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ١١٠﴾[طه:١١٠] وبذلك يعلم أنه ليس كمثله شيء في كل نعوته. قال الله سبحانه: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾[الشورى:١١]

---

(١) الاستذكار (٧/ ٣٣٧)

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٦/ ٢٤٩)

وقال تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾[الروم:٢٧]

وقال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [النحل:٦٠]

ثالثا: علو القهر: فإنه الواحد القهار الذي قهر بعزته وعلوه الخلق كلّهم، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿١٦﴾﴾ [الرعد:١٦]

وقال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام:١٨]

فنواصيهم بيده، وما شاء كان لا يمانعه فيه ممانع، قال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾[يونس:١٠٧]. وقال سبحانه: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر:٢]

وذلك لكمال اقتداره، ونفوذ مشيئته وشدة افتقار المخلوقات كلها إليه من كل وجه. وعن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «**يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ**» رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح.(١)

❁ ❁ ❁

(١) رواه الترمذي (٢٥١٦) وصححه العلامة الوادعي في الصحيح المسند (٦٨٥).

عقيدة أهل السنة في الصحابة

١٥. وَقُـلْ إنَّ خَيْرَ النَّـاسِ بَعْـدَ مُحَمَّـدٍ ..... وَزِيراهُ قُدْمًا، ثُمَّ عُثْـمَـانُ أرْجَـحُ
١٦. وَرابِعُهُـم خَـيْرُ البريَّـةِ بَعْـدَهُـم ..... عَـلِيٌّ حَليفُ الخَيرِ، بالخَيرِ مُنْجِـحُ
١٧. وإنَّهُـمُ و الرَّهْـطُ لا رَيْبَ فِيْهِـمُ ..... عَلَى نُجُبِ الفِرْدَوْسِ في الخُلْدِ تَسْرَحُ
١٨. سَعِيدٌ وسَعْدٌ وابنُ عَوْفٍ وطَلْحـةٌ ..... وعَـامِرُ فِـهْـرٍ والزُّبَيْـرُ المُمَـدَّحُ
١٩. وَقُـلْ خَـيْرَ قولٍ في الصَّحَابةِ كُلِّهِمْ .... ولا تَـكُ طَعَّـاناً تَعِيْـبُ وَتَجْـرَحُ
٢٠. فَقَدْ نَطَقَ الوَحْيُ المُبِـينُ بِفَضْلِهِـمْ ..... وفي الفَتْـحِ آيٌ في الصَّحـابةِ تَمْـدَحُ

في هذه الأبيات بيَّن الناظم عقيدة أهل السنة والجماعة في صحابة النَّبيِّ ﷺ، عموما، وفي العشرة المشهود لهم بالجنة خصوصا، وفي الخلفاء الأربعة على وجه أخص. **فالصحابة يتفاضلون:**

فالمهاجرون أفضل من الأنصار؛ لجمعهم بين الهجرة والنصرة، وأفضلهم:

- العشرة المبشرون بالجنة، وأفضل العشرة الخلفاء الراشدون الأربعة.
- ثم الذين شهدوا بدار.
- ثم أهل بيعة الرضوان.
- ثم الذين أسلموا قبل فتح مكة أفضل من الذين أسلموا بعد الفتح.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحديد: ١٠]

قال العلامة محمد بن أحمد السفاريني رَحِمَهُ اللَّهُ: أهل السنة متفقون على أن أفضل هذه الأمة: أبو بكر الصديق ثم عمر الفاروق ثم عثمان ذو النورين ثم علي أمير المؤمنين، ثم هؤلاء الستة تكملة العشرة المبشرين بالجنة من سيد العالمين وخاتم النبيين فأهل بدر، فأهل بيعة الرضوان، فأهل أحد، فباقي الصحابة الكرام، رضي الله عنهم .اهـ. (١)

تفصيل التعليق على الأبيات:

١٥. وَقُـلْ إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْـدَ مُحَمَّـدٍ ..... وَزِيراهُ قُدْمًا، ثُمَّ عُثْـمَانُ أَرْجَـحُ

قوله: (**وَقُـلْ**): أيها المتبع للحق، السالك سبيل السلف الصالح.

قوله: (**إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْـدَ مُحَمَّـدٍ**): أي: أفضلهم وأزكاهم من هذه الأمة بعد نبيها محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، هم: (**وَزِيراهُ قُدْمًا**): أي: أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، فهما وزيران له منذ بداية دعوته. والوزير: مشتق من آزره، ووازرَ الرجلُ الرجلَ موازرةً، أَعَانَهُ، وَكَذَلِكَ آزره. وسُمّي الْوَزير وزيرًا لِأَنَّهُ يحمل وِزْرَ صَاحبه، أَي ثِقله. (٢)

وهما أحب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فعن عَمْرُو بْنُ العَاصِ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم، بَعَثَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السُّلاَسِلِ، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «**عَائِشَةُ**» ، فَقُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ فَقَالَ: «**أَبُوهَا**» ، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ**» فَعَدَّ رِجَالًا. رواه البخاري (٣٦٦٢)، ومسلم (٢٣٨٤).

وعن **ابْنَ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما، قال: وُضِعَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَلَى سَرِيرِهِ، فَتَكَنَّفَهُ

(١) لوائح الأنوار السنية (٢/ ٦٧)

(٢) جمهرة اللغة (٢ / ٧١٢).

النَّاسُ يَدْعُونَ وَيُثْنُونَ وَيُصَلُّونَ عَلَيْهِ، قَبْلَ أَنْ يُرْفَعَ، وَأَنَا فِيهِمْ، قَالَ فَلَمْ يَرُعْنِي إِلَّا بِرَجُلٍ قَدْ أَخَذَ بِمَنْكِبِي مِنْ وَرَائِي، فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ عَلِيٌّ رضي الله عنه، فَتَرَحَّمَ عَلَى عُمَرَ، وَقَالَ: مَا خَلَّفْتَ أَحَدًا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَلْقَى اللهَ بِمِثْلِ عَمَلِهِ مِنْكَ، وَايْمُ اللهِ إِنْ كُنْتُ لَأَظُنُّ أَنْ يَجْعَلَكَ اللهُ مَعَ صَاحِبَيْكَ، وَذَاكَ أَنِّي كُنْتُ كَثِيرًا أَسْمَعُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**جِئْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَدَخَلْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَخَرَجْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، فَإِنْ كُنْتُ لَأَرْجُو، أَوْ لَأَظُنُّ، أَنْ يَجْعَلَكَ اللهُ مَعَهُمَا**» **متفق عليه.**(١)

وعَنْ **مُحَمَّدِ ابْنِ الحَنَفِيَّةِ** [**ابن علي بن أبي طالب** رضي الله عنهما]، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: «**أَبُو بَكْرٍ**»، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**ثُمَّ عُمَرُ**»، وَخَشِيتُ أَنْ يَقُولَ عُثْمَانُ، قُلْتُ: ثُمَّ أَنْتَ؟ قَالَ: «**مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**» **رواه البخاري.**(٢)

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله: أما تفضيل أبي بكر ثم عمر على عثمان وعلي .

فهذا متفق عليه بين أئمة المسلمين المشهورين بالإمامة في العلم والدين، من الصحابة والتابعين وتابعيهم؛ وهو مذهب مالك وأهل المدينة والليث بن سعد وأهل مصر والأوزاعي وأهل الشام؛ وسفيان الثوري وأبي حنيفة وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وأمثالهم من أهل العراق. وهو مذهب الشافعي وأحمد وإسحاق وأبي عبيد وغير هؤلاء: من أئمة الإسلام الذين لهم لسان صدق في الأمة. وحكى مالك إجماع أهل المدينة على ذلك فقال ما أدركت أحدا ممن أقتدي به يشك في

---

(١) رواه البخاري (٣٦٨٥) ومسلم (٢٣٨٩) **الغريب:** (**فتكنفه الناس**): أي أحاطوا به والسرير هنا النعش ، (**فلم يَرُعني**): هو بفتح الياء وضم الراء ومعناه لم يفجأني . **وانظر:** شرح مسلم (١٥/ ١٥٨)

(٢) رواه البخاري (٣٦٧١).

تقديم أبي بكر وعمر.اهـ. (١)

ترجمة العشرة المشهود لهم بالجنة

أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

هو عبد الله بن عثمان بن عامر القرشي التيمي رضي الله عنه أول خلفاء هذه الأمة، فهو خليفة رسول الله ﷺ وصاحبه قبل البعثة وبعدها، سبق إلى الإيمان برسول الله ﷺ واستمر معه طول إقامته بمكة وهاجر بصحبته، فكان صاحبه في الغار، وشهد غزواتِه كلَّها، وكانت الراية معه يوم تبوك، استخلفه النبي ﷺ في الحج بالناس سنة تسع من الهجرة وفي الصلاة بهم حين مرض ﷺ، وقال فيه: «**إِنَّ أَمَنَّ الناس عَلَيَّ في صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أبو بَكْرٍ، وَلَوْ كنت مُتَّخِذًا خَلِيلًا من أُمَّتِي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ**» متفق عليه. (٢)

وهكذا أراد الله تعالى، فقد بايعه الصحابة رضي الله عنهم، بالخلافة قبل أن يدفنوا النبي ﷺ، فقام بأعباء الخلافة خير قيام، وسار في الناس أحسن سيرة خليفة لنبيٍّ من النصح والحزم والجد والجهاد، حتى أتاه اليقين بعد أن أتم في الخلافة سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام، فتوفي في المدينة في الثاني والعشرين من جمادى الثانية سنة ثلاث عشرة من الهجرة، عن ثلاث وستين سنة، ودفن في حجرة ابنته عائشة رضي الله عنها، خلف النبي ﷺ ورأسه بحذاء صدر النبي ﷺ. (٣)

وعَنْ **عَائِشَةَ** رضي الله عنها، قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ فِي مَرَضِهِ: «**ادْعِي لِي أَبَا بَكْرٍ، أَبَاكِ، وَأَخَاكِ، حَتَّى أَكْتُبَ كِتَابًا، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَمَنَّى مُتَمَنٍّ وَيَقُولُ قَائِلٌ: أَنَا أَوْلَى،**

---

(١) مجموع الفتاوى (٤ / ٤٢١).

(٢) رواه البخاري (٤٦٦)، ومسلم (٢٣٨٢)، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) "سير أعلام النبلاء" ط الرسالة (راشدون/ ٧) و"تنبيه الأفهام" (٢٥٤).

وَيَأْبَى اللهُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ» متفق عليه. (١)

وقوله ﷺ:(ويأبي الله والمؤمنون إلا أبا بكر): بين ﷺ أنه يريد أن يكتب كتابًا خوفًا، ثم علم أن الأمر واضح ظاهر ليس مما يقبل النزاع فيه فترك ذلك، لعلمه: أن الصديق كان فيه من الفضائل التي بان بها عن غيره، ما علم المسلمون به أنه أحقهم بالخلافة، وأن ذلك لا يحتاج فيه إلى عهد خاص. أفاده شيخ الإسلام . (٢)

وأشار ﷺ إلى أن أبا بكر رضي الله عنه الخليفة على أمته بعده حين جاءته امرأة فأمرها أن ترجع إليه. فعن جبير بن مطعم رضي الله عنه : أَنَّ امْرَأَةً سَأَلَتْ رَسُولَ الله ﷺ شَيْئًا، فَأَمَرَهَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ الله أَرَأَيْتَ إِنْ جِئْتُ فَلَمْ أَجِدْكَ؟ -كَأَنَّهَا تَعْنِي الْمَوْتَ - قَالَ: «فَإِنْ لَمْ تَجِدِينِي فَأْتِي أَبَا بَكْرٍ». متفق عليه. (٣)

قال الإمام النووي رحمه الله: أجمعت الصحابة على عقد الخلافة له، أي: لأبي بكر، وتقديمه لفضيلته.اهـ. (٤)

وقال الإمام ابن تيمية رحمه الله: فثبتت صحة خلافته ووجوب طاعته بالكتاب والسنة والإجماع وإن كانت إنما انعقدت بالإجماع والاختيار.اهـ. (٥)

ترجمة عمر بن الخطّاب رضي الله عنه.

هو عمر بن الخطّاب بن نفيل القرشي العدوي رضي الله عنه أمير المؤمنين، أحد السابقين الأولين، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وثاني الخلفاء الراشدين، أسلم

(١) رواه البخاري ()، ومسلم (٢٣٨٧).
(٢) منهاج السنة (١/ ٥٢٥).
(٣) رواه البخاري (٧٣٦٠)، ومسلم (٢٣٨٦).
(٤) شرح مسلم (١٥ / ١٥٤).
(٥) مجموع الفتاوى (٣٥/ ٤٩)

في السنة السادسة من النبوة وله سبع وعشرون سنة، كان إسلامه عزا للمسلمين، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: «**مَا زِلْنَا أَعِزَّةً مُنْذُ أَسْلَمَ عُمَرُ**» رواه البخاري.(١)

هاجر إلى المدينة قبل النبي ﷺ، وشهد معه الغزوات كلها.

وتولى الخلافة بعد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، بعهد منه، سنة ثلاث عشرة، فسار بأحسن سيرة، فتح الله الشام كله على عمر، والجزيرة ومصر والعراق كله، ودون الدواوين قبل أن يموت بعام، وقسم على الناس فيئهم. وأرخ التاريخ من الهجرة الَّذِي بأيدي الناس إِلَى اليوم، كان محدَّثا ملهما، قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: «**وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثَلَاثٍ، فِي مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ، وَفِي الْحِجَابِ، وَفِي أُسَارَى بَدْرٍ**» متفق عليه. (٢)

وقال له النبي ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ**» متفق عليه. (٣)

وشهد له رسول الله ﷺ له بالجنة، وبشره بقصر فيها.

فعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**دَخَلْتُ الجَنَّةَ أَوْ أَتَيْتُ الجَنَّةَ، فَأَبْصَرْتُ قَصْرًا، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا؟ قَالُوا: لِعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَهُ، فَلَمْ يَمْنَعْنِي إِلَّا عِلْمِي بِغَيْرَتِكَ**»، قَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ: يَا رَسُولَ اللهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا نَبِيَّ اللهِ، أَوَعَلَيْكَ أَغَارُ؟ رواه البخاري (٥٢٢٦) ومسلم (٢٣٩٤)

وَكَانَتْ خِلافَتُهُ عَشَرَ سِنِينَ وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ، وَهُوَ أول من سمى بأمير المؤمنين، قتل شهيدا على يد غلام مجوسي يدعى أبا لؤلؤة حين كَبَّرَ بالناس في صلاة الفجر، لأربع

---

(١) رواه البخاري (٣٨٦٣).

(٢) رواه البخاري (٤٠٢) ومسلم (٢٣٩٩).

(٣) رواه البخاري (٣٢٩٤) ومسلم (٢٣٩٦).

بقين من شهر ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة، فتوفي بعد ثلاث ليال عن ثلاث وستين سنة، ودفن في حجرة عائشة رضي الله عنها، مع النبي ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه.

روى عن رسول الله ﷺ خمسمائة حديث وتسعة وثلاثين حديثًا. (١)

وعَنْ **عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ** رضي الله عنهما، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «**أُرِيتُ فِي المَنَامِ أَنِّي أَنْزِعُ بِدَلْوِ بَكْرَةٍ عَلَى قَلِيبٍ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَنَزَعَ ذَنُوبًا، أَوْ ذَنُوبَيْنِ نَزْعًا ضَعِيفًا، وَاللهُ يَغْفِرُ لَهُ، ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ فَاسْتَحَالَتْ غَرْبًا، فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا يَفْرِي فَرِيَّهُ حَتَّى رَوِيَ النَّاسُ، وَضَرَبُوا بِعَطَنٍ**» **متفق عليه.** (٢)

ومعنى: (**فنزع ذنوبا أو ذنوبين**): الذنوب بفتح الذال: الدلو المملوءة.

(**نزعا ضعيفا**): والنزع الاستقاء ، (**فاستحالت غربا**): أي: تحولت من الصغر إلى الكبر، والغرب بفتح الغين المعجمة وإسكان الراء هي الدلو العظيمة.

(**فلم أر عبقريا**): العبقري: السيد، (**يفري فريه**): لم أر سيدا يعمل عمله ويقطع قطعه، (**ضربوا بعطن**): أرووا إبلهم ثم آووها إلى عطنها وهو الموضع الذي تساق إليه بعد السقي لتستريح . **قال الإمام النووي**: قال القاضي: ظاهره أنه عائد إلى خلافة عمر خاصة وقيل يعود إلى خلافة أبي بكر وعمر جميعا لأن بنظرهما وتدبيرهما وقيامهما بمصالح المسلمين تم هذا الأمر وضرب الناس بعطن لأن أبا بكر قمع أهل الردة وجمع شمل المسلمين وألفهم وابتدأ الفتوح ومهد الأمور وتمت ثمرات ذلك وتكاملت في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.اهـ. **وقال** رحمه الله:

---

(١) "الاستيعاب" (٣/ ١١٤٥ـ١١٥٢) و"سير أعلام النبلاء" (راشدون/ ٧١ـ٩٦) و"تاريخ الخلفاء" (ص: ٨٩) و""الإصابة " (٤/ ٤٨٤).

(٢) رواه البخاري (٣٦٨٢) ومسلم (٢٣٩٣).

وأما قوله ﷺ في أبي بكر رضي الله عنه وفي نزعه ضعف فليس فيه حط من فضيلة أبي بكر ولا إثبات فضيلة لعمر عليه، وإنما هو إخبار عن مدة ولايتهما، وكثرة انتفاع الناس في ولاية عمر؛ لطولها؛ ولاتساع الإسلام وبلاده والأموال وغيرها من الغنائم، والفتوحات ومصر الأمصار ودون الدواوين.

وأما قوله ﷺ **(والله يغفر له)**، فليس فيه تنقيص له ولا إشارة إلى ذنب وإنما هي كلمة كان المسلمون يدعمون بها كلامهم ونعمت الدعامة وقد سبق في الحديث في صحيح مسلم أنها كلمة كان المسلمون يقولونها افعل كذا والله يغفر لك. قال العلماء وفي كل هذا إعلام بخلافة أبي بكر وعمر وصحة ولايتهما وبيان صفتها وانتفاع المسلمين بها.اهـ. (١)

ترجمة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

قوله: (**ثُمَّ عُثْمَانُ أَرْجَحُ**): أي: ثم بعدهما الخليفة الثالث **عثمان** رضي الله عنه.

وهو: عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية القرشي الأموي، أمير المؤمنين وثالث خلفاء المسلمين، أسلم قديما على يد أبي بكر رضي الله عنه وهاجر الهجرتين، وزوجه النبي ﷺ ابنته رقية رضي الله عنها، فلما توفيت زوجه أختها أم كلثوم رضي الله عنها، فسمي ذا النورين.

شهد له النبي ﷺ بالشهادة وبشره بالجنة، وبايع عنه بيعة الرضوان بيده الكريمة، تستحي منه الملائكة، حفر بئر رومة، وجهز جيش العسرة.

وعَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه، قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ المَدِينَةِ فَجَاءَ رَجُلٌ فَاسْتَفْتَحَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ**» فَفَتَحْتُ لَهُ، فَإِذَا أَبُو

(١) شرح مسلم (١٥/ ١٦١،١٦٢) والفتح (٧/ ٣٩).

بَكْرٍ، فَبَشَّرْتُهُ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، فَحَمِدَ اللهَ، ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ فَاسْتَفْتَحَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ**»، فَفَتَحْتُ لَهُ فَإِذَا هُوَ عُمَرُ، فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، فَحَمِدَ اللهَ، ثُمَّ اسْتَفْتَحَ رَجُلٌ، فَقَالَ لِي: «**افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ، عَلَى بَلْوَى تُصِيبُهُ**»، فَإِذَا عُثْمَانُ، فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ رَسُولُ الله ﷺ فَحَمِدَ اللهَ، ثُمَّ قَالَ: الله المُسْتَعَانُ. **متفق عليه.** (١)

تولى الخلافة بعد أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه بمبايعة أهل الشورى إياه في أول يوم من محرم سنة أربع وعشرين، وقتل شهيدا بعد عصر يوم الجمعة الثامن عشر من ذي الحجة، ودفن ليلة السبت سنة خمس وثلاثين، وقبره معروف بالبقيع رضي الله عنه.

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله في «العقيدة الواسطية»: وكما أجمع الصحابة رضي الله عنهم على تقديم عثمان في البيعة، مع أن بعض أهل السنة كانوا قد اختلفوا في عثمان وعلي رضي الله عنهما، بعد اتفاقهم على تقديم أبي بكر وعمر، أيهما أفضل؟

فقدم قوم عثمان وسكتوا أو ربعوا بعلي، وقدم قوم عليا وقوم توقفوا؛ لكن استقر أمر أهل السنة على تقديم عثمان وإن كانت هذه المسألة، مسألة عثمان وعلي، ليست من الأصول التي يضلل المخالف فيها عند جمهور أهل السنة لكن المسألة التي يضلل المخالف فيها هي مسألة الخلافة؛ وذلك أنهم يؤمنون بأن الخليفة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء الأئمة فهو أضل من حمار أهله.اهـ. (٢).

---

(١) رواه البخاري (٣٦٩٣) ومسلم (٢٤٠٣) **الغريب:** (**على بلوى تصيبه**): أشار النبي ﷺ بهذا إلى ما أصاب عثمان في آخر خلافته من الشهادة يوم الدار. تحفة الأحوذي (١٠/ ١٤٣)

(٢) مجموع الفتاوى (٣/ ١٥٣).

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: الإجماع انعقد بآخرة بين أهل السنة أن ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة رضي الله عنهم أجمعين.اهـ. (١)

ترجمة علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

١٦. وَرابِعُهُم خَيْرُ البريَّةِ بَعْدَهُم ..... عَلِيٌّ حَليفُ الخَيرِ، بالخَيرِ مُنْجِحُ

قوله: (**وَرابِعُهُم**): أي: رابع الخلفاء، ورابع الصحابة في الفضل.

(**خَيْرُ البريَّةِ**): أي: خير الناس في زمنه. (**بَعْدَهُم**): أي: بعد الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم.

قوله: (**عَلِيٌّ**): **هو** علي بن أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب، القرشي الهاشمي أبو الحسن أمير المؤمنين، ورابع الخلفاء الراشدين، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وابن عم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تربى في حجره وآمن به من حين بعث، وزوجه ابنته فاطمه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

شهد له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بالجنة، واستخلفه على المدينة في غزوة تبوك.

فعَنْ **سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَلَّفَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله تُخَلِّفُنِي فِي النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ؟ فَقَالَ: «**أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى؟ غَيْرَ أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي**» **متفق عليه**. (٢)

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: قال القاضي: هذا الحديث مما تعلقت به الروافض والإمامية وسائر فرق الشيعة في أن الخلافة كانت حقا لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأنه وصى له بها. قال: ثم اختلف هؤلاء ،فكفرت الروافض سائر الصحابة في تقديمهم

(١) الفتح (٣٦٧١).

(٢) رواه البخاري (٣٧٠٦) ومسلم (٢٤٠٤)

غيره وزاد بعضهم فكفر عليا؛ لأنه لم يقم في طلب حقه بزعمهم.

وهؤلاء أسخف مذهبا وأفسد عقلا من أن يرد قولهم أو يناظر.

وقال القاضي: ولا شك في كفر من قال هذا؛ لأن من كفر الأمة كلها والصدر الأول فقد أبطل نقل الشريعة وهدم الإسلام،...

قال: وهذا الحديث لاحجة فيه لأحد منهم بل فيه إثبات فضيلة لعلي ولا تعرض فيه لكونه أفضل من غيره أو مثله وليس فيه دلالة لاستخلافه بعده لأن النبي ﷺ إنما قال هذا لعلي حين استخلفه في المدينة في غزوة تبوك ويؤيد هذا أن هارون المشبه به لم يكن خليفة بعد موسى بل توفي في حياة موسى وقبل وفاة موسى بنحو أربعين سنة على ما هو مشهور عند أهل الأخبار والقصص قالوا وإنما استخلفه حين ذهب لميقات ربه للمناجاة والله أعلم.اهـ. (١)

وقال النبي ﷺ يوم خيبر: «**لَأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلًا يَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ**» متفق عليه، عن سهل بن سعد رضي الله عنه. (٢)

وأعطاها علي بن أبي طالب رضي الله عنه. اشتهر بالفروسية والشجاعة والعلم والفطنة، تولى الخلافة بعد عثمان رضي الله عنه في آخر ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، إلى أن قتل شهيدا، لبضع عشرة خلت من رمضان سنة أربعين، ودفن في الكوفة.

روى عن الرسول ﷺ خمسمائة حديث وستة وثمانين حديثًا.

قال الإمام النووي رحمه الله: وأما علي رضي الله عنه فخلافته صحيحة بالإجماع وكان هو

---

(١) شرح مسلم (١٥/ ١٧٤).

(٢) رواه البخاري (٣٠٠٩) ومسلم (٢٤٠٦).

الخليفة في وقته لاخلافة لغيره.اهـ.[١]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: قاعدة : قال النبي ﷺ « **خلافة النبوة ثلاثون سنة؛ ثم يؤتي الله ملكه – أو الملك – من يشاء**» لفظ أبي داود من رواية عبد الوارث والعوام «**تكون الخلافة ثلاثين عاما ثم يكون الملك** »

«**تكون الخلافة ثلاثين سنة ثم تصير ملكا**»وهو حديث مشهور من رواية حماد بن سلمة وعبد الوارث بن سعيد والعوام بن حوشب وغيره عن سعيد بن جمهان عن سفينة مولى رسول الله ﷺ رواه أهل السنن[٢] كأبي داود وغيره، واعتمد عليه الإمام أحمد وغيره في تقرير خلافة الخلفاء الراشدين الأربعة وثبته أحمد؛ واستدل به على من توقف في خلافة علي؛ من أجل افتراق الناس عليه.

حتى قال أحمد: من لم يربع بعلي في الخلافة فهو أضل من حمار أهله؛ ونهى عن مناكحته وهو متفق عليه بين الفقهاء وعلماء السنة وأهل المعرفة.اهـ.[٣]

قوله: (**حَليفُ الخَيرِ**): أي: المحالف للخير الملازم له.

قوله: (**بالخَيرِ مُنْجِحُ**) أي: يحقق ويظفر بالخير بتوفيق الله وفي الحديث: يفتح الله على يديه.

---

(١) شرح مسلم (١٥/ ١٤٥).

(٢) قلت: أخرجه أحمد (٢١٩١٩)، وأبو داود (٤٦٤٧)، وغيرهما بإسناد حسن، وهو في الصحيح المسند (٤٣٧) والصحيحة (٤٥٩).

(٣) مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٨،١٩)

١٧. وإنَّهُمُ و الرَّهْطُ لا رَيْبَ فِيْهِـــمُ .... عَلَى نُجُبِ الفِرْدَوْسِ في الخُلْدِ تَسْرَحُ

قوله: (**وإنَّهُمُ**): أي: الخلفاء الراشدون الأربعة، (**والرَّهْطُ**): أي: الستة الآتي ذكرهم في البيت التالي، وهم بقية العشرة المشهود لهم بالجنة، (**الواو**) بمعنى مع، و(**الرهط**): هُم عَشِيرةُ الرجُل وأهْله. الرَّهْطُ مِنَ الرِّجَالِ مَا دُون العَشِرة. (١)

قوله: (**لا رَيْبَ فِيْهِـــمُ**): أي: لا شك في أن هؤلاء العشرة أهل الفضل والمناقب المشتهرة، **قوله:** (**عَلَى نُجُبِ الفِرْدَوْسِ**): **النجب**: جمع نجيب، وهو النفيس الفاضل من كل حيوان، **والنَّجِيبِ** مِنَ الإِبِل، مُفْرَدا، وَمَجْمُوعًا: هُوَ القَوِيّ مِنْهَا، الخَفِيف السَّرِيعُ. (٢)

قوله: (**في الخُلْدِ تَسْرَحُ**): أي: أنه لا شك أن الخلفاء الأربعة مع الستة المذكورين في البيت التالي وهم بقية العشرة المبشرين، أنهم من أهل الجنة، وأنهم يسرحون فيها حيث يشاءون، على النجب وهي الإبل النجيبة الكريمة النفيسة، كما أخبر بذلك النبي ﷺ.

فعَنْ **عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ** رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَبُو بَكْرٍ فِي الجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الجَنَّةِ وَالزُّبَيْرُ فِي الجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الجَنَّةِ، وَسَعْدٌ فِي الجَنَّةِ، وَسَعِيدٌ فِي الجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ فِي الجَنَّةِ**». **رواه الترمذي** بإسناد صحيح. (٣)

---

(١) النهاية (٢ / ٢٨٣).

(٢) النهاية (٥ / ١٧) ولسان العرب (١/ ٧٣٦) والمختار (٣٠٤)

(٣) رواه الترمذي (٣٧٤٧) بإسناد صحيح، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الترمذي، وشيخنا مقبل الوادعي في الجامع الصحيح في القدر برقم: (٤٥٩) عن سعيد بن زيد رضي الله عنه.

ويدل على أن في الجنة ذلك، حديث أبي مسعود رضي الله عنه قال: جاء رجل بناقة مخطومة فقال هذه في سبيل الله فقال رسول الله ﷺ: «**لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة**» رواه مسلم (١٨٩٢)

ومعنى مخطومة، أي: فيها خطام وهو قريب من الزمام.

قال الإمام النووي رحمه الله: قيل يحتمل أن المراد له أجر سبعمائة ناقة، ويحتمل أن يكون على ظاهره ويكون له في الجنة بها سبعمائة كل واحدة منهن مخطومة يركبهن حيث شاء للتنزه كما جاء في خيل الجنة ونجبها وهذا الاحتمال أظهر والله أعلم.اهـ.(١)

وأما حديث: شفي بن ماتع رحمه الله أن رسول الله ﷺ قال **إن من نعيم أهل الجنة أنهم يتزاورون على المطايا والنجب وإنهم يؤتون في الجنة بخيل مسرجة ملجمة لا تروث ولا تبول فيركبونها حتى ينتهوا حيث شاء الله عز وجل**. الحديث. فهو ضعيف مرسل.(٢)

---

(١) شرح مسلم (١٣/ ٣٨)

(٢) شفي بن ماتع ثقة من الوسطى من التابعين، فهو مرسل، وضعف الحديث العلامة الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (٢/ ٢٥٥)(٢٢٣٦).

ترجمة بقية العشرة المبشرين بالجنة رضي الله عنهم

١٨ . سَعِيدٌ وسَعْدٌ وابنُ عَوْفٍ وطَلْحةٌ ..... وعَامِرُ فِهْرٍ والزُّبَيْـــرُ المُمَـدَّحُ

ترجمة سعيد بن زيد رضي الله عنه

قوله: (سَعِيدٌ): هو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل أبو الأعور، القرشي، العدوي رضي الله عنه. أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، ومن السابقين الأولين البدريين، ومن الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه.

شهد المشاهد مع رسول الله ﷺ وشهد حصار دمشق وفتحها، فولاه عليها أبو عبيدة بن الجراح، فهو أول من عمل نيابة دمشق من هذه الأمة.

وله أحاديث يسيرة: فله حديثان في (الصحيحين)، وانفرد البخاري له بحديث وامرأته: هي ابنة عمه فاطمة، أخت عمر بن الخطاب رضي الله عنها.

أسلم سعيد قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم.

وأخرج البخاري (٣٨٦٢) عن قيس بن أبي حازم، عن سعيد بن زيد قال: لقد رأيتني، وإن عمر لموثقي على الإسلام قبل أن يسلم.

قال الحافظ: أي: ربطه بسبب إسلامه إهانة له وإلزاما بالرجوع عن الإسلام .. وكأن السبب في ذلك أنه كان زوج فاطمة بنت الخطاب أخت عمر ولهذا ذكر في آخر باب إسلام عمر رأيتني موثقي عمر على الإسلام أنا وأخته، وكان إسلام عمر متأخرا عن إسلام أخته وزوجها.اهـ. [١] مات سعيد بن زيد بالعقيق، سنة إحدى

---

(١) الفتح (٧/ ١٧٦)

وخمسين، وهو ابن بضع وسبعين سنة، وقبر بالمدينة. (١)

ترجمة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه

قوله: (وسَعْدٌ): هو سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب أبو إسحاق القرشي، الزهري، المكي رضي الله عنه. أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد السابقين الأولين وأحد الستة أهل الشورى. وممن شهد بدرا والحديبية.

روى جملة صالحة من الحديث، وله في (الصحيحين) خمسة عشر حديثا، وانفرد له البخاري بخمسة أحاديث، ومسلم بثمانية عشر حديثا.. عن سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيِّبِ، يَقُولُ: سَمِعْتُ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ، يَقُولُ: «**مَا أَسْلَمَ أَحَدٌ إِلَّا فِي اليَوْمِ الَّذِي أَسْلَمْتُ فِيهِ، وَلَقَدْ مَكَثْتُ سَبْعَةَ أَيَّامٍ، وَإِنِّي لَثُلُثُ الإِسْلاَمِ**» رواه البخاري (٣٧٢٧)

وعَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ: مَا سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ جَمَعَ أَبَوَيْهِ لِأَحَدٍ إِلَّا لِسَعْدِ بْنِ مَالِكٍ، فَإِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ يَوْمَ أُحُدٍ: «**يَا سَعْدُ ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي**» رواه البخاري (٤٠٥٩) ومسلم (٢٤١١).

وعَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَمَعَ لَهُ أَبَوَيْهِ يَوْمَ أُحُدٍ قَالَ: كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَدْ أَحْرَقَ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي**» قَالَ فَنَزَعْتُ لَهُ بِسَهْمٍ لَيْسَ فِيهِ نَصْلٌ، فَأَصَبْتُ جَنْبَهُ فَسَقَطَ، فَانْكَشَفَتْ عَوْرَتُهُ فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى نَوَاجِذِهِ. رواه مسلم (٤٢)

(أحرق المسلمين) أي أثخن فيهم وعمل فيهم عمل النار **(فنزعت له بسهم)** أي رميته بسهم.

❁ **ومن مناقبه: أنه أول من رمى بسهم في سبيل الله تعالى.** عَنْ قَيْسٍ، قَالَ:

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة (١ / ١٣٦) (١ / ١٢٥).

سَمِعْتُ سَعْدًا رضي الله عنه، يَقُولُ: إِنِّي لَأَوَّلُ العَرَبِ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ الله، وَكُنَّا نَغْزُو مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَمَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الشَّجَرِ، حَتَّى إِنَّ أَحَدَنَا لَيَضَعُ كَمَا يَضَعُ البَعِيرُ أَوِ الشَّاةُ، مَا لَهُ خِلْطٌ ثُمَّ أَصْبَحَتْ بَنُو أَسَدٍ تُعَزِّرُنِي عَلَى الإِسْلاَمِ، لَقَدْ خِبْتُ إِذًا وَضَلَّ عَمَلِي، وَكَانُوا وَشَوْا بِهِ إِلَى عُمَرَ، قَالُوا: لاَ يُحْسِنُ يُصَلِّي . رواه البخاري (٣٧٢٨) ومسلم (٢٩٦٦)

❁ دعاء رسول الله له وشهادته له بالصلاح:

عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ، أَنَّ عَائِشَةَ، قَالَتْ: سَهِرَ رَسُولُ الله ﷺ مَقْدَمَهُ الْمَدِينَةَ، لَيْلَةً، فَقَالَ: «**لَيْتَ رَجُلًا صَالِحًا مِنْ أَصْحَابِي يَحْرُسُنِي اللَّيْلَةَ**» قَالَتْ: فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ سَمِعْنَا خَشْخَشَةَ سِلَاحٍ، فَقَالَ: «**مَنْ هَذَا؟**» قَالَ: سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَا جَاءَ بِكَ؟**» قَالَ: وَقَعَ فِي نَفْسِي خَوْفٌ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَجِئْتُ أَحْرُسُهُ، فَدَعَا لَهُ رَسُولُ الله ﷺ، ثُمَّ نَامَ. رواه البخاري (٧٢٣١) ومسلم (٢٤١٠). وكان مستجاب الدعوة.

ومن مناقب سعد أن فتح العراق كان على يدي سعد، وهو كان مقدم الجيوش يوم وقعة القادسية سنة خمس عشرة ، ونصر الله دينه. ونزل سعد بالمدائن، ثم كان أمير الناس يوم جلولاء سنة تسع عشرة، فكان النصر على يده، واستأصل الله الأكاسرة. وكان سعد آخر المهاجرين وفاة.

قال المدائني، وأبو عبيدة، وجماعة: توفي سنة خمس وخمسين. (١)

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة (١ / ٩٢) (١ / ١٢٣)

ترجمة عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه

قوله: (**وابنُ عَوْفٍ**): هو عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف القرشي الزهري، أبو محمد رضي الله عنه.

أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أهل الشورى، وأحد السابقين البدريين، وهو أحد الثمانية الذين بادروا إلى الإسلام.

ومن أهل هذه الآية: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾[الفتح: ١٨].

وقد صلى رسول الله ﷺ وراءه، وقدم الجابية مع عمر فكان على الميمنة، وكان في نوبة سرغ على الميسرة.

له في (الصحيحين) حديثان، وانفرد له البخاري بخمسة أحاديث.

عن ابن إسحاق، قال: كان ساقط الثنيتين أهتم، أعسر أعرج، كان أصيب يوم أحد فهتم، وجرح عشرين جراحة، بعضها في رجله فعرج.

وكان عبد الرحمن رجلا طوالا، حسن الوجه، رقيق البشرة، فيه جنأ أبيض، مشربا حمرة، لا يغير شيبه.

ولما هاجر إلى المدينة كان فقيرا لا شيء له، فآخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع، أحد النقباء، فعرض عليه أن يشاطره نعمته، وأن يُطَلِّقَ له أحسن زوجتيه. فقال له: بارك الله لك في أهلك ومالك، ولكن دلني على السوق.

فذهب فباع واشترى وربح، ثم لم ينشب أن صار معه دراهم، فتزوج امرأة على زنة نواة من ذهب. فقال له النبي ﷺ وقد رأى عليه أثرا من صفرة: قَالَ: «**مَا هَذَا؟**» قَالَ: إِنِّي تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً عَلَى وَزْنِ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ، قَالَ: «**بَارَكَ اللهُ لَكَ، أَوْلِمْ**

وَلَوْ بِشَاةٍ» رواه البخاري (٥١٥٥) ومسلم (١٤٢٧).

ثم آل أمره في التجارة إلى ما آل رضي الله عنه: روى الإمام أحمد عن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها قالت: دخل عليها عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فقال: يا أمه قد خفت أن يهلكني كثرة مالي أنا أكثر قريش مالا قالت: يا بني فأنفق فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن من أصحابي من لا يراني بعد أن أفارقه فخرج فلقي عمر فأخبره فجاء عمر فدخل عليها فقال لها بالله منهم أنا فقالت لا ولن أبلي أحدا بعدك. قال الإمام الوادعي (١٦٤٧): هذا حديث صحيح.. ومجموع ما له في (مسند بقي): خمسة وستون حديثا.

أَرَّخَ المدائني والهيثم بن عدي وجماعة وفاته في سنة اثنتين وثلاثين.

وقال المدائني: ودفن بالبقيع. وقال يعقوب بن المغيرة: عاش خمسا وسبعين سنة. **قال أبو عمر بن عبد البر** رحمه الله: كان مجدودا في التجارة، خلف: ألف بعير، وثلاثة آلاف شاة، ومائة فرس، وكان يزرع بالجرف موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام. على عشرين ناضحا.

قلت (الذهبي): هذا هو الغني الشاكر.اهـ.[1]

ترجمة طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه

قوله: (**وطَلْحةٌ**): هو طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو القرشي، التيمي، المكي، أبو محمد رضي الله عنه. أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، له عدة أحاديث عن النبي ﷺ كان ممن سبق إلى الإسلام، وأوذي في الله ثم هاجر، كان مع عمر لما قدم

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة (١ / ٦٨ـ٩٢)

الجابية، وجعله على المهاجرين.

ومن عجيب ما ذكر في ترجمته، ما قاله الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: قال ابن السّكن: يقال: إن طلحة تزوّج أربع نسوة عند النبيّ ﷺ أخت كل منهن: أم كلثوم بنت أبي بكر أخت عائشة، وحمنة بنت جحش أخت زينب، والفارعة بنت أبي سفيان أخت أم حبيبة، ورقيّة بنت أبي أمية أخت أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ.اهـ. (١)

كانت يده شلاء مما وقى بها رسول الله ﷺ يوم أحد.

عَنْ قَيْسٍ بن أبي حازم رَحِمَهُ اللَّهُ، قَالَ: «**رَأَيْتُ يَدَ طَلْحَةَ شَلَّاءَ وَقَى بِهَا النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ**» رواه البخاري (٤٠٦٣)

قوله: «شلاء» بفتح المعجمة وتشديد اللام مع المد أي: أصابها الشلل وهو ما يبطل عمل الأصابع أو بعضها. قاله في الفتح حديث (٤٠٦٣).

قوله: «**وقى بها النبي ﷺ يوم أحد**» وقع بيان ذلك عند النسائي: عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: لما كان يوم أحد وولى الناس كان رسول الله ﷺ في ناحية في اثني عشر رجلا من الأنصار وفيهم طلحة بن عبيد الله فأدركهم المشركون فالتفت رسول الله ﷺ وقال من للقوم فقال طلحة أنا قال رسول الله ﷺ كما أنت فقال رجل من الأنصار أنا يا رسول الله فقال أنت فقاتل حتى قتل ثم التفت فإذا المشركون فقال من للقوم فقال طلحة أنا قال كما أنت فقال رجل من الأنصار أنا فقال أنت فقاتل حتى قتل ثم لم يزل يقول ذلك ويخرج إليهم رجل من الأنصار فيقاتل قتال من قبله حتى يقتل حتى بقي رسول الله ﷺ وطلحة بن عبيد الله فقال

(١) الإصابة (٣/ ٤٣٢)

رسول الله ﷺ من للقوم فقال طلحة أنا فقاتل طلحة قتال الأحد عشر حتى ضربت يده فقطعت أصابعه فقال حس فقال رسول الله ﷺ لو قلت بسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون ثم رد الله المشركين. أخرجه النسائي. وصححه العلامة الألباني في الصحيحة (٢٧٩٦)

وَعَنْ الزُّبَيْرِ بْنِ العَوَّامِ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ دِرْعَانِ يَوْمَ أُحُدٍ، فَنَهَضَ إِلَى الصَّخْرَةِ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ، فَأَقْعَدَ طَلْحَةَ تَحْتَهُ، فَصَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهِ حَتَّى اسْتَوَى عَلَى الصَّخْرَةِ، فَقَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**أَوْجَبَ طَلْحَةُ**». رواه الترمذي، بإسناد حسن.(١)

ومعنى (**أوجب**): أي: أوجب له ذلك الفعل الثواب الجزيل عند الله، والمنزلة الشريفة. قاله القرطبي.(٢)

وقال القاري: (**أوجب**): أي: الجنة كما في رواية والمعنى أنه أثبتها لنفسه بعمله هذا أو بما فعل في ذلك اليوم فإنه خاطر بنفسه يوم أحد وفدى بها رسول الله ﷺ وجعلها وقاية له حتى طعن ببدنه وجرح جميع جسده حتى شلت يده وجرح ببضع وثمانين.اهـ.(٣)

وشهد له النبي ﷺ بالشهادة: فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ، كَانَ عَلَى حِرَاءٍ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَطَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، فَتَحَرَّكَتِ الصَّخْرَةُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**اهْدَأْ فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ، أَوْ صِدِّيقٌ، أَوْ شَهِيدٌ**».

---

(١) أخرجه الترمذي (١٦٩٢)، وهو في الصحيحة (٩٤٥) والصحيح المسند (٣٤٠) وصرح ابن إسحاق بالتحديث عند أحمد (١٤١٧)

(٢) المفهم (٢٠/ ٣٩).

(٣) المرقاة (١٧/ ٤٧٦).

رواه مسلم (٢٤١٧). وكان طلحة فيهم.

قال قيس بن أبي حازم: رأيت مروان بن الحكم حين رمى طلحة يومئذ بسهم، فوقع في ركبته، فما زال ينسح حتى مات. وصحح إسناده الحافظ في الإصابة. (١)

قال الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: قاتل طلحة في الوِزْرِ، بمنزلة قاتل علي.

وكان قتله في سنة ست وثلاثين، في جمادى الآخرة.

وله في (مسند بقي بن مخلد) بالمكرر: ثمانية وثلاثون حديثا. له حديثان متفق عليهما، وانفرد له البخاري بحديثين، ومسلم بثلاثة أحاديث.

ترجمة أبي عبيدة بن الجراح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

قوله: (**وعَامِرُ فِهْـرٍ**): هو أَبُو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال ابْن أهيب بْن ضبة بْن الحارث بْن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة القرشي الفهري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. أحد السابقين الأولين، ومن عزم الصديق على توليته الخلافة، وأشار به يوم السقيفة؛ لكمال أهليته عند أبي بكر. يجتمع في النسب هو والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في فهر.

شهد له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بالجنة، وسماه: أمين الأمة، ومناقبه شهيرةٌ جَمَّة.

فعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ أَهْلَ الْيَمَنِ قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: ابْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا يُعَلِّمْنَا السُّنَّةَ وَالْإِسْلَامَ قَالَ فَأَخَذَ بِيَدِ أَبِي عُبَيْدَةَ فَقَالَ: «**هَذَا أَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ**» رواه البخاري (٤٣٨٢) ومسلم (٢٤١٩) واللفظ له.

شهد بدرا مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ والمشاهد كلها. روى أحاديث معدودة، له في (صحيح مسلم) حديث واحد، وله في (جامع أبي عيسى) حديث، وفي (مسند

---

(١) أخرجه ابن سعد(٣ / ١ / ١٥٩) وذكره الهيثمي في المجمع ٩ / ١٥٠ وقال: ورجاله رجال الصحيح وفيه عندهما يسيح بدل ينسح، وأورده الحافظ في الإصابة ٥ / ٢٣٥ وقال: سنده صحيح.

بقي) له خمسة عشر حديثا.

وذكر ابْن إِسْحَاق والواقدي أنه هاجر الهجرة الثانية إِلَى أرض الحبشة، ولم يذكر ذلك ابْن عقبة ولا غيره.

وَهُوَ الَّذِي انتزع من وجه رَسُول الله ﷺ حلقتي الدرع يوم أحد فسقطت ثنيتاه، وَكَانَ لذلك أثرم، وَكَانَ نحيفًا معروق الوجه، طوالًا أجنأ، وَهُوَ أحد العشرة الَّذِينَ شهد لهم رَسُولُ الله ﷺ بالجنة، وَكَانَ من كبار الصحابة وفضلائهم، وأهل السابقة منهم رضوان الله عليهم أجمعين. وَقَالَ عمر إذ دخل عَلَيْهِ الشام وَهُوَ أميرها: كلنا غيرته الدنيا غيرك يَا أبا عبيدة.

وله فضائل جَمَّةٌ. توفي رضي الله عنه وَهُوَ ابْن ثمان وخمسين سنة فِي طاعون عمواس سنة ثمان عشرة بالأردن من الشام وبها قبره، وصلى عَلَيْهِ معاذ بْن جبل، ونزل فِي قبره معاذ، وعمرو بْن العاص، والضحاك بْن قيس. (١)

ترجمة الزبير بن العوام رضي الله عنه

قوله: (**والزُّبَيْـــرُ الْمُمَـدَّحُ**): أي: صاحب المدائح والمحامد والمناقب الكثيرة. وهو أبو عبد الله الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي رضي الله عنه ابن عمة رسول الله ﷺ صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أهل الشورى، وأول من سل سيفه في سبيل الله، أسلم وهو حدث، له ست عشرة سنة. وهو من البدريين، ومن أهل بيعة الرضوان، ومن السابقين الأولين.

---

(١) الاستيعاب (٤ / ١٧١٠) وسير أعلام النبلاء ط الرسالة (١ / ٥).

وقد ورد أن الزبير كان رجلا طويلا، إذا ركب خطت رجلاه الأرض، وكان خفيف اللحية والعارضين.

❁ وشهد له النبي ﷺ بالشهادة: فعَنْ **أَبِي هُرَيْرَةَ** رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ، كَانَ عَلَى حِرَاءٍ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَطَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، فَتَحَرَّكَتِ الصَّخْرَةُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**اهْدَأْ فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ، أَوْ صِدِّيقٌ، أَوْ شَهِيدٌ**» **رواه مسلم**.(١)

❁ **حواري الرسول** ﷺ: فعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ يَأْتِينِي بِخَبَرِ القَوْمِ يَوْمَ الأَحْزَابِ؟**» قَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا، ثُمَّ قَالَ: «**مَنْ يَأْتِينِي بِخَبَرِ القَوْمِ؟**»، قَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا وَحَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ**». رواه البخاري (٢٨٤٦)، ومسلم (٢٤١٥). والحواري الناصر وقيل الخاصة، قاله النووي.

❁ **جمع له النبي** ﷺ **أبويه**: فعَنْ عَبْدِ الله بْنِ الزُّبَيْرِ رضي الله عنه، قَالَ: كُنْتُ يَوْمَ الأَحْزَابِ جُعِلْتُ أَنَا وَعُمَرُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ فِي النِّسَاءِ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا أَنَا بِالزُّبَيْرِ، عَلَى فَرَسِهِ، يَخْتَلِفُ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا، فَلَمَّا رَجَعْتُ قُلْتُ: يَا أَبَتِ رَأَيْتُكَ تَخْتَلِفُ؟ قَالَ: أَوَهَلْ رَأَيْتَنِي يَا بُنَيَّ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ، قَالَ: «**مَنْ يَأْتِ بَنِي قُرَيْظَةَ فَيَأْتِينِي بِخَبَرِهِمْ**» . فَانْطَلَقْتُ، فَلَمَّا رَجَعْتُ جَمَعَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَبَوَيْهِ فَقَالَ: «**فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي**» رواه البخاري (٣٧٢٠)، ومسلم (٢٤١٦).

❁ **وهو الذي ذهب يأتي بخبر القوم لما جاء من ينازع النجاشي في ملكه في الحبشة**، كما في حديث أم سلمة رضي الله عنها، قالت: فوالله إنا على ذلك إذ نزل به يعني من ينازعه في ملكه قال فوالله ما علمنا حزنا قط كان أشد من حزن حزناه عند ذلك

(١) رواه مسلم (٢٤١٧)

تخوفا أن يظهر ذلك على النجاشي فيأتي رجل لا يعرف من حقنا ما كان النجاشي يعرف منه قالت وسار النجاشي وبينهما عرض النيل قالت فقال أصحاب رسول الله ﷺ من رجل يخرج حتى يحضر وقعة القوم ثم يأتينا بالخبر قالت فقال الزبير بن العوام أنا قالت وكان من أحدث القوم سنا قالت فنفخوا له قربة فجعلها في صدره ثم سبح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها ملتقى القوم ثم انطلق حتى حضرهم قالت ودعونا الله للنجاشي بالظهور على عدوه والتمكين له في بلاده. رواه أحمد وهو في الصحيح المسند (١٦٥١).

❁ **وهو ممن أثنى الله عليهم بالاستجابة:** عن عروة بن الزبير قال: قالت لي عائشة رضي الله عنها «**كَانَ أَبَوَاكَ (تعني أبابكر والزبير) مِنَ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لله وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ**» رواه البخاري (٤٠٧٧) ومسلم (٢٤١٨).

قتل الزبير رضي الله عنه، في رجب سنة ٣٦هـ عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ، قَالَ: اسْتَأْذَنَ ابْنُ جُرْمُوزٍ عَلَى عَلِيٍّ رضي الله عنه فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: ابْنُ جُرْمُوزٍ يَسْتَأْذِنُ. قَالَ: ائْذَنُوا لَهُ، لِيَدْخُلْ قَاتِلُ الزُّبَيْرِ النَّارَ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: **إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا، وَإِنَّ حَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ**. رواه أحمد في المسند وفضائل الصحابة. بإسناد حسن وهو في الصحيح المسند (٩٥٥). وللزبير في (مسند بقي بن مخلد) ثمانية وثلاثون حديثا، منها في (الصحيحين) حديثان، وانفرد البخاري بسبعة أحاديث. (١)

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة (١ / ٤٢ـ٦٧)

١٩. وَقُلْ خَيْرَ قولٍ في الصَّحَابةِ كُلِّهِمْ .... ولا تَـكُ طَعَّاناً تَعِيْـبُ وَتَجْـرَحُ

قوله: (وَقُلْ خَـيْرَ قولٍ في الصَّحَابةِ كُلِّهِـمْ): **الصحابي هو**: من لقي النبي ﷺ مؤمنا به ومات على ذلك.

بعد أن ذكر الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ العشرة المشهود لهم بالجنة، ذكر بقية الصحابة رضي الله عنهم، والواجب على كل مسلم حب الصحابة جميعا، لمحبة الله عز وجل لهم، ولمحبة النبي ﷺ، ولأنهم جاهدوا في سبيل الله، ونشروا الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، وآزروا رسول الله ﷺ. قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ جَاءُو مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ٨ - ١٠]

فمحبة الصحابة قربة وعلامة من علامات الإيمان، ولا يذكرون إلا بالجميل، كما قال الإمام أبو جعفر الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ: وَنُحِبُّ أَصْحَابَ رَسُولِ الله ﷺ، وَلَا نُفْرِطُ فِي حُبِّ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَلَا نَتَبَرَّأُ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَنُبْغِضُ مَنْ يُبْغِضُهُمْ وَبِغَيْرِ الْخَيْرِ يَذْكُرُهُمْ، وَلَا نَذْكُرُهُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ، وَحُبُّهُمْ دِينٌ وَإِيمَانٌ وَإِحْسَانٌ، وَبُغْضُهُمْ كُفْرٌ وَنِفَاقٌ وَطُغْيَانٌ. اهـ.

قوله: (**ولا تَــكُ طَعَّانًا**): الطعان صيغة مبالغة، أي: كثير الطعن، والمعنى لا يكن حالك كحال أولئك الذين انتهكوا حرمة أصحاب رسول الله ﷺ فجعلوا يتناولونهم بالثلب والقدح والطعن، ورميهم بما هم منه براء، كالرافضة، وهذا هو شأن أهل النفاق، **قوله:**

(**تَعِيْـبُ وَتَجْـرَحُ**): العيب، ومنه: الطعن في العرض، والطعن في الحكم. (١)

و جُرِحَ الشاهدُ إذا طُعِنَ فيه. **والمعنى:** لا تطلق لسانك في أصحاب رسول الله ﷺ بالجرح والطعن والثلب والتنقص لهم، فهم حملة الدين ونقلة الشريعة، واختارهم الله لصحبة نبيه، ونصروا دين الله، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم.

وما جرى بينهم من اختلاف فإنه لا يتخذ ذلك ذريعة لتناولهم بالسب أو الشتم، عياذا بالله فلهم من الأعمال في نصرة دين الله، ما يغمر خطأ من أخطأ منهم.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: واتفق أهل السنة على وجوب منع الطعن على أحد من الصحابة بسبب ما وقع لهم من ذلك ولو عرف المحق منهم لأنهم لم يقاتلوا في تلك الحروب إلا عن اجتهاد وقد عفا الله تعالى عن المخطئ في الاجتهاد، بل ثبت أنه يؤجر أجرا واحدا وأن المصيب يؤجر أجرين.اهـ. (٢)

وسبهم يدل على نفاق في القلب، وخبث في الطوية، فهم عدول بتعديل الله لهم، وثنائه عليهم، وحذر النبي ﷺ من سبهم وتنقصهم.

---

(١) معجم لغة الفقهاء (ص: ٢٩١) ولسان العرب (٢ / ٤٢٣).

(٢) الفتح (١٣/ ٣٤)

فعن أَبِي سَعِيدٍ الخدري رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ بَيْنَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، وَبَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ شَيْءٌ، فَسَبَّهُ خَالِدٌ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَا تَسُبُّوا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِي، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ**» رواه البخاري (٣٦٧٣) ومسلم (٢٥٤١) ورواه أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وقوله: (**أحدًا**) نكرة في سياق النهي، تعم كل أحد من الصحابة، من تقدم منهم في الإسلام ومن تأخر. قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْ ۚ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمُۢ ﴿٧٥﴾﴾ [الأنفال:٧٥]

قال شيخ الإسلام رحمه الله في حكم ساب الصحابة رضي الله عنهم:

❁ **من سبهم سبا لا يقدح في عدالتهم و لا في دينهم**، مثل وصف بعضهم بالبخل أو الجبن أو قلة العلم أو عدم الزهد و نحو ذلك، فهذا هو الذي يستحق التأديب و التعزير و لا نحكم بكفره بمجرد ذلك، وعلى هذا يحمل كلام من لم يكفرهم من أهل العلم.

❁ **وأما من لعن وقبح مطلقا فهذا محل الخلاف** فيهم لتردد الأمر بين لعن الغيظ و لعن الاعتقاد.

❁ **وأما من جاوز ذلك إلى أن زعم أنهم ارتدوا بعد رسول الله عليه الصلاة والسلام إلا نفرا قليلا** يبلغون بضعة عشر نفسا أو أنهم فسقوا عامتهم فهذا لا ريب أيضا في كفره لأنه كذب لما نصه القرآن في غير موضع: من الرضا عنهم و الثناء عليهم بل من يشك في كفر مثل هذا فإن كفره متعين؛ فإن مضمون هذه المقالة أن

نقلة الكتاب و السنة كفار أو فساق و أن هذه الآية التي هي ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]

و خيرها هو القرن الأول كان عامتهم كفارا أو فساقا ومضمونها أن هذه الأمة شر الأمم و أن سابقي هذه الأمة هم شرارهم و كفر هذا مما يعلم باضطرار من دين الإسلام.اهـ. (١)

٢٠. فَقَدْ نَطَقَ الوَحْيُ المُبِينُ بِفَضْلِهِـــمْ ..... وفي الفَتْحِ آيٌ في الصَّحابةِ تَمْدَحُ

قوله: (**فَقَدْ نَطَقَ الوَحْيُ المُبِينُ بِفَضْلِهِـــمْ**): أي: أن الله تعالى أثنى على الصحابة في كتابه ورضي عنهم، ووعدهم الحسنى.

قال الله جل وعلا: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠].

وأثنى عليهم الرسول ﷺ في سنته:

فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولِ الله ﷺ: «**النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ**» رواه مسلم (٢٥٣١)

(١) الإقناع (١/ ٥٩).

قوله: (**وفي الفَتْحِ آيٌ في الصَّحابةِ تَمْدَحُ**): أي: في سورة الفتح آيات في مدح الصحابة والثناء عليهم.

قال الله سبحانه: ﴿۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ [الفتح: ١٨].

وقال الله عز وجل: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح: ٢٩].

قال الإمام ابن القطان رَحِمَهُ اللَّهُ: وأجمعوا أنهم أي الصحابة، أحق أن تنشر ممحاسنهم ويلتمس لأفعالهم أفضل المخارج وأن يظن بهم أحسن الظن وأجمل المذاهب...اهـ. (١)

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: و هذا مما لا نعلم فيه خلافا بين أهل الفقه و العلم من أصحاب رسول الله ﷺ و التابعين لهم بإحسان و سائر أهل السنة و الجماعة، فإنهم مجمعون على أن الواجب الثناء عليهم و الاستغفار لهم و الترحم عليهم و الترضي عنهم و اعتقاد محبتهم و موالاتهم و عقوبة من أساء فيهم القول.اهـ. (٢)

❁ ❁ ❁

(١) الصارم المسلول (٥٩٠).

(٢) الصارم المسلول (١ / ٥٧٧).

الإيمان بالقدر

٢١. وبِالقَـدَرِ المقْـدُورِ أيْقِنْ فإنَّهُ ..... دِعَامَةُ عقْدِ الدِّينِ والدِّينُ أفْيَـحُ

قوله: (**وبِالقَـدَرِ المقْـدُورِ**): في هذا البيت ذكر المؤلف أصلا من أصول الإيمان وهو الإيمان بالقدر، والقَدَرُ بمعنى التقدير.

وتعريفه شرعا: علم الله السابق بالأشياء قبل وقوعها، وكتابته لذلك في اللوح المحفوظ قبل خلقها وإيجادها، ومشيئته النافذة الشاملة، وخَلْقُهُ - عز وجل - لكل ما قدَّر. (١)

والقَدَر إذا أُفرِد شمل القضاء، **والقضاء**: إذا أفرد شمل القدر، وإذا اجتمعا فالقضاء: ما يقضيه الله في خلقه من إيجاد، أو إعدام، أو تغيير.

والقدر: ما قدره الله تعالى في الأزل. هذا هو الفرق بينهما، فيكون القدر سابقا، والقضاء لاحقا. أفاده العلامة العثيمين. (٢)

وقوله: (**وبِالقَـدَرِ المقْـدُورِ أيْقِنْ**): أي: آمن بالقدر الذي قدره الله وقضاه، ولا يكن في قلبك شك من ذلك، **والمقدور**: الذي قدره الله وأحكمه.

قوله: (**فإنَّهُ دِعَامَةُ عقْدِ الدِّينِ**): فإنه أصل من أصول الدين ودعامة من دعائمه، وعمود من أعمدته التي ينبني عليها، فهو الركن السادس من أركان الإيمان. ومن أدلة ذلك:

١. **قول الله تعالى**: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]

---

(١) شرح الطحاوية للشيخ صالح آل الشيخ.

(٢) مجموع فتاوى العلامة العثيمين (٢/ ٨٠).

٢. حديث عمر رضي الله عنه في قصة جبريل حين سأل النبي ﷺ قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**» رواه مسلم (٨).

٣. عن ابن الديلمي قال: وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنْ الْقَدَرِ فَأَتَيْتُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ رضي الله عنه فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**لَوْ أَنَّ الله عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ لَعَذَّبَهُمْ غَيْرَ ظَالِمٍ لَهُمْ وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ لَهُمْ خَيْرًا مِنْ أَعْمَالِهِمْ وَلَوْ كَانَ لَكَ جَبَلُ أُحُدٍ أَوْ مِثْلُ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ الله مَا قَبِلَهُ الله مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ وَأَنَّكَ إِنْ مِتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا دَخَلْتَ النَّارَ**». رواه أحمد وهو في الصحيح المسند (٣٥٠).

قال الإمام النووي رحمه الله: وقد تظاهرت الأدلة القطعيات من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأهل الحل والعقد من السلف والخلف على إثبات قدر الله سبحانه وتعالى.اهـ.(١)

فكل ما يجري على العباد من خير ديني أو دنيوي، أو شر ديني أو دنيوي، فهو جار بقدر، ولا خروج لشيء عن القدر، هذا موجب كمالِ مُلك الله وكمالِ قدرته، وعموم مشيئته، فهو سبحانه وتعالى الذي يعطي ويمنع، فكل ما لدى العباد من الخير بأنواعه فهو بمنه وبعطائه، وكل ما مُنِعوا فبعدله.

قال الإمام ابن القطان رحمه الله: وأجمعوا على أنه ليس لأحد من الخلق الاعتراض على الله في شيء من أفعاله...ولا لأحد الإنكار عليه في شيء من أقداره وأحكامه

(١) شرح مسلم (١ / ١٥٥)، ونقل الإجماع ابن القطان في الإقناع (١/ ٥٤).

في خلقه.اهـ. (١)

والإيمان بالقدر له أربع مراتب:

المرتبة الأولى: الإيمان بأن الله عالم كل ما يكون جملة وتفصيلًا، بعلم سابق؛ دليل ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ الحج: ٧٠.

قال الإمام أبو الحسن الأشعري رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد أجمع المسلمون قبل حدوث الجهمية والمعتزلة والحرورية على أن الله عالم لم يزل ...وعلم الله سابق في الأشياء فمن جحد أن الله عالم فقد خالف جماعة المسلمين وخرج عن اتفاقهم .اهـ.

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن الله عالم بما سيكون قبل أن يكون.اهـ. (٢)

المرتبة الثانية: أن الله كتب في اللوح المحفوظ مقادير كل شيء.

دليل ذلك قول الله عز وجل: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ الحديد: ٢٢

ومعنى (**نبرأها**): أي نخلق الخليقة. وقوله ﷺ: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**»، رواه مسلم (٢٦٥٣) عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قال أبو الحسن الأشعري رَحِمَهُ اللَّهُ: وأجمعوا على أنه تعالى قد قدر جميع أفعال

---

(١) الإقناع (١/ ٥٥).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٥/ ١٧٩).

الخلق...وأثبت في اللوح المحفوظ جميع ما هو كائن منهم إلى يوم يبعثون.اهـ. (١)

ويدخل في هذه المرتبة، أنواع الكتابة، وقد ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ أن التقديرات أنواع، وكل قَدر له قلم يناسبه؛ لأن الكتابة تكون بالقلم:

فالتقدير الأول: هو التقدير العام لجميع المخلوقات، المذكور في عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وحديث عبادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسولَ الله ﷺ: قال: «**إن أوَّلَ شيء خلقَه اللهُ القلمُ وأمره فكتب كل شيءٍ**». رواه أبو يعلى، وقال شيخنا الوادعي في الجامع الصحيح في القدر (١٣٤) هذا حديث صحيح، رجاله كلهم ثقات، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة (١٣٣).

والتقدير الثاني: تقدير الرب تبارك وتعالى شقاوة العباد وسعادتهم وأرزاقهم وآجالهم وأعمالهم قبل خلقهم وهو تقدير ثان بعد التقدير الأول.

فعن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رَسُولُ الله ﷺ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ، إِلَّا وَقَدْ كَتَبَ اللهُ مَكَانَهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلَّا وَقَدْ كُتِبَتْ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً**» قَالَ فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ الله أَفَلَا نَمْكُثُ عَلَى كِتَابِنَا، وَنَدَعُ الْعَمَلَ؟ فَقَالَ: «**مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ، فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ، فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ**» فَقَالَ: «**اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ، أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ**»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾[الليل:١٠] رواه البخاري (١٣٦٢) ومسلم (٢٦٤٧)

---

(١) رسالة إلى أهل الثغر (٢٤٧).

وعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنهما ، قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ الله أَعُلِمَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنْ أَهْلِ النَّارِ؟ قَالَ: فَقَالَ: نَعَمْ، قَالَ قِيلَ: فَفِيمَ يَعْمَلُ الْعَامِلُونَ؟ قَالَ: «**كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**» رواه البخاري (٧٥٥١) ومسلم (٢٦٤٩).

وفي رواية للبخاري (٦٥٩٦) «**كُلٌّ يَعْمَلُ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَوْ: لِمَا يُسِّرَ لَهُ**».

الثالث: التقدير المختص بكل إنسان، فعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ**». رواه البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣).

والتقدير الرابع: وهو التقدير الحولي: وهو ما يكون في ليلة القدر: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [الدخان:٤]

وسميت ليلة القدر؛ لأنه يقدر فيها ما يكون في السنة إلى مثلها.

التقدير الخامس: تقدير يومي، قال تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرحمن:٢٩]

المرتبة الثالثة: المشيئة

فلا يكون شيء في السماوات والأرض إلا بإرادة الله ومشيئته، قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير:٢٩]

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله: أجمع المسلمون أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.اهـ. (١) فالله عز وجل يهدي من يشاء برحمته، ويضل من يشاء بحكمته. ﴿لَا

(١) بيان تلبيس الجهمية (١/ ٤٢٠)

﴿يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء:٢٣] لا يسأل عما يفعل؛ لكمال حكمته وسلطانه، وهم يسألون. وما وقع من ذلك؛ فإنه مطابق لعلمه السابق، ولما كتبه في اللوح المحفوظ؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ القمر:٤٩ ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ الأنعام: ١٢٥، فأثبت وقوع الهداية والضلال بإرادته.

قال أبو الحسن الأشعري رَحِمَهُ اللَّهُ: وأجمعوا على أنه تعالى يضل من يشاء ويهدي من يشاء.اهـ. (١) **وقال الإمام ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ: أهل السنة متفقون على أن غير الله لا يقدر على جعل الهدى أو الضلال في قلب أحد.اهـ. (٢)

المرتبة الرابعة: أن كل شيء في السموات والأرض مخلوق لله تعالى

خلق العباد وأعمالهم، لا خالق غيره ولا رب سواه؛ لقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ الفرقان:٢. وقال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ الصافات:٩٦.

قال الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: أفعال العباد مخلوقة باتفاق سلف الأمة وأئمتها.اهـ. (٣)

وقال: أهل السنة متفقون على إثبات القدر وأن الله على كل شيء قدير خالق كل شيء من أفعال العباد وغيرها وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.اهـ. (٤)

ونقل الإجماع قبله أبو القاسم هبة الله بن الطبري الرازي اللالكائي (المتوفى: ٤١٨هـ). في شرح الأصول. **وقد جمع بعضه مراتب القدر في هذا البيت:**

---

(١) رسالة إلى أهل الثغر (ص:٢٤٠)

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٣٧٩).

(٣) مجموع الفتاوى (٨/ ٤٠٦)

(٤) مجموع الفتاوى (٨/ ٤٢٨)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، (٣/ ٥٨٩).

علم كتابة مولا نا مشيئته وخلقه وهو إيجاد وتكوين.

قوله: (**والدِّينُ أَفْيَـحُ**): أي واسع لا حرج فيه، وفي حديث أم زرع في البخاري ومسلم (**وبيتها فياح**) أي واسع. قال في النهاية: كل موضع واسع يقال له أفيح، وروضة فيحاء.

تنبيه: هل يجوز الاحتجاج بالقدر على المعاصي؟

أفعال العباد كلها من طاعات ومعاصٍ مخلوقة لله كما سبق ولكن ليس ذلك حجة للعاصي على فعل المعصية، **قال الإمام ابن تيمية الحراني** رَحِمَهُ اللَّهُ: الاحتجاج به، أي: القَدَر، باطل باتفاق أهل الملل وذوي العقول، وإنما يحتج به على القبائح والمظالم من هو متناقض القول متبع لهواه.اهـ. (١)

وقال أيضا: وليس لأحد أن يحتج بالقدر على الذنب باتفاق المسلمين وسائر أهل الملل وسائر العقلاء ؛ فإن هذا لو كان مقبولا لأمكن كل أحد أن يفعل ما يخطر له من قتل النفوس وأخذ الأموال وسائر أنواع الفساد في الأرض ويحتج بالقدر. ونفس المحتج بالقدر إذا اعتدي عليه واحتج المعتدي بالقدر لم يقبل منه بل يتناقض وتناقض القول يدل على فساده ؛ فالاحتجاج بالقدر معلوم الفساد في بداية العقول.اهـ. (٢)

فإن قيل قد احتج آدم بالقدر، حين لامه موسى؟

فعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: أَنْتَ آدَمُ الَّذِي أَخْرَجَتْكَ خَطِيئَتُكَ مِنَ الجَنَّةِ، فَقَالَ لَهُ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَى الَّذِي**

---

(١) منهاج السنة (٣/ ٢٣)

(٢) مجموع الفتاوى (٨/ ١٧٩).

اصْطَفَاكَ اللهُ بِرِسَالاَتِهِ وَبِكَلاَمِهِ، ثُمَّ تَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قُدِّرَ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ » فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى مَرَّتَيْنِ**» رواه البخاري (٣٤٠٩) ومسلم (٢٦٥٢).

فالجواب على ذلك: أن آدم إنما احتج بالقدر على المصيبة، وهي الإخراج من الجنة. وكذلك: احتج بالقدر بعد التوبة من الذنب، وإنما ينكر على من احتج بالقدر على ذنب مقيم عليه في الحال، أو ينوي فعله في المستقبل.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: موسى أعرف بالله وأسمائه وصفاته من أن يلوم على ذنب قد تاب منه فاعله، فاجتباه ربه بعده وهداه واصطفاه.

وآدم أعرف بربه من أن يحتج بقضائه وقدره على معصيته، بل إنما لام موسى آدم على المعصية التي نالت الذرية بخروجهم من الجنة، ونزولهم إلى دار الابتلاء والمحنة؛ بسبب خطيئة أبيهم، فذكر الخطيئة تنبيها على سبب المصيبة والمحنة التي نالت الذرية؛ ولهذا قال له: «**أخرجتنا ونفسك من الجنة**» وفي لفظ: «**خيبتنا**» فاحتج آدم بالقدر على المصيبة، وقال: إن هذه المصيبة التي نالت الذرية بسبب خطيئتي، كانت مكتوبة بقدره قبل خلقي، والقدر يحتج به في المصائب دون المعائب، أي: أتلومني على مصيبة قدرت علي وعليكم قبل خلقي بكذا وكذا سنة. هذا جواب شيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقد يتوجه جواب آخر: وهو أن الاحتجاج بالقدر على الذنب ينفع في موضع ويضر في موضع، **فينفع**: إذا احتج به بعد وقوعه والتوبة منه وترك معاودته، كما فعل آدم، فيكون في ذكر القدر إذ ذاك من التوحيد ومعرفة أسماء الرب وصفاته وذكرها ما ينتفع به الذاكر والسامع؛ لأنه لا يدفع بالقدر أمرا ولا نهيا، ولا يبطل به

شريعة، بل يخبر بالحق المحض على وجه التوحيد والبراءة من الحول والقوة.

يُوَضِّحُه: أن آدم قال لموسى: أتلومني على أن عملت عملا كان مكتوبا علي قبل أن أخلق؟ فإذا أذنب الرجل ذنبا ثم تاب منه توبة، وزال أمره حتى كأن لم يكن، فأَنَّبَهُ مُؤَنِّبٌ عليه ولامه، حسن منه أن يحتج بالقدر بعد ذلك، ويقول: هذا أمر كان قد قدر عليّ قبل أن أخلق، فإنه لم يدفع بالقدر حقا، ولا ذكره حجة له على باطل، ولا محذور في الاحتجاج به.

وأما الموضع الذي يضر الاحتجاج به:

ففي الحال والمستقبل؛ بأن يرتكب فعلًا محرَّمًا أو يترك واجبا، فيلومه عليه لائم، فيحتج بالقدر على إقامته عليه وإصراره، فيبطل بالاحتجاج به حقا، ويرتكب باطلا، كما احتج به المصرون على شركهم وعبادتهم غير الله فقالوا:

﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾ [الأنعام:١٤٨]

﴿لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُمْ﴾ [الزُّخرُف:٢٠]

فاحتجوا به مصوِّبِينَ لما هم عليه، وأنهم لم يندموا على فعله، ولم يعزموا على تركه، ولم يُقِرُّوا بفساده، فهذا ضد احتجاج من تبين له خطأ نفسه وندم وعزم كل العزم على أن لا يعود، فإذا لامه لائم بعد ذلك قال كان ما كان بقدر الله.

ونكتة المسألة: أن اللوم إذا ارتفع صح الاحتجاج بالقدر، وإذا كان اللوم واقعًا فالاحتجاج بالقدر باطل.اهـ. (١)

❁ ❁ ❁

(١) شفاء العليل (ص: ١٧).

الإيمان بفتنة القبر والحوض والميزان

٢٢. وَلا تُنْكِرَنْ جَهلاً نَكِيرًا ومُنْكَرًا .... وَلا الْحوضَ والمِيزانَ إنَّـكَ تُنْصَحُ

هذا البيت و الثلاثة الأبيات بعده فيها ذكر بعض أمور الآخرة.

والإيمان باليوم الآخر، من أصول الدين وأركان الإيمان.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦﴾ [النساء:١٣٦]

وعن عمر رضي الله عنه في حديثه الطويل، أن جبريل عليه السلام سأل النبي ﷺ عن الإيمان فقال: قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِالله، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**» رواه مسلم (٨).

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله: فالمسلمون سنيهم وبدعيهم، متفقون على وجوب الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.اهـ. (١)

وقال أيضا: ومعاد الأبدان متفق عليه عند المسلمين واليهود والنصارى.اهـ. ونقل الاتفاق ابن حزم. (٢)

ومن الإيمان باليوم الآخر: الْإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ، كما ذكر شيخ الإسلام في الواسطية. وبدأ الناظم رحمه الله بذكر فتنة القبر، وعذاب القبر ونعيمه.

---

(١) مجموع الفتاوى (٧ / ٣٥٧)

(٢) مجموع الفتاوى (٤ / ٢٨٤)، مراتب الإجماع لابن حزم (٢٧٢).

فتنة القبر:

قوله: (**وَلا تُنْكِرَنْ**): الإنكار: الجحود. (**جَهلًا**): أي: لأجل الجهل، وقلة العلم. **قوله:** (**نَكِيرًا ومُنْكَرًا**): هذه أسماء الملائكة الذين يسألون الإنسان في قبره، والمراد لا تنكر فتنة القبر وسؤال الملكين. **والفتنة لغة**: الاختبار، وفتنة القبر: سؤال الميت عن ربه، ودينه، ونبيه. يقال له: (**من ربك؟**) أي: من ربك الذي خلقك وتعبده وتخصه بالعبادة؟ (**وما دينك؟**) أي: ما عملك الذي تدين به لله عز وجل، وتتقرب به إليه؟ (**ومن نبيك؟**) أي: من النبيُّ الذي تؤمن به وتتبعه؟

والفتنة في القبر ثابتة بالكتاب والسنة، وإجماع السلف. ومن أدلة ذلك:

حديث أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي القُبُورِ مِثْلَ أَوْ قَرِيبًا مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ**» متفق عليه. (١)

وعن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «**المُسْلِمُ إذا سُئِلَ في الْقَبْرِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إلا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رسول الله. فَذَلِكَ قَوْلُهُ:** ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ ﴾إبراهيم: ٢٧ . متفق عليه. (٢)

ومعنى تثبيت الله للمؤمنين: أي: يجعلهم ثابتين لا يترددون ولا يتلعثمون في الجواب. والقول الثابت: هو التوحيد. (٣)

ومن الإيمان بفتنة القبر الإيمان بما يكون فيه من سؤال الملكين، فعَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رضي الله عنه قَالَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا فَرَغَ مِنْ دَفْنِ الْمَيِّتِ وَقَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ:

---

(١) رواه البخاري (١٣٠٥) ومسلم (٩٠٥).

(٢) رواه البخاري (٤٤٢٢) ومسلم (٢٨٧١).

(٣) شرح الواسطية للعلامة العثيمين، (ص: ٣٧٣).

«**اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ وَسَلُوا لَهُ بِالتَّثْبِيتِ فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَل**». رواه أبو داود قال الإمام الوادعي في الصحيح المسند (٩١١) هذا حديث حسن.

والسائل ملكان؛ لقول النبي ﷺ: «**إِنَّ الْعَبْدَ إذا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عنه أَصْحَابُهُ وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ**» متفق عليه. عن أنس رضي الله عنه. (١)

وقد جاء تسميتهما في السنة منكرا ونكيرا، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ، أَوْ قَالَ: أَحَدُكُمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ، وَلِلآخَرِ: النَّكِيرُ، الحديث**. رواه الترمذي وهو في الصحيحة (١٣٩١).

وهذه التسمية ليس لأنهما منكران من حيث ذواتهما، ولكنهما منكران من حيث إن الميت لا يعرفهما، وليس له بهما علم سابق، وقد قال إبراهيم لأضيافه الملائكة: {قَوْمٌ مُّنكَرُونَ} [الذريات:٢٥]؛ لأنه لا يعرفهم، فهذان منكر ونكير؛ لأنهما غير معروفين للميت. أفاده العلامة العثيمين. (٢)

❋ ويُسأل الإنسان في قبره، عن ربه ودينه ونبيه، كما دل عليه حديث البراء رضي الله عنه الطويل أن النبي ﷺ، فذكر الحديث وفيه: «**قَالَ : فَيَقُولُ اللهُ تعالى اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ فِي السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الأَرْضِ ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى، فَيُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولاَنِ لَهُ : مَنْ رَبُّك ؟ فَيَقُولُ : رَبِّيَ اللهُ فَيَقُولاَنِ لَهُ : مَا دِينُك ؟ فَيَقُولُ**

(١) رواه البخاري (١٣٠٨) ومسلم (٢٨٧٠)

(٢) شرح الواسطية للعلامة العثيمين (ص:٣٧١).

دِينِي الإِسْلاَمُ ، فَيَقُولاَنِ لَهُ : مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ ؟ فَيَقُولُ : هُوَ رَسُولُ الله ﷺ : فَيَقُولاَنِ : مَا عِلمُك به؟ فَيَقُولُ: قَرَأْت كِتَابَ الله وَآمَنْت بِهِ وَصَدَقْت بِهِ، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ ، فَيَأْتِيهِ مِنْ طِيبِهَا وَرَوْحِهَا ، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ»، وقال في شأن الفاجر أو الكافر: «قَالَ: فَيُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ ، فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَنْ رَبُّك ؟ فَيَقُولُ : هَاهَا لاَ أَدْرِي ، وَيَقُولاَنِ : لَهُ وَمَا دِينُك، فَيَقُولُ: هَاهَا لاَ أَدْرِي، قَالَ: فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ ، أَفْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، قَالَ : فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا ، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فيه أَضْلاَعُهُ ». الحديث، رواه أحمد وابن أبي شيبة وهو في الصحيح المسند(١٤١).

وفي حديث أسماء رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ: «وَإِنَّهُ قَدْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ قَرِيبًا، أَوْ مِثْلَ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ - لَا أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ - فَيُؤْتَى أَحَدُكُمْ، فَيُقَالُ: مَا عِلْمُكَ بِهَذَا الرَّجُلِ؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ، أَوِ الْمُوقِنُ - لَا أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ - فَيَقُولُ: هُوَ مُحَمَّدٌ، هُوَ رَسُولُ الله، جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى، فَأَجَبْنَا وَأَطَعْنَا، ثَلَاثَ مِرَارٍ، فَيُقَالُ لَهُ: نَمْ، قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ إِنَّكَ لَتُؤْمِنُ بِهِ، فَنَمْ صَالِحًا، وَأَمَّا الْمُنَافِقُ، أَوِ الْمُرْتَابُ - لَا أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ - فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ: شَيْئًا، فَقُلْتُ » رواه البخاري (٨٦)، ومسلم (٩٠٥). قال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله: فتنة الملكين منكر ونكير ... الآثار في هذا متواترة وأهل السنة والجماعة كلهم على الإيمان بذلك ولا ينكره إلا أهل البدع.اهـ. (١)

(١) التمهيد (٢/ ١٣٠).

والسؤال عام للمكلفين من المؤمنين والكافرين، ومن هذه الأمة وغيرهم على القول الصحيح، ويستثنى من ذلك **خمسة أصناف وهم**: الأنبياء، والصديقون، والشهداء، والمرابطون، ومن لا عقل له؛ كالمجانين، والصبيان. (١)

وفي حديث سلمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأَمِنَ الْفَتَّانَ**» رواه مسلم (١٩١٣).

وقال عن الشهيد: «**كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة**»، رواه النسائي عن رجل من الصحابة رضي الله عنهم، وصححه العلامة الألباني رحمه الله.

الإيمان بالحوض

قوله: (**وَلا الْحَوضَ**): أي: ولا تنكر ولا تجحد الحوض، **والحوض لغة**: الجمع يقال حاض الماء يحوضه إذا جمعه، ويطلق على مجتمع الماء.

وشرعًا: حوض الماء النازل من الكوثر في عرصات القيامة للنبي ﷺ. ودل عليه السنة المتواترة وأجمع عليه أهل السنة. ومن أدلة ذلك:

١. حديث جندب رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ**» رواه البخاري (٦٥٨٩) ومسلم (٢٢٨٩).

٢. حديث عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ، وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الْوَرِقِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا**» رواه البخاري (٦٥٧٩) ومسلم (٢٢٩٢).

---

(١) شرح الواسطية للعلامة العثيمين (ص: ٣٧٠).

٣. حديث أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا آنِيَةُ الْحَوْضِ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا، أَلَا فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ الْمُصْحِيَةِ، آنِيَةُ الْجَنَّةِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا لَمْ يَظْمَأْ آخِرَ مَا عَلَيْهِ، يَشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ، عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ، مَا بَيْنَ عَمَّانَ إِلَى أَيْلَةَ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ**» رواه مسلم (٢٣٠٠).

قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ رحمه الله: أَحَادِيثُ الْحَوْضِ صَحِيحَةٌ وَالْإِيمَانُ بِهِ فَرْضٌ وَالتَّصْدِيقُ بِهِ مِنَ الْإِيمَانِ وَهُوَ عَلَى ظَاهِرِهِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ لَا يُتَأَوَّلُ وَلَا يُخْتَلَفُ فِيهِ قَالَ الْقَاضِي وَحَدِيثُهُ مُتَوَاتِرُ النَّقْلِ رَوَاهُ خَلَائِقُ مِنَ الصَّحَابَةِ. اهـ. (١)

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: وَمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ أَمْرِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَالْبَعْثِ وَالْحِسَابِ وَفِتْنَةِ الْقَبْرِ وَالْحَوْضِ وَشَفَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ فِي أَهْلِ الْكَبَائِرِ فَإِنَّ هَذِهِ الْأُصُولَ كُلَّهَا مُتَّفَقٌ عَلَيْهَا بَيْنَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.اهـ. (٢)

وممن يذاد عن الحوض:

١. **المبتدع**: فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**تَرِدُ عَلَيَّ أُمَّتِي الْحَوْضَ، وَأَنَا أَذُودُ النَّاسَ عَنْهُ، كَمَا يَذُودُ الرَّجُلُ إِبِلَ الرَّجُلِ عَنْ إِبِلِهِ**» قَالُوا يَا نَبِيَّ اللهِ أَتَعْرِفُنَا؟ قَالَ: " **نَعَمْ لَكُمْ سِيمَا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ غَيْرِكُمْ تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ، وَلَيُصَدَّنَّ عَنِّي طَائِفَةٌ مِنْكُمْ فَلَا يَصِلُونَ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ هَؤُلَاءِ مِنْ أَصْحَابِي. فَيُجِيبُنِي مَلَكٌ، فَيَقُولُ: وَهَلْ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ؟** » رواه مسلم (٢٤٧).

---

(١) شرح النووي على مسلم (١٥/ ٥٣)

(٢) مجموع الفتاوى (١١/ ٤٨٦)

٢. **من يعين على الظلم:** فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال لكعب بن عجرة رضي الله عنه «**أَعَاذَكَ اللهُ مِنْ إِمَارَةِ السُّفَهَاءِ**»، قَالَ: وَمَا إِمَارَةُ السُّفَهَاءِ؟، قَالَ: «**أُمَرَاءُ يَكُونُونَ بَعْدِي، لَا يَقْتَدُونَ بِهَدْيِي، وَلَا يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي، فَمَنْ صَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَأُولَئِكَ لَيْسُوا مِنِّي، وَلَسْتُ مِنْهُمْ، وَلَا يَرِدُوا عَلَيَّ حَوْضِي، وَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَلَمْ يُعِنْهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَأُولَئِكَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ، وَسَيَرِدُوا عَلَيَّ حَوْضِي. يَا كَعْبُ بْنَ عُجْرَةَ، الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ، وَالصَّلَاةُ قُرْبَانٌ - أَوْ قَالَ: بُرْهَانٌ - يَا كَعْبُ بْنَ عُجْرَةَ، إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ النَّارُ، أَوْلَى بِهِ. يَا كَعْبُ بْنَ عُجْرَةَ، النَّاسُ غَادِيَانِ: فَمُبْتَاعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا، وَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُوبِقُهَا**» رواه أحمد (١٤٣١) وهو في الصحيح المسند (٢٤٥) لشيخنا الوادعي وصححه الشيخ الألباني في ظلال الجنة (٧٥٦)، رحمهما الله تعالى.

الإيمان بالميزان:

قوله: (**والميزانَ**): أي: ولا تجحد الميزان، ولا تنكره، والميزان جمعه موازين، والميزان لغة: ما تقدر به الأشياء خفة وثقلًا. **وشرعًا:** ما يضعه الله يوم القيامة لوزن أعمال العباد. وقد دل عليه الكتاب، والسنة، وإجماع السلف.

قال الله تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٢ - ١٠٣]

وقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ: «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ**» رواه

البخاري (٦٤٠٦) ومسلم (٢٦٩٤). وأجمع السلف على ثبوت ذلك.

قال أبو الحسن الأشعري رَحِمَهُ اللَّهُ: وأجمعوا على ...أن الله تعالى ينصب الموازين لوزن أعمال العباد فمن ثقلت موازينه أفلح ومن خفت موازينه خاب وخسر وأن كفة السيئات تهوي إلى جهنم وأن كفة الحسنات تهوي عند زيادتها إلى الجنة.اهـ.(١)

❁ **وهو ميزان حقيقي، له كفتان**؛ دليل ذلك:

حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ في حديث البطاقة، قال: «**فتوضع السجلات في كِفة والبطاقة في كِفة**»، الحديث رواه الترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه والحديث في الصحيح المسند(٧٨٧) وقال العلامة الألباني: إسناده صحيح، الصحيحة (١٣٥).

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: قال أبو إسحاق الزجاج أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان وأن أعمال العباد توزن يوم القيامة وأن الميزان له لسان وكفتان ويميل بالأعمال.اهـ.(٢)

تنبيه: وإثبات اللسان للميزان جاء فيه أثر عن ابن عباس عند البيهقي في الشعب، لكنه ضعيف جدا، من طريق عطاء بن السائب الكلبي، والسدي الصغير، وهما متروكان.

واختلف العلماء هل هو ميزان واحد أو متعدد؟

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: الأكثر على أنه إنما هو ميزان واحد، وإنما جمع باعتبار تعدد الأعمال الموزونة فيه.اهـ.ورجحه الحافظ.(٣)

---

(١) رسالة إلى أهل الثغر (٢٨٣) ومجموع الفتاوى (٣/ ١٤٥).

(٢) الفتح (٧٥٦٣).

(٣) تفسيره (٣/ ٢٢١) والفتح (٧٥٦٣).

والذي يوزن العمل؛ لظاهر الآية السابقة والحديث بعدها، **وقيل**: صحائف العمل؛ لحديث صاحب البطاقة. **وقيل**: العامل نفسه؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، اقْرَءُوا**: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴾» رواه البخاري (٤٧٢٩) ومسلم (٢٧٨٥).

وجمع بعض العلماء بين هذه النصوص:

بأن الجميع يوزن، أو أن الوزن حقيقة للصحائف، وحيث إنها تثقل وتخف بحسب الأعمال المكتوبة صار الوزن كأنه للأعمال، وأما وزن صاحب العمل فالمراد به قدره وحرمته. وهذا جمع حسن، والله أعلم. **قال الحافظ ابن كثير** رحمه الله: وقد يمكن الجمع بين هذه الآثار بأن يكون ذلك كله صحيحًا، فتارة توزن الأعمال وتارة توزن محالها وتارة يوزن فاعلها، والله أعلم.اهـ. (١)

ورجحه ابن أبي العز رحمه الله واختاره الشيخ ابن باز رحمه الله وقال: الجميع يوزن ولكن الاعتبار في الثقل والخفة يكون بالعمل لا بذات العامل ولا بالصحيفة.اهـ.

قوله: (**إِنَّـكَ تُنْصَحُ**): أي: هذه نصيحة نصحتك بها أن لا تنكر ما جاءت به الأدلة وصح عن نبيك ﷺ، **والنصيحة**: كلمة يُعَبِّرُ بها عن جملة، هي إرادة الخير للمَنْصوح له، وليس يُمكنُ أن يُعَبَّر هذا المعنى بكلمة واحدة تَجْمَع معناه غيرها. وأصل النُّصْح في اللغة: الخُلوص. يقال نَصَحتُه، ونَصحتُ له. (٢)

وقد جعل النبي ﷺ قوام الدين وعماده النصيحة لأهميتها، فعن أبي رقية تَمِيمٍ

(١) تفسير ابن كثير، سورة الأعراف، (٢/ ٢٤٧)

(٢) قاله ابن الأثير في النهاية (٥/ ٤٩).

الدَّارِيِّ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**» **قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ:** «**للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**» رواه مسلم (٥٥).

ومعنى نصيحةِ الله: صِحَّةُ الاعتقاد في وَاحْدانِيتِّه، وإخلاصُ النِيَّة في عبادتِه.

والنصيحة لكتاب الله: هو التصديق به والعمَلُ بما فيه.

ونصيحة رسوله: التصديق بنُبُوَّته ورسالتِه، والانْقياد لما أمَر به ونَهَى عنه.

ونصيحة الأئمة: أن يُطِيعَهم في الحق، ولا يَرى الخروجَ عليهم إذا جارُوا.

ونَصيحة عامّة المسلمين: إرشادُهم إلى مصالِحهم. أفاده ابن الأثير [١]

---

(١) النهاية (٥/ ٥٠).

خروج الموحدين من النار

٢٣. وقُـلْ يُخْـرِجُ اللهُ العَظيمُ بِفَضلِهِ ....مِن النارِ أجْسادًا مِن الفَحْمِ تُطْرَحُ
٢٤. عَلَى النَّهرِ في الفِردوسِ تَحْيَا بِمَائِهِ ...كَحَبَّةِ حِمْـلِ السَّيْلِ إذْ جَاءَ يَطْفَـحُ

هذان البيتان فيهما بيان لعقيدة أهل السنة والجماعة الفرقة الناجية، في المذنبين من أهل الإيمان ممن دخلوا النار، وأنهم يخرجون منها.

فقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وقُـلْ**): أيها المتبع للحق، السائر على نهج الكتاب والسنة.

قوله: (**يُخْـرِجُ اللهُ العَظيمُ**): العظيم من أسماء الله الحسنى، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾[البقرة:٢٥٥] والعظيم من اتصف بصفات كثيرة من صفات الكمال.

فائدة عزيزة: قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: ما يجري صفة أو خبرا على الرب تبارك وتعالى أقسام: **أحدها**: ما يرجع إلى نفس الذات كقولك ذات وموجود وشيء. **الثاني**: ما يرجع إلى صفات معنوية كالعليم والقدير والسميع.

الثالث: ما يرجع إلى أفعاله نحو الخالق والرزاق.

الرابع: ما يرجع إلى التنزيه المحض ولا بد من تضمنه ثبوتا إذ لا كمال في العدم المحض كالقدوس والسلام.

الخامس: ولم يذكره أكثر الناس وهو الاسم الدال على جملة أوصاف عديدة لا تختص بصفة معينة بل هو دال على معناه لا على معنى مفرد نحو المجيد العظيم الصمد فإن المجيد من اتصف بصفات متعددة من صفات الكمال ولفظه يدل على هذا فإنه موضوع للسعة والكثرة والزيادة.اهـ. (١)

(١) بدائع الفوائد (١/ ١٦٦)

قوله: (**بِفَضلِهِ**): أي: أن خروج عصاة الموحدين من النار، فضل من الله عز وجل عليهم، وهو مقتضى عدله.

قوله: (**مِن النارِ**): **النار**: هي الدار التي أعدها الله سبحانه وتعالى للكافرين والظالمين؛ لكن الظلم إن كان ظلم الكفر فهم مخلدون فيها؛ وإن كان ظلمًا دون الكفر فإنهم مستحقون للعذاب بحسب حالهم.

والنار مخلوقة موجودة، قد أعدها الله، **ومن أدلة ذلك:**

١. قول الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ١٣١﴾[آل عمران:١٣١]. (١)

٢. حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ، إِذْ سَمِعَ وَجْبَةً، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**تَدْرُونَ مَا هَذَا؟**» **قَالَ: قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا، فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الْآنَ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا»** رواه مسلم (٢٨٤٤).

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: اتّفق أهل السّنة وَالْجَمَاعَة على أن الْجنَّة وَالنَّار مخلوقتان، وَقد تَوَاتَرَتْ الاحاديث عَن النَّبِي ﷺ بذلك كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ عَن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عَن النَّبِي ﷺ أنه قَالَ: «**إن أحدكم إِذا مَاتَ عرض عَلَيْهِ مَقْعَده بِالْغَدَاةِ والعشيِّ إِن كَانَ من أهل الْجنَّة فَمن أهل الْجنَّة وَإِن كَانَ من أهل النَّار فَمن أهلِ النَّار، يُقَال هَذَا مَقْعَدك حَتَّى يَبْعَثك الله يَوْم الْقِيَامَة**».اهـ. (٢)

قوله: (**أجْسادًا مِن الفَحْمِ**): أي: يخرج الله من النار أجسادًا، أي: أقوامًا من أهل الكبائر ممن دخلوها بسبب ذنوبهم، وماتوا فيها حتى صاروا فحما. والفحم:

---

(١) وانظر: تفسير العثيمين: لسورة الفاتحة والبقرة (٢ / ٢٦٨)

(٢) مفتاح دار السعادة (١ / ١٧)

كل ما احترق من النار. قال الأزهري: الحمم الفحم البارد، الواحدة حممة. (١)

قوله: (تُطْرَحُ عَلَى النَّهرِ فِي الفِردوسِ تَحْيَا بِمَائِهِ): أي: أن هذه الأجساد التي صارت فحما، تُلقَى على أنهار الجنة فيُصَبُّ عليهم ماء الحياة فيحيون.

قوله: (كَحَبّةِ حِمْلِ السَّيْلِ): الحِبَّة بالكسر: بُزُور البُقُول وحَبُّ الرَّيَاحِينِ. وَقِيلَ هُوَ نَبْت صَغِيرٌ يَنْبُت فِي الْحَشِيشِ. فَأَمَّا الحَبَّةُ بِالْفَتْحِ فَهِيَ الحِنْطَة وَالشَّعِيرُ ونحوُهُما. وَهُوَ مَا يَجِيءُ بِهِ السَّيْل مِنْ طِينٍ أَوْ غُثَاء وَغَيْرِهِ، فَعِيل بِمَعْنَى مَفْعُولٍ، فَإِذَا اتَّفَقَت فِيهِ حِبَّة واسْتَقَرّت عَلَى شَطّ مَجْرَى السَّيْل فَإِنَّهَا تَنْبُت فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فشُبِّه بِهَا سُرْعة عَوْد أَبْدَانِهم وأَجْسَامِهم إِلَيْهِمْ بَعْدَ إِحْراق النَّار لَهَا. (٢) **والمعنى:** أنهم ينبتون نبات الحِبَّةِ في حميل السيل في سرعة نباتها وضعفها فتخرج لضعفها صفراء ملتوية ثم تشتد قوتهم بعد ذلك ويصيرون إلى منازلهم وتكمل أحوالهم.

وفي النسخ الخطية الثلاث: كحبة حمل السيل، وليس في شيء منها: كحب حميل السيل.

قوله: (إِذْ جَاءَ يَطْفَحُ): **طفح:** طفح الإناء والنهر يطفح طفحا وطفوحا: امتلأ وارتفع حتى فاض. (٣)

والكلام في هذين البيتين على أهل الكبائر الذين لم يتوبوا، أما من تاب فإن الله يتوب عليه مهما عظمت ذنوبه، وأدلة ذلك كثيرة:

منها: قول الله عز وجل: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن

---

(١) لسان العرب (١٢ / ١٥٧).

(٢) قاله في النهاية (١/ ٣٢٦، ٤٤٢)

(٣) لسان العرب (٢/ ٥٣٠)

﴿رَحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزُّمَر:٥٣]

ومنها: قصة الذي قتل تسعة وتسعين نفسا وأكمل المائة ثم تاب فقبل الله منه. كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، رواه البخاري (٣٤٧٠)، ومسلم (٢٧٦٦).

وأما من مات وهو مصر على الذنب، فإن الله عز وجل يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ﴾[النساء:٤٨]

فدلت هذه الآية على **أن الذنوب قسمان:**

❁ قسم لا يغفر، وهو الشرك الأكبر.

❁ وقسم دون الشرك: فهذا تحت مشيئة الله إن شاء عذب صاحبه، وإن شاء غفر له، وقيد غفرانه بالمشيئة، وهذا في حق من لم يتب ويؤيد ذلك:

حديث أَنَس بْن مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلاَ أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، وَلاَ أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لاَ تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً**». رواه الترمذي، وهو في الصحيحة برقم (١٢٧).

❁ **فأهل الكبائر التي دون الشرك إذا ماتوا ولم يتوبوا** من ذنوبهم، فإنهم لا يكونون كفارا، ولا يخلدون في النار؛ بسبب ما عندهم من الإيمان، وفي هذا رد على الخوارج والمعتزلة، الذين يحكمون على صاحب الكبيرة بالخلود في النار؛ لأنه عندهم بوقوعه في الكبيرة يخرج من الإيمان، وهذا باطل ترده الأدلة.

وضابط الكبيرة هو: كل ذنب رُتب عليه حد، أو ختم بغضب أو لعنة أو نار، أو تبرى الرسول ﷺ من فاعله. فأهل الكبائر من هذه الأمة من عصاة الموحدين،

ممن دخلوا النار بذنوب ماتوا ولم يتوبوا منها، فإنهم يخرجون منها ولا يخلدون، والدليل على ذلك: حديث **أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ** رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، يَقُولُ الله: مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيَخْرُجُونَ قَدْ امْتُحِشُوا وَعَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرِ الحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ أَوْ قَالَ: حَمِيَّةِ السَّيْلِ**» وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَلَمْ تَرَوْا أَنَّهَا تَنْبُتُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً**» رواه البخاري (٦٥٦٠) ومسلم (١٨٤).

فالتوحيد يمنع من الخلود في النار، خلافا لأهل البدع من الخوارج والمعتزلة، الذي يقولون: إن أهل الكبائر لا يخرجون منها، فيسوونهم بالكفار والمشركين الذين هم أهل النار ولا يستوون. **فأهل النار على قسمين:**

القسم الأول: أهل النار من الكفار والمشركين فهؤلاء هم أهلها، ولايخرجون منها أبدا، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٣٦ يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ٣٧﴾ [المائدة:٣٧]

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: وَأَمَّا النَّارُ فَغَايَةُ مَا أَخْبَرَ بِهِ عَنْهَا أَنَّ أَهْلَهَا لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا، وَأَنَّهُمْ (**خَالِدِينَ فِيهَا**) (**وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ**)، وَهَذَا مُجْمَعٌ عَلَيْهِ بَيْنَ أَئِمَّةِ الْإِسْلَامِ.اهـ. (١)

القسم الثاني: أهل الكبائر من المسلمين، فهؤلاء يخرجون من النار بشفاعة الشافعين أو برحمة رب العالمين، يدل على هذا التقسيم:

---

(١) كما في مختصر الصواعق (ص: ٢٦٢).

١. حديث أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ، وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ - أَوْ قَالَ بِخَطَايَاهُمْ - فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا، أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ، فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ، فَبُثُّوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ قِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ**»، فَقَالَ: رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، كَأَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَدْ كَانَ بِالْبَادِيَةِ. رواه مسلم (١٨٥).

٢. وحديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مِنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مِنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مِنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ ذَرَّةً**». رواه البخاري (٤٤) ومسلم (١٩٣).

٣. وحديث عَبْدِ الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الجَنَّةِ دُخُولًا، رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ كَبْوًا، فَيَقُولُ الله: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ**» رواه البخاري (٦٥٧١) ومسلم (١٨٦).

قال الإمام النووي رحمه الله: وأما معنى الحديث: فالظاهر والله أعلم من معنى هذا الحديث أن الكفار الذين هم أهل النار والمستحقون للخلود لا يموتون فيها ولا يحيون حياة ينتفعون بها ويستريحون معها، كما قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ﴾[فاطر:٣٦] وكما قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ١٣﴾[الأعلى:١٣]

وهذا جارٍ على مذهب أهل الحق، أن نعيم أهل الجنة دائم، وأن عذاب أهل الخلود في النار دائم. وأما قوله ﷺ «**ولكن ناس أصابتهم النار**» إلى آخره، **فمعناه:**

أن المذنبين من المؤمنين يميتهم الله تعالى إماتة بعد أن يعذبوا المدة التي أرادها الله تعالى، وهذه الإماتة إماتة حقيقية، يذهب معها الإحساس، ويكون عذابهم على قدر ذنوبهم، ثم يميتهم ثم يكونون محبوسين في النار من غير إحساس، المدة التي قدرها الله تعالى، ثم يخرجون من النار موتى قد صاروا فحما، فيحملون ضبائر كما تحمل الأمتعة، ويلقون على أنهار الجنة، فيُصَبُّ عليهم ماء الحياة، فيحيون وينبتون نبات الحِبَّةِ في حميل السيل في سرعة نباتها وضعفها، فتخرج لضعفها صفراء ملتوية، ثم تشتد قوتهم بعد ذلك، ويصيرون إلى منازلهم وتكمل أحوالهم. فهذا هو الظاهر من لفظ الحديث ومعناه. ... وأما قوله ﷺ «**ضبائر ضبائر**» فكذا هو في الروايات والأصول: «**ضبائر ضبائر**» مكرر مرتين وهو منصوب على الحال، وهو بفتح الضاد المعجمة وهو جمع ضَبَارَة، بفتح الضاد وكسرها لغتان حكاهما القاضي عياض وصاحب المطالع وغيرهما، أشهرهما الكسر ولم يذكر الهروي وغيره إلا الكسر ويقال فيها أيضا إضبارة بكسر الهمزة قال أهل اللغة الضبائر جماعات في تفرقة ورُوِيَ ضبارات ضبارات.اهـ.(١)

وقد أجمع الصحابة على ذلك وأن عصاة الموحدين لا يخلدون في النار.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: ومذهب الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين وسائر أهل السنة والجماعة أنه ﷺ يشفع في أهل الكبائر وأنه لا يخلد في النار من أهل الإيمان أحد؛ بل يخرج من النار من في قلبه مثقال حبة من إيمان أو مثقال ذرة من إيمان.اهـ.(٢)

---

(١) شرح مسلم (٣/ ٣٧، ٣٨).

(٢) مجموع الفتاوى (١/ ٣١٨)

الشفاعة

٢٥. فإنَّ رَسُولَ الله للخَلقِ شَافعٌ ... وقُلْ فِي عَذابِ القَبرِ حقٌّ مُوَضَّحُ

قوله: (فإنَّ رَسُولَ الله): هل هناك فرق بين النبي والرسول؟ ذكر أهل العلم فروقا بينهما ومن أدلة ذلك:

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾[الحج:٥٢] الآية، والعطف بالواو يقتضي المغايرة؛ مغايرة الذات أو مغايرة الصفات، مع أن الآية دلت على أنّ كلا من النبي والرسول يقع عليه إرسال.

الفرق بين النبي والرسول

اختلف فيه على أقول، وأقربها:

❁ **أن النبي:** هو من أَوْحَى الله إليه بشرعٍ وأمر بتبليغه إلى قوم موافقين؛ يعني موافقين له في التوحيد.

❁ **والرسول:** هو من أَوْحى الله إليه بشرع وأُمِرَ بتبليغه إلى قوم مخالفين.

فكل نبي رسولٌ مأمور بالتبليغ، لكن الإرسال على نوعين:

١. **الإرسال إلى قوم مؤمنين** بتعليمِهِم، وفتواهُم، والحكمِ بينهم.

٢. **والإرسال إلى قوم كفار** مكذبين لدعوتهم إلى الله.

قوله: (فإنَّ رَسُولَ الله للخَلقِ شَافعٌ) المراد بالرسول هنا نبينا محمد ﷺ

والشفاعة: **لغة:** جعل الوتر شفعًا، **واصطلاحًا:** التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة. **والشفاعة نوعان:** ❁ **شفاعة منفية** ❁ **وشفاعة مثبتة.**

فالشفاعة المنفية يراد بها شيئان: **أحدهما:** أنها لا تنفع المشركين كما قال تعالى

في نعتهم: ﴿عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدَّثر:٤١ـ٤٨]

فهؤلاء نفي عنهم نفع شفاعة الشافعين لأنهم كانوا كفارا.

والثاني: أنه يراد بذلك نفي الشفاعة التي يثبتها أهل الشرك ومن شابههم من أهل البدع من أهل الكتاب والمسلمين الذين يظنون: أن للخلق عند الله من القدر أن يشفعوا عنده بغير إذنه كما يشفع الناس بعضهم عند بعض فيقبل المشفوع إليه شفاعة شافع لحاجته إليه رغبة ورهبة وكما يعامل المخلوق المخلوق بالمعاوضة. أفاده الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ. (١)

ويدخل في الشفاعة المنفية: طلب الشفاعة من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله.

وهي ما يتعلق به المشركون في أصنامهم أو أوثانهم؛ حيث يعبدونهم ويزعمون أنهم شفعاء لهم عند الله؛ كما قال تعالى:﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يونس:١٨]

وقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾[الزُّمَر:٣] فهذه الشفاعة باطلة لا تنفع؛ كما قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر: ٤٨].

---

(١) مجموع الفتاوى (١/ ١٤٩).

والشفاعة المثبتة قسمان:

أ. شفاعة خاصة بالنبي ﷺ. ب. وشفاعة عامة له ولغيره من الملائكة والأنبياء والشهداء والصالحين والأفراط. فشفاعته الخاصة ﷺ أنواع:

أولا: **الشفاعة العظمى في أهل الموقف**، يشفع عند الله ليقضي بينهم حين يلحقهم من الكرب والغم مالا يطيقون. وهي التي قال الله عنها: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾ [الإسراء:٧٩]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: أُتِيَ رَسُولُ الله ﷺ يَوْمًا بِلَحْمٍ، فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً فَقَالَ: « **أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ بِمَ ذَاكَ؟ يَجْمَعُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ، وَمَا لَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: أَلَا تَرَوْنَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ؟ أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: ائْتُوا آدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ، أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى الْأَرْضِ، وَسَمَّاكَ اللهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِهَا عَلَى قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي،**

اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ ﷺ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَذَكَرَ كَذَبَاتِهِ، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى، فَيَأْتُونَ مُوسَى ﷺ، فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ فَضَّلَكَ اللهُ بِرِسَالَاتِهِ، وَبِتَكْلِيمِهِ عَلَى النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ مُوسَى ﷺ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ، وَكَلِمَةٌ مِنْهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ، فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ عِيسَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ ذَنْبًا، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ، فَيَأْتُونِّي فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَغَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ، وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَأَنْطَلِقُ، فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ، وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لِأَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، أَدْخِلِ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ

وَهَجَرٍ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى ». رواه البخاري (٣٣٤٠) ومسلم (١٩٤).

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَشْفَعُ لِلْخَلْقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَعْدَ أَنْ يَسْأَلَهُ النَّاسُ ذَلِكَ وَبَعْدَ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لَهُ فِي الشَّفَاعَةِ.اهـ.(١)

ثانيا: الشفاعة في دخول الجنة:

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ.** رواه مسلم (١٩٧).

ثالثا: الشفاعة لعمه أبي طالب:

عن العَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَا أَغْنَيْتَ عَنْ عَمِّكَ، فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ؟ قَالَ: «**هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَلَوْلاَ أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**». رواه البخاري (٣٨٨٣)، ومسلم (٢٠٩).

رابعا: الشفاعة في دخول أقوام الجنة بغير حساب.

في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الشفاعة، فيقول النبي ﷺ: «**فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لاَ حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ البَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الأَبْوَابِ**» رواه البخاري (٤٧١٢)،ومسلم (١٩٤).

أما الشفاعة العامة له عليه الصلاة والسلام، ولغيره، فهي:

❁ **الشفاعة لأهل الكبائر، ومن أدلتها:**

١. حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبيَّ ﷺ قال: «**اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ**

(١) مجموع الفتاوى (١/ ٣١٣).

فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا، ثُمَّ يَعُودُونَ، فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا» قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَإِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي فَاقْرَءُوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا﴾ [النساء: ٤٠]

«فَيَشْفَعُ النَّبِيُّونَ وَالمَلاَئِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ » رواه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣).

٢. حديث أنسِ بن مالكٍ رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «شَفَاعَتِي لأَهْلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي». رواه أبو داود (٤٧٣٩) بإسناد حسن، وصححه العلامة الألباني وشيخنا العلامة الوادعي في الشفاعة (٥٦).

٣. حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «خيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل نصف أمتي الجنة فاخترت الشفاعة؛ لأنها أعم وأكفى، أترونها للمتقين؟ لا، ولكنها للمذنبين الخطائين المتلوثين». رواه أحمد (٥٤٥٢)، وابن ماجه وهو في الصحيح المسند (٨٢٢).

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: ثُمَّ إنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ مُتَّفِقُونَ عَلَى مَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ رِضْوَانُ الله عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ وَاسْتَفَاضَتْ بِهِ السُّنَنُ مِنْ أَنَّهُ ﷺ يَشْفَعُ لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِهِ وَيَشْفَعُ أَيْضًا لِعُمُومِ الْخُلُقِ.اهـ. (١)

وقال أيضا: وَأَمَّا شَفَاعَتُهُ لِأَهْلِ الذُّنُوبِ مِنْ أُمَّتِهِ فَمُتَّفَقٌ عَلَيْهَا بَيْنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانِ وَسَائِرِ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ الْأَرْبَعَةِ وَغَيْرِهِمْ وَأَنْكَرَهَا كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ مِنْ الْخَوَارِجِ وَالْمُعْتَزِلَةِ وَالزَّيْدِيَّةِ وَقَالَ هَؤُلَاءِ: مَنْ يَدْخُلُ النَّارَ لَا يَخْرُجُ

(١) مجموع الفتاوى (١/ ٣١٣)

مِنْهَا.اهـ.(١)

وذكر الإمام النووي أنواع الشفاعات، **فقال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ جَوَازُ الشَّفَاعَةِ عَقْلًا وَوُجُوبُهَا سَمْعًا بِصَرِيحِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ١٠٩﴾[طه:١٠٩]

وقوله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾[الأنبياء:٢٨]

وَأَمْثَالِهَا وَبِخَبَرِ الصَّادِقِ ﷺ وَقَدْ جَاءَتِ الْآثَارُ الَّتِي بَلَغَتْ بِمَجْمُوعِهَا التَّوَاتُرَ بِصِحَّةِ الشَّفَاعَةِ فِي الْآخِرَةِ لِمُذْنِبِي الْمُؤْمِنِينَ وَأَجْمَعَ السَّلَفُ وَالْخَلَفُ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَيْهَا. وَمَنَعَتِ الْخَوَارِجُ وَبَعْضُ الْمُعْتَزِلَةِ مِنْهَا وَتَعَلَّقُوا بِمَذَاهِبِهِمْ فِي تَخْلِيدِ الْمُذْنِبِينَ فِي النَّارِ وَاحْتَجُّوا بقوله تعالى:﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ٤٨﴾[المدَّثر:٤٨] وَبِقَوْلِهِ تَعَالَى:﴿ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ١٨﴾ [غافر:١٨] وَهَذِهِ الْآيَاتُ فِي الْكُفَّارِ.

وَأَمَّا تَأْوِيلُهُمْ أَحَادِيثَ الشَّفَاعَةِ بِكَوْنِهَا فِي زِيَادَةِ الدَّرَجَاتِ فَبَاطِلٌ، وَأَلْفَاظُ الْأَحَادِيثِ فِي الْكِتَابِ وَغَيْرِهِ صَرِيحَةٌ فِي بُطْلَانِ مَذْهَبِهِمْ وَإِخْرَاجِ مَنِ اسْتَوْجَبَ النَّارَ. **والشَّفَاعَةَ خمسة أقسام:**

أولها مختصة بنبينا ﷺ وَهِيَ الْإِرَاحَةُ مِنْ هَوْلِ الْمَوْقِفِ وَتَعْجِيلُ الْحِسَابِ كَمَا سَيَأْتِي بيانُها.

الثَّانِيَةُ فِي إِدْخَالِ قَوْمٍ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَهَذِهِ وَرَدَتْ أَيْضًا لِنَبِيِّنَا ﷺ وَقَدْ ذَكَرَهَا مُسْلِمٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ. **الثَّالِثَةُ** الشَّفَاعَةُ لِقَوْمٍ اسْتَوْجَبُوا النَّارَ فَيَشْفَعُ فِيهِمْ نَبِيُّنَا ﷺ

(١) مجموع الفتاوى (١/ ١٤٨).

وَمَنْ شَاءَ الله تَعَالَى وَسَنُنَبِّهُ عَلَى مَوْضِعِهَا قَرِيبًا إِنْ شَاءَ الله تَعَالَى.

الرَّابِعَةُ فِيمَنْ دخل النار مِنَ الْمُذْنِبِينَ فَقَدْ جَاءَتْ هَذِهِ الْأَحَادِيثُ بِإِخْرَاجِهِمْ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ نَبِيِّنَا ﷺ وَالْمَلَائِكَةِ وَإِخْوَانِهِمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ثُمَّ يُخْرِجُ اللهُ تَعَالَى كُلَّ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ لَا يَبْقَى فِيهَا إِلَّا الْكَافِرُونَ.

الْخَامِسَةُ: فِي زِيَادَةِ الدَّرَجَاتِ فِي الْجَنَّةِ لِأَهْلِهَا وَهَذِهِ لَا يُنْكِرُهَا الْمُعْتَزِلَةُ وَلَا يُنْكِرُونَ أَيْضًا شَفَاعَةَ الْحَشْرِ الْأَوَّلِ.اهـ. (١)

لكن ذكر ابن القيم أنه لا يعلم دليلا على الشفاعة فيمن استحق النار أن لا يدخلها. **قال الإمام ابن القيم** رَحِمَهُ اللهُ في حاشيته على سنن أبي داود (١٣/ ٥٥): فقد تضمنت هذه الأحاديث خمسة أنواع من الشفاعة. **أحدها**: الشفاعة العامة التي يرغب فيها الناس إلى الأنبياء نبيا بعد نبي حتى يريحهم الله من مقامهم. **النوع الثاني**: الشفاعة في فتح الجنة لأهلها.

النوع الثالث: الشفاعة في دخول من لا حساب عليهم الجنة

النوع الرابع: الشفاعة في إخراج قوم من أهل التوحيد من النار.

النوع الخامس: في تخفيف العذاب عن بعض أهل النار.

ويبقى نوعان يذكرهما كثير من الناس:

أحدهما: في قوم استوجبوا النار فيشفع فيهم أن لا يدخلوها.

وهذا النوع لم أقف إلى الآن على حديث يدل عليه، وأكثر الأحاديث صريحة في أن الشفاعة في أهل التوحيد من أرباب الكبائر إنما تكون بعد دخولهم النار، وأما أن يشفع فيهم قبل الدخول فلا يدخلون فلم أظفر فيه بنص.

---

(١) شرح مسلم (٣/ ٣٥)

والنوع الثاني: شفاعته ﷺ لقوم من المؤمنين في زيادة الثواب ورفعة الدرجات.

وهذا قد يستدل عليه بدعاء النبي ﷺ لأبي سلمة وقوله اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين. وقوله في حديث أبي موسى اللهم اغفر لعبيد أبي عامر واجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك. وفي قوله في حديث أبي هريرة: «**أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله**» سِرٌّ من أسرار التوحيد، وهو أن الشفاعة إنما تنال بتجريد التوحيد فمن كان أكمل توحيدا، كان أحرى بالشفاعة لا أنها تنال بالشرك بالشفيع كما عليه أكثر المشركين وبالله التوفيق.اهـ. **قلت**: والثاني قد نقل فيه شيخه شيخ الإسلام الاتفاق، فقال:

وَأَمَّا شَفَاعَتُهُ [ﷺ] وَدُعَاؤُهُ لِلْمُؤْمِنِينَ فَهِيَ نَافِعَةٌ فِي الدُّنْيَا وَالدِّينِ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ وَكَذَلِكَ شَفَاعَتُهُ لِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي زِيَادَةِ الثَّوَابِ وَرَفْعِ الدَّرَجَاتِ مُتَّفَقٌ عَلَيْهَا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَقَدْ قِيلَ إنَّ بَعْضَ أَهْلِ الْبِدْعَةِ يُنْكِرُهَا.اهـ.(١)

وشفاعته ﷺ لا ينالها إلا أهل التوحيد، أما من أشرك بالله فلا تنفعه، دليل ذلك: حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا**» رواه البخاري (٦٣٠٤) مسلم (١٩٩).

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله: أما دعاؤه وشفاعته في الدنيا فلم ينكره أحد من أهل القبلة. وأما الشفاعة يوم القيامة فمذهب أهل السنة والجماعة - وهم الصحابة

---

(١) مجموع الفتاوى (١/ ١٤٨)

والتابعون لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين الأربعة وغيرهم - أن له شفاعات يوم القيامة خاصة وعامة وأنه يشفع فيمن يأذن الله له أن يشفع فيه من أمته من أهل الكبائر.

ولا ينتفع بشفاعته إلا أهل التوحيد المؤمنون؛ دون أهل الشرك ولو كان المشرك محبا له معظما له لم تنقذه شفاعته من النار وإنما ينجيه من النار التوحيد والإيمان به ولهذا لما كان أبو طالب وغيره يحبونه ولم يقروا بالتوحيد الذي جاء به لم يمكن أن يخرجوا من النار بشفاعته ولا بغيرها.

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قلت يا رسول الله أي الناس أسعد بشفاعتك يوم القيامة فقال «**أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه**».اهـ. (١)

(١) مجموع الفتاوى (١ / ١٥٣)

شروط الشفاعة:

❁ **الشفاعة الصحيحة ما جمعت شروطًا ثلاثة:**

الأول: رضى الله عن الشافع، بأن يكون أهلًا للشفاعة لكونه من المقربين لله عز وجل.

الثاني: رضاه عن المشفوع له، بأن يكون أهلًا لأن يشفع له، أما الكافر فما تنفعهم شفاعة الشافعين. لكن الشفاعة العظمى في الموقف عامة لجميع الناس من رضي الله عنهم ومن لم يرض عنهم.

الثالث: إذنه في الشفاعة؛ لقوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥]

وقوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ٢٦﴾ [النجم:٢٦]

وهذا فيه تيئيس هؤلاء المشركين من شفاعة آلهتهم،وأن الله عز وجل لا يشفع عنده أحد بغير إذنه، وأن أحدا لا يتمكن أن يتكلم يوم القيامة إلا أن يأذن له، وأن الشفاعة في الدار الآخرة لا تقع إلا بإذنه. (١)

❁ ❁ ❁

(١) حاشية كتاب التوحيد (ص: ١٣٥)، تفسير العلامة العثيمين: (الحجرات – الحديد) (ص: ٢١٩) وشرح العقيدة الواسطية للعثيمين (٢/ ١٦٨)

الإيمان بعذاب القبر لمن يستحقه

٢٥. فإنَّ رَسُـولَ اللـهِ للخَلقِ شَافـعٌ ... وقُلْ فِي عَذابِ القَبرِ حـقٌّ مُوَضَّحُ

(وقُلْ فِي عَذابِ القَبرِ) أي: آمن به وصدق.

(حـقٌّ مُوَضَّحُ): أي: أنه حق، وواقع لمن يستحقه، كما وضحته الأدلة وبينته.

وعن عائشة رضي الله عنها أنها سألت رسول الله ﷺ عن عذاب القبر فقال: «**عَذَابُ القَبْرِ حَقٌّ**» رواه البخاري (١٣٧٢).

وذكر الناظم عذاب القبر في هذا الموضع وكان الأولى به، أن يذكر بعد فتنة القبر، لأن نتيجة الفتنة إما نعيم وإما عذاب.

والناس في حياتهم البرزخية في القبر بحسب أعمالهم منهم من ينعم يأتيه من ريح الجنة، وروحها وطيبها، ومنهم من يعذب فيأتيه من حر النار وسمومها، ومن أدلة ذلك: قول الله تعالى: ﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ الواقعة: ٨٣-٨٩] إلخ السورة.

وقوله تعالى: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [غافر: ٤٦]

وحديث عثمان رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: **إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ**. قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلَّا الْقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ**. رواه الترمذي وهو في الصحيح المسند (٩٠٩).

وحديث البراء المشهور، عن النبي ﷺ في قصة فتنة القبر، قال في المؤمن: **فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ ، فَيَأْتِيهِ مِنْ طِيبِهَا وَرَوْحِهَا ، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ** » وقال في الكافر : «**فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ ، أَنْ كَذَبَ عبدي، أَفْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، قَالَ : فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا ، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فيه أَضْلاَعُهُ**»، رواه أحمد وابن أبي شيبة وهو في الصحيح المسند(١٤١).

وقوله: (**أشد العذاب**) أي: أشده ألما وأعظمه نكالا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور، وهي قوله: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ﴾ [غافر:٤٦]. (١)

وكان النبي ﷺ يتعوذ بالله في كل صلاة من عذاب القبر، وأمر أمته بذلك.

فعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**إِذَا فَرَغَ أَحَدُكُمْ مِنَ التَّشَهُّدِ الْآخِرِ، فَلْيَتَعَوَّذْ بِالله مِنْ أَرْبَعٍ: مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ**». رواه مسلم (٥٨٨) بهذا اللفظ.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخلت علي عجوزان من عجز يهود المدينة فقالتا لي: إن أهل القبور يعذبون في قبورهم، فكذبتهما ولم أنعم أن أصدقهما، فخرجتا ودخل علي النبي ﷺ فقلت له: يا رسول الله إن عجوزين وذكرت له فقال: «**صدقتا إنهم يعذبون عذابا تسمعه البهائم كلها**» فما رأيته بعد في صلاة إلا تعوذ من عذاب

(١) تفسير ابن كثير (٧ / ١٤٦)

القبر.رواه البخاري(٦٣٦٦) ومسلم (٥٨٦). وقد اتفق السلف وأهل السنة على إثبات عذاب القبر، ونعيمه، كما ذكر ابن القيم في كتاب «الروح ص:(٥١)». وذكر جملة كبيرة من الأدلة من الكتاب والسنة على إثبات ذلك.

وقال أبو الحسن الأشعري رَحِمَهُ اللَّهُ: وأجمعوا على أن عذاب القبر حق وأن الناس يفتنون في قبورهم بعد أن يحيون فيها ويسألون فيثبت الله من أحب تثبيته.اهـ. (١)

وهل يكون العذاب على الروح أو البدن أو عليهما؟

الأصل أن العذاب والنعيم يكون على الروح، والبدن تابع لها.

قال شيخ الإسلام: العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعا باتفاق أهل السنة والجماعة تنعم النفس وتعذب منفردة عن البدن وتعذب متصلة بالبدن والبدن متصل بها.اهـ. (٢)

من أسباب عذاب القبر:

❁ **النميمة وعدم التستر والتنزه، حال قضاء الحاجة.**

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ مَرَّ بِقَبْرَيْنِ يُعَذَّبَانِ، فَقَالَ: «**إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لاَ يَسْتَتِرُ مِنَ البَوْلِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ**» رواه البخاري (٢١٨)، ومسلم (٢٩٢).

❁ وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أكثر عذاب القبر من البول**» رواه أحمد وغيره وصححه الدارقطني والحاكم والذهبي والبوصيري والألباني. (٣)

❁ **الغيبة**: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَمَّا عُرِجَ بِي**

(١) رسالة على أهل الثغر(ص٢٧٩)

(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ٢٨٢)

(٣) الإرواء (١/ ٣١١)

مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمُشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ، قَالَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ، وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ». رواه أبو داود وهو في الصحيح المسند (١١٢).

❁ **ومنها**: التهاون بالصلاة المكتوبة، والذي يعرض عن القرآن، والذي يكذب الكذبة تبلغ الآفاق، والذي يأكل الربا، والزناة والزواني: عن سَمُرَةُ بْنُ جُنْدَبٍ رضي الله عنه ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الرُّؤْيَا، قَالَ: «**أَمَّا الَّذِي يُثْلَغُ رَأْسُهُ بِالحَجَرِ، فَإِنَّهُ يَأْخُذُ القُرْآنَ، فَيَرْفِضُهُ، وَيَنَامُ عَنِ الصَّلاَةِ المَكْتُوبَةِ**» رواه البخاري (١١٤٣).

ومن أسباب عذاب القبر أيضا: الغلول: كما في قصة الذي غل الشملة، والمرأة التي تمنع ولدها اللبن، مع وجوده، كما في حديث أبي أمامة: ينهش ثديهن الحيات. في الصحيح المسند (٤٨٤).

❁ **وأنكر الملاحدة عذاب القبر متعللين بأننا لو نبشنا القبر لوجدناه كما هو، ويرد عليهم بأمرين**: ١. دلالة الكتاب، والسنة، وإجماع السلف على ذلك.

٢. أن أحوال الآخرة لا تقاس بأحوال الدنيا، فليس العذاب أو النعيم في القبر المحسوس في الدنيا.

الحكمة من إخفاء عذاب القبر:

أولا: مخافة أن لا يدفن الناس بعضهم بعضا: فعن زَيْد بْنُ ثَابِتٍ رضي الله عنه، قال: قَالَ: النَّبِيُّ ﷺ قال: «**إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا، فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا، لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ**» رواه مسلم (٢٨٦٧).

ثانيا: إن في إخفاء ذلك سترا للميت، وعدم إزعاج لأهله، فلو سمعوا ميتهم يعذب ويصيح، لم يستقر لهم قرار.

ثالثا: أننا قد نهلك؛ لأنها صيحة توجب أن تسقط القلوب من معاليقها، فيموت الإنسان أو يغشى عليه. فإذا كان سماع صوته بغير عذاب يصعق منه الإنسان فكيف بصيحته من العذاب: فعن أبي سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «**إِذَا وُضِعَتِ الجِنَازَةُ، فَاحْتَمَلَهَا الرِّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ، فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً قَالَتْ: قَدِّمُونِي، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ قَالَتْ لِأَهْلِهَا: يَا وَيْلَهَا أَيْنَ يَذْهَبُونَ بِهَا، يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَ الإِنْسَانُ لَصَعِقَ** » رواه البخاري (١٣١٦).

رابعا: لو سمع الناس صراخ هؤلاء المعذبين؛ لكان الإيمان بعذاب القبر من باب الإيمان بالشهادة، لا من باب الإيمان بالغيب، وحينئذ تفوت مصلحة الامتحان. (١)

❁ ❁ ❁

(١) شرح الواسطية للعلامة العثيمين (ص:٣٧٤).

صاحب الكبيرة مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته

٢٦. ولا تُكْفِرَنْ أَهْلَ الصَّلاةِ وإِنْ عَصَوا .. فكلُّهُمُ يَعْصِي وذُو العَرشِ يَصْفَحُ

قوله: (**ولا تُكْفِرَنْ**): أي: لا تعتقد كفر (**أَهْلَ الصَّلاةِ وإِنْ عَصَوا**): أي: الذين يصلون صلاتنا ويستقبلون قبلتنا، **أهل القبلة**: هم المسلمون المصلون إليها، لحديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ صَلَّى صَلاتَنَا وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ، فَلاَ تُخْفِرُوا اللهَ فِي ذِمَّتِهِ**» رواه البخاري (٣٩١).

فمن نطق بالشهادتين واستقام عليهما فإنه مسلم لا يكفر بفعل الكبيرة، ولا يخرج من الإسلام بذلك، ولا يحكم عليه بالخلود في النار، ولو صدر منه بعض المعاصي، ولو كانت من الكبائر، وهي دون الشرك، ولكن يكون مسلمًا ناقص الإسلام وناقص الإيمان وفاسقًا، هذه عقيدة أهل السنة والجماعة. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ٤٨﴾ [النساء:٤٨]

وعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: « **أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا، إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ، وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ**» رواه البخاري (٦١٠٤) ومسلم (٦٠).

ومراد الناظم رحمه الله من هذه الجملة أيضًا مخالفة الخوارج والمعتزلة ومن شابههم ممن يكفرون بالذنب ويسلُبون عن صاحب الكبيرة، اسم الإسلام أو اسم الإيمان.

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله: وقد سئل عن العبد المؤمن هل يكفر بالمعصية أم

لا؟ **فأجاب:** لا يكفر بمجرد الذنب فإنه ثبت بالكتاب والسنة وإجماع السلف أن الزاني غير المحصن يجلد ولا يقتل والشارب يجلد والقاذف يجلد والسارق يقطع . ولو كانوا كفارا لكانوا مرتدين ووجب قتلهم وهذا خلاف الكتاب والسنة وإجماع السلف .اهـ. (١)

قوله: (**وَإِنْ عَصَوا**): أي: وإن وقعوا في المعاصي ولو كانت من الكبائر، ما لم تكن من الذنوب المكفرة. ومراده رَحِمَهُ اللَّهُ بالذنب الكبائر غير المخرجة من الملة.

ولذا **قال الإمام ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ: ونحن إذا قلنا: أهل السنة متفقون على أنه لا يكفر بالذنب فإنما نريد به المعاصي كالزنا والشرب.اهـ. (٢)

قوله: (**فكلُّهُمُ يَعْصِي**): أي: لا يسلم من المعاصي إلا من عصم الله، وفي الحديث القدسي: «**يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ**» رواه مسلم (٢٥٧٧) عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فيما يرويه عن ربه عز وجل.

قوله: (**وذُو العَرشِ يَصْفَـحُ**): ذو العرش، أي: صاحب العرش، والعرش هو الذي استوى عليه الله عز وجل، وهو أعظم المخلوقات وأكبرها وأوسعها.

قوله: (**يَصْفَـحُ**): **أي: يعفو ولا يؤاخذ بالذنب، لمن شاء**، صفح عنه يصفح صفحا: أعرض عن ذنبه. **والصَّفُوح**: الكريم، لأنه يصفح عمن جنى عليه. واستصفحه ذنبه: استغفره إياه وطلب أن يصفح له عنه. (٣)

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٣٠٧)

(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٣٠٢)

(٣) كذا في لسان العرب (٢/ ٥١٥).

المخالفون لأهل السنة في أهل الكبائر:

وخالف أهل السنة والجماعة في أهل الكبائر طوائف، منهم:

❁ **الخوارج**، فهم يُكفّرون بالكبائر ويخرجون بها من الملة، ويحكمون على صاحبها بالخلود في النار.

❁ **والمعتزلة**: يُخرِجون صاحب الكبيرة من الإسلام، ولا يدخلونه في الكفر، **ويقولون**: هو في منزلة بين المنزلتين، ولكن لو مات على الكبيرة فالمعتزلة مثل الخوارج في الحكم عليهم بالخلود في النار. ولا شك أن قولهم يخالف الأدلة الكثيرة في ذلك، منها:

حديث أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**يقول الله تعالى: مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرِجُوه**» يعني من النار، رواه البخاري (٢٢) ومسلم (١٨٤). **قال الإمام ابن تيمية** رحمه الله: ونصوص الكتاب والسنة، مع اتفاق سلف الأمة وأئمتها، متطابقة على أن من أهل الكبائر من يعذب وأنه لا يبقى في النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان.اهـ. (١)

❁ **وأما المرجئة** فيقولون: إنه لا يضر مع الإيمان معصية، مهما كانت كبيرة أو صغيرة إذا لم تصل إلى حد الكفر. فعندهم أن من صدق بالله عز وجل فإنه يكون مؤمناً، وإن فعل ما فعل، ولو ترك جميع أركان الإسلام عندهم لا يكون كافرا، المهم التصديق والاعتقاد، أما الأعمال فلا تزيد عندهم في الإيمان ولا تنقصه وليست منه، فهو مؤمن تام الإيمان ما دام مصدقا.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٨/ ١٩٢،١٩١)

سبب الخلاف بين الخوارج والمعتزلة، وبين المرجئة:

قال العلامة العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: وسبب الخلاف بين الوعيدية وبين المرجئة: أن كل واحد منهما نظر إلى النصوص بعين عوراء؛ ينظر من جانب واحد.

هؤلاء نظروا نصوص الوعد، فأدخلوا الإنسان في الرجاء، وقالوا: نأخذ بها، وندع ما سواها، وحملوا نصوص الوعيد على الكفار.

والوعيدية بالعكس؛ نظروا إلى نصوص الوعيد، فأخذوا بها، وغفلوا عن نصوص الوعد، فلهذا اختل توازنهم لما نظروا من جانب واحد.

❁ **وأهل السنة والجماعة** أخذوا بهذا وهذا، وقالوا: نصوص الوعيد محكمة؛ فنأخذ بها، ونصوص الوعد محكمة؛ فنأخذ بها. فأخذوا من نصوص الوعد ما ردوا به على الوعيدية، ومن نصوص الوعيد ما ردوا به على المرجئة.

وقالوا: فاعل الكبيرة مستحق لدخول النار؛ لئلا نهدر نصوص الوعيد؛ غير مخلَّد فيها؛ لئلا نهدر نصوص الوعد. فأخذوا بالدليلين ونظروا بالعينين.اهـ. (١)

(١) شرح العقيدة الواسطية للعثيمين (٢/ ٦٩ـ٧١) وتعليقات العلامة الفوزان على الطحاوية (ص: ١٣١)

الإيمان بالعرش

قوله: ....وذُو العَرشِ يَصْفَـحُ

العرش، لغة: السرير الخاص بالملك، **وفي الشرع:** العرش العظيم الذي استوى عليه الرحمن جل جلاله، وهو أعلى المخلوقات وأكبرها وصفه الله بأنه عظيم وبأنه كريم وبأنه مجيد.(١) قال تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون:١١٦]

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: فذكر العرش؛ لأنه سقف جميع المخلوقات، ووصفه بأنه كريم، أي: حسن المنظر بهي الشكل، كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾﴾[لقمان:١٠].(٢) والعرش خلق عظيم قال الله تعالى:﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [التوبة:١٢٩]

فهو مع كبر حجمه وسعته، أثقل المخلوقات وزنته أثقل الأوزان.

وفي صحيح مسلم (٢٧٢٦)عن جويرية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ، وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى، وَهِيَ جَالِسَةٌ، فَقَالَ: «**مَا زِلْتِ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا؟**» قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ**». **قال شيخ**

---

(١) تعليق مختصر على لمعة الاعتقاد للعلامة العثيمين (ص:٦٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٥/ ٥٠٠)

الإسلام: فهذا يبين أن زنة العرش أثقل الأوزان.اهـ. (١)

ومن أوصاف العرش في القرآن والسنة:

❁ أنه يحمله ثمانية من الملائكة: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾﴾ [الحاقة:١٧]

❁ وأنه على الماء: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾[هود:٧] ❁ وأن له قوائم: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**النَّاسُ يَصْعَقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ العَرْشِ، فَلاَ أَدْرِي أَفَاقَ قَبْلِي أَمْ جُوزِيَ بِصَعْقَةِ الطُّورِ**» رواه البخاري (٣٣٩٨) ومسلم (٢٣٧٣).

❁ وأنه سقف جنة الفردوس: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَسَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ، وَأَعْلَى الجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ**» رواه البخاري (٧٤٢٣).

❁ وعن صفة حملة العرش: قال النَّبِيُّ ﷺ: «**أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ**» رواه أبو داود عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه وهو في الصحيح المسند (٢٤٨) والصحيحة (١٥١).

قال أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين رحمه الله في كتابه أصول السنة: ومن قول أهل السنة أن الله عز وجل خلق العرش واختصه بالعلو والارتفاع فوق

(١) الرسالة العرشية (ص٨).

جميع ما خلق.اهـ. (١)

وهذ كله يبطل تأويل المعطلة نفاة الصفات كالجهمية والمعتزلة؛ فإنهم لا يثبتون حقيقة العرش التي دلت عليها النصوص، فيفسرون العرش بالملك، ويقولون: ﴿اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] استولى على الملك، فالعرش عبارة عن كل المخلوقات.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في نونيته:

نون اليهود ولام الجهمي هما ... في وحي رب العرش زائدتان
أمر اليهود بأن يقولوا حطة ... فأبوا وقالوا حنطة لهوان
وكذلك الجهمي قيل له استوى ... فأبى وزاد الحرف للنقصان
قال استوى استولى وذا من جهله .. لغة وعقلا ما هما سيان
عشرون وجها تبطل التأويل باسـ ... ـتولى فلا تخرج عن القرآن

❁❁❁

(١) العرش للذهبي (١ / ٢٨١)

بدعة الخوارج

٢٨. ولا تَعتقِــدْ رَأيَ الخَوارجِ إنَّـهُ .... مَقَالٌ لِمَنْ يهـواهُ يُرْدِي ويَفْضَحُ

قوله: (**ولا تَعتقِــدْ**): أي: لا تؤمن بـ(**رَأي الخَوارجِ**)، ولا تتدين به.

وعبر عنه بـ(**رأي**)؛ لأنه مبني على أهوائهم لا على دليل من قرآن أو سنة.

والخوارج: كلّ من خرج على الإمام الحقّ الذي اتّفقت الجماعة عليه يُسَمّى خارجيًّا سواء كان الخروج في أيّام الصحابة على الأئمة الراشدين أو (من) كان بعدهم على التابعين لهم بإحسان والأئمة في كلّ زمان. قاله الشهرستاني.(١)

ومن صفاتهم: أنهم يكفرون بالذنب، ولو لم يكن كفرا، ويستحلون دماء المسلمين، وسيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله تعالى.

وكان أول ظهورهم في زمن رسول الله ﷺ، عندما طعن ذو الخويصرة، التميمي بقسمة رسول الله ﷺ وقال: وَاللهِ، إِنَّ هَذِهِ لَقِسْمَةٌ مَا عُدِلَ فِيهَا وَمَا أُرِيدَ فِيهَا وَجْهُ الله، قَالَ ابن مسعود رضي الله عنه: فَقُلْتُ: وَاللهِ، لَأُخْبِرَنَّ رَسُولَ الله ﷺ، قَالَ: فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ، قَالَ: فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ حَتَّى كَانَ كَالصِّرْفِ، ثُمَّ قَالَ: «**فَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ يَعْدِلِ اللهُ وَرَسُولُهُ**». الحديث. رواه البخاري (٣١٥٠)، ومسلم (١٠٦٢).

وعن علي رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ: «**يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، لَيْسَ قِرَاءَتُكُمْ إِلَى قِرَاءَتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا صَلَاتُكُمْ إِلَى صَلَاتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا صِيَامُكُمْ إِلَى صِيَامِهِمْ بِشَيْءٍ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ يَحْسِبُونَ أَنَّهُ لَهُمْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ، لَا تُجَاوِزُ صَلَاتُهُمْ تَرَاقِيَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ**» رواه مسلم (١٠٦٦).

---

(١) الملل والنحل (ج١/ ص١١٤).

قوله: (**رَأي الخَوارجِ إنَّهُ مَقَالٌ لِمَنْ يهواهُ**): أي: يحبه ويتبعه، (**يُرْدِي**): أي: يهلك من قال به، لأن فيه استحلال دماء المسلمين، وأموالهم والخروج على ولاة أمورهم، **قوله:** (**ويَفْضَحُ**): أي: يكشف مساوئ صاحبه.

ومن عقائد الخوارج:

الأمر الأول: التكفير بالذنب وإن لم يكن مخرجا من الملة.

وأهل السنة لا يكفرون أحدا من أهل القبلة بكل ذنب، فمن وقع في ذنب دون الشرك كالقتل وشرب الخمر، ولم يعتقد أنه حلال فلا يحكمون بكفره كما تفعله الخوارج.

ومن الأدلة على عدم تكفير مرتكب الكبيرة: قوله تعالى في حق القتل: ﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ﴾ [البقرة:١٧٨] فسماه أَخًا.

وقوله ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحُجرات:١٠]

وجه الدلالة: أن الله عز وجل أثبت الأخوة الإيمانية مع الاقتتال وهو من الكبائر، ولو كان كفرًا؛ لانتفت الأخوة الإيمانية. وعَنْ أَبِي بَكْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا، فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ**» رواه البخاري (٣١)، ومسلم (٢٨٨٨).

فسماهم مسلمين مؤمنين إخوة مع اقتتالهم. **قال الإمام ابن تيمية** رحمه الله: وأئمة المسلمين أهل المذاهب الأربعة وغيرهم، مع جميع الصحابة والتابعين لهم بإحسان،

متفقون على أن المؤمن لا يكفر بمجرد الذنب كما تقوله الخوارج ؛ ولا يسلب جميع الإيمان كما تقوله المعتزلة.اهـ. (١)

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: وَقَدْ ثَبَتَ الزِّنَا وَالسَّرِقَةُ وَشُرْبُ الْخَمْرِ عَلَى أُنَاسٍ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ وَلَمْ يَحْكُمْ فِيهِمْ حُكْمَ مَنْ كَفَرَ وَلَا قَطَعَ الْمُوَالَاةَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ بَلْ جَلَدَ هَذَا وَقَطَعَ هَذَا وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَسْتَغْفِرُ لَهُمْ وَيَقُولُ: لَا تَكُونُوا أَعْوَانَ الشَّيْطَانِ عَلَى أَخِيكُمْ وَأَحْكَامُ الْإِسْلَامِ كُلُّهَا مُرَتَّبَةٌ عَلَى هَذَا الْأَصْلِ.اهـ. (٢)

وقد حذر النبي ﷺ من الحكم بالكفر على من لا يستحقه، فعَنْ ابن عمر رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا، إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ، وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ**» رواه البخاري (٦١٠٤) ومسلم (٦٠).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: وإذا عرف أصل البدع فأصل قول الخوارج أنهم يكفرون بالذنب، ويعتقدون ذنبا ما ليس بذنب، ويرون اتباع الكتاب دون السنة التي تخالف ظاهر الكتاب - وإن كانت متواترة - ويكفرون من خالفهم ويستحلون منه لارتداده عندهم ما لا يستحلونه من الكافر الأصلي كما قال النبي ﷺ فيهم «**يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان**» ولهذا كفروا عثمان وعليا وشيعتهما؛ وكفروا أهل صفين - الطائفتين - في نحو ذلك من المقالات الخبيثة.اهـ. (٣)

الأمر الثاني: استحلال دماء المسلمين:

---

(١) مجموع الفتاوى (٦ / ٤٧٩).

(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٦٧١).

(٣) مجموع الفتاوى (٣ / ٣٥٥)

فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، رضي الله عنه قَالَ: بَعَثَ عَلِيٌّ وَهُوَ بِاليَمَنِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِذُهَيْبَةٍ فِي تُرْبَتِهَا، فَقَسَمَهَا بَيْنَ الأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ الحَنْظَلِيِّ، ثُمَّ أَحَدِ بَنِي مُجَاشِعٍ، وَبَيْنَ عُيَيْنَةَ بْنِ بَدْرٍ الفَزَارِيِّ وَبَيْنَ عَلْقَمَةَ بْنِ عُلاَثَةَ العَامِرِيِّ، ثُمَّ أَحَدِ بَنِي كِلاَبٍ وَبَيْنَ زَيْدِ الخَيْلِ الطَّائِيِّ، ثُمَّ أَحَدِ بَنِي نَبْهَانَ، فَتَغَيَّظَتْ قُرَيْشٌ وَالأَنْصَارُ فَقَالُوا: يُعْطِيهِ صَنَادِيدَ أَهْلِ نَجْدٍ، وَيَدَعُنَا قَالَ: «**إِنَّمَا أَتَأَلَّفُهُمْ**» ، فَأَقْبَلَ رَجُلٌ غَائِرُ العَيْنَيْنِ، نَاتِئُ الجَبِينِ، كَثُّ اللِّحْيَةِ، مُشْرِفُ الوَجْنَتَيْنِ، مَحْلُوقُ الرَّأْسِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، اتَّقِ اللهَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «**فَمَنْ يُطِيعُ اللهَ إِذَا عَصَيْتُهُ، فَيَأْمَنُنِي عَلَى أَهْلِ الأَرْضِ، وَلاَ تَأْمَنُونِي**» ، فَسَأَلَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ قَتْلَهُ، أُرَاهُ خَالِدَ بْنَ الوَلِيدِ، فَمَنَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَلَمَّا وَلَّى، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا، قَوْمًا يَقْرَءُونَ القُرْآنَ، لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلاَمِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلاَمِ، وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ، لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ**» رواه البخاري (٧٤٣٢) ومسلم (١٠٦٤).

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله: فهؤلاء أصل ضلالهم:

* اعتقادهم في أئمة الهدى وجماعة المسلمين أنهم خارجون عن العدل وأنهم ضالون وهذا مأخذ الخارجين عن السنة من الرافضة ونحوهم.

* ثم يعدون ما يرون أنه ظلم عندهم كفرا.

* ثم يرتبون على الكفر أحكاما ابتدعوها.

فهذه ثلاث مقامات للمارقين من الحرورية والرافضة ونحوهم، في كل مقام تركوا بعض أصول دين الإسلام حتى مرقوا منه كما مرق السهم من الرمية. وفي

الصحيحين في حديث أبي سعيد: «**يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان؛ لئن أدركتهم لأقتلهم قتل عاد**» وهذا نعت سائر الخارجين كالرافضة ونحوهم؛ فإنهم يستحلون دماء أهل القبلة لاعتقادهم أنهم مرتدون أكثر مما يستحلون من دماء الكفار الذين ليسوا مرتدين؛ لأن المرتد شر من غيره.اهـ. (١)

الأمر الثالث: إنكار الشفاعة لأهل الكبائر بناء على أصلهم الفاسد وهو الحكم بكفر صاحب الكبيرة وإن لم تبلغ حد الكفر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: وأما الخوارج والمعتزلة: فإنهم أنكروا شفاعة نبينا ﷺ في أهل الكبائر من أمته وهؤلاء مبتدعة ضلال مخالفون للسنة المستفيضة عن النبي ﷺ ولإجماع خير القرون.اهـ. (٢)

حكم الخوارج:

اختلف السلف في الحكم على الخوارج، هل هم بغاة، أم مرتدون؟

قال الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: فإن الأمة متفقون على ذم الخوارج وتضليلهم وإنما تنازعوا في تكفيرهم. على قولين مشهورين في مذهب مالك وأحمد وفي مذهب الشافعي أيضا نزاع في كفرهم.

ولهذا كان فيهم وجهان في مذهب أحمد وغيره على الطريقة الأولى:

أحدهما: أنهم بغاة.

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٨ / ٤٩٧)

(٢) مجموع الفتاوى» (٢٤ / ٣٤١).

والثاني: أنهم كفار كالمرتدين يجوز قتلهم ابتداء وقتل أسيرهم واتباع مدبرهم ومن قدر عليه منهم استتيب كالمرتد فإن تاب وإلا قتل.

كما أن مذهبه في مانعي الزكاة إذا قاتلوا الإمام عليها هل يكفرون مع الإقرار بوجوبها؟

على روايتين وهذا كله مما يبين أن قتال الصديق لمانعي الزكاة وقتال علي للخوارج ليس مثل القتال يوم الجمل وصفين.

فكلام علي وغيره في الخوارج يقتضي أنهم ليسوا كفارا كالمرتدين عن أصل الإسلام وهذا هو المنصوص عن الأئمة كأحمد وغيره وليسوا مع ذلك حكمهم كحكم أهل الجمل وصفين بل هم نوع ثالث. وهذا أصح الأقوال الثلاثة فيهم.اهـ. (١)

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٥١٨).

بدعة الإرجاء

٢٩. ولا تَــكُ مُرْجِيـًا لَعُوبًا بِدِينِـهِ ..... ألا إنَّمَا المُرْجِيُّ بالدِّينِ يَمْـزَحُ

قوله: (**ولا تَــكُ**): أي: احذر أن تكون. (**مُرْجِيـًا**): أي: من المرجئة.

والمرجئة: اسم فاعل من أرجَأ؛ بمعنى: أخر، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ﴾ [الأعراف: ١١١]، وفي قراءة: (أرجئه)؛ أي: أخره وأخر أمره.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: والمرجئة بضم الميم وكسر الجيم بعدها ياء مهموزة ويجوز تشديدها بلا همز، نسبوا إلى الإرجاء وهو التأخير؛ لأنهم أخروا الأعمال عن الإيمان، **فقالوا:** الإيمان هو التصديق بالقلب فقط، ولم يشترط جمهورهم النطق، وجعلوا للعصاة اسم الإيمان على الكمال، وقالوا لا يضر مع الإيمان ذنب أصلا، ومقالاتهم مشهورة في كتب الأصول.اهـ.(١)

وقال العلامة العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: ويقولون: إن فاعل الكبيرة كالزاني والسارق وشارب الخمر وقاطع الطريق لا يستحق دخول النار لا دخولًا مؤبَّدًا ولا مؤقتًا؛ فلا يضر مع الإيمان معصية؛ مهما كانت صغيرة أم كبيرة؛ إذا لم تصل إلى حد الكفر. أو ترك ما ترك من الطاعات، وإذا حكمنا بكفر من ترك بعض شرائع الدين فذلك لعدم الإقرار بقلبه لا لترك هذا العمل، وهذا مذهب الجهمية وهو مع مذهب الخوارج على طرفي نقيض.اهـ.(٢)

والذي تدل عليه الأدلة: أن الذنوب تضر على كل حال، منها ما يزيل الإيمان

---

(١) الفتح (١/ ١١٠).

(٢) شرح العقيدة الواسطية للعثيمين (٢/ ٦٩)، ومجموع فتاواه (٥/ ٩٢).

بالكلية، ومنها ما لا يزيله بالكلية بل ينقصه وصاحبها معرض للوعيد المرتب عليها.

ومن أدلة ذلك: قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨]

وأن المؤمن لا يستوي مع الفاسق: ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ٢١﴾ [الجاثية:٢١]

ومما يدل على تأثير الذنوب على الإيمان:

قول الله تعالى ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا ٩٣﴾ [النساء:٩٣]

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧٥﴾ [البقرة:٢٧٥]

وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٧٨ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ٢٧٩﴾ [البقرة:٢٧٩]

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ١٠﴾ [النساء:١٠]

فقول المرجئة: يؤدي إلى التكذيب بآيات الوعيد والأحاديث الواردة في حق العصاة من هذه الأمة وأن طوائف منهم يدخلون النار ثم يخرجون منها بالشفاعة أو بغيرها.

والخوارج على نقيض المرجئة: فإنهم يقولون: يكفر المسلم بكل ذنب، أو بكل ذنب كبير، ويخرجونه من الإيمان إلى الكفر.

والمعتزلة يقولون يحبط إيمانه كله بالكبيرة، فلا يبقى معه شيء من الإيمان، ويكون في منزلة بين منزلتين لا مؤمن ولا كافر.

وأهل الحق أهل السنة والجماعة وسط بين هذه الفرق.

قال الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الفرقة الناجية - أهل السنة والجماعة - يؤمنون بذلك كما يؤمنون بما أخبر الله به في كتابه العزيز من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل؛ بل هم الوسط في فرق الأمة كما أن الأمة هي الوسط في الأمم. فهم وسط في باب صفات الله سبحانه وتعالى بين أهل التعطيل الجهمية؛ وأهل التمثيل المشبهة.

❁ وهم وسط في باب أفعال الله تعالى بين القدرية والجبرية.

❁ وفي باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية: من القدرية وغيرهم.

❁ وفي باب أسماء الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة وبين المرجئة والجهمية. ❁ وفي أصحاب رسول الله ﷺ بين الروافض والخوارج.اهـ. (١)

قوله: (**ولا تَـكُ مُرْجِيًّا لَعُوبًا بِدِينِهِ**): لأن مذهب الإرجاء تلاعب بالدين، يكون العبد عندهم مؤمنا ولو ترك جميع الواجبات وارتكب جميع المحرمات.

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ١٤١).

قوله: (**أَلا إِنَّمَا الْمُرْجِيُّ بِالدِّينِ يَمْزَحُ**): أي: أن المرجئة يلعبون بالدِّين؛ لأنهم عطلوا الأوامر والنواهي، فالإيمان عندهم شيء واحد لا يتجزأ، فلا يزيد ولا ينقص، ولا يصح الاستثناء فيه، وأعمال الجوارح ليست من الإيمان، فلا كفر يقع بالجوارح، ومعصية الله بالجوارح لا تكدر صفو الإيمان. عياذا بالله رب العالمين من زيغ القلوب.

والمرجئة أصناف ثلاثة:

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: **المرجئة ثلاثة أصناف.**

صنف قالوا: الإيمان مجرد ما في القلب وهما نوعان:

الأول: من يدخل أعمال القلوب وهم أكثر فرق المرجئة.

والثاني: من لا يدخلها وهم الجهمية وأتباعهم كالأشعري، لكن الأشعري يثبت الشفاعة في أهل الكبائر.

والصنف الثاني: قالوا: الإيمان مجرد قول اللسان. وهم الكرامية، ولا يعرف لأحد قبلهم، وهؤلاء يقولون: إن المنافق مؤمن، ولكنه مخلد في النار.

الثالث: قالوا: إنه تصديق القلب وقول اللسان. وهم أهل الفقه والعبادة من المرجئة، ومنهم أبو حنيفة وأصحابه.اهـ. (١)

قلت: وهذا التفصيل ذكره قبله شيخ الإسلام. (٢)

فأما الصنف الأول الذين جعلوا الإيمان ما في القلب فحسب فهؤلاء الجهمية .

وقولهم هذا باطل: لأن من لم ينطق بكلمة التوحيد مع القدرة فهو كافر

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٧/ ٢٤٠)

(٢) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٧/ ٢٤٠)

بالاتفاق، لقول النبي ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ، وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ**» رواه البخاري (١٣٩٩) ومسلم (٢١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ولازم قولهم أن فرعون لم يكن كافرا؛ لأنه كان يعترف بقلبه، قال الله تعالى: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾﴾[الإسراء:١٠٢] وقال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ [النمل:١٤]

وقال سبحانه عن كفار قريش: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾[الأنعام:٣٣]

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله: فأما الشهادتان إذا لم يُتكلم بهما مع القدرة فهو كافر باتفاق المسلمين ا.هـ. (١)

وأما الصنف الثاني من المرجئة: وهم الذين جعلوا الإيمان مجرد القول وهم الكرامية، فقولهم باطل أيضا؛ لأن من لم يوجد في قلبه عمل القلب من أصل الخوف والرجاء والحب والتوكل فليس بمؤمن بالاتفاق.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: وها هنا أصل آخر: وهو أن حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل. **والقول قسمان**: قول القلب وهو الاعتقاد وقول اللسان وهوالتكلم بكلمة الإسلام، **والعمل قسمان**: عمل القلب وهو نيته وإخلاصه، وعمل الجوارح.

فإذا زالت هذه الأربعة زال الإيمان بكماله وإذا زال تصديق القلب لم تنفع بقية

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٦٠٩)

الأجزاء فإن تصديق القلب شرط في اعتقادها وكونها نافعة، وإذا زال عمل القلب مع اعتقاد الصدق فهذا موضع المعركة بين المرجئة وأهل السنة.

فأهل السنة مجمعون على زوال الإيمان وأنه لا ينفع التصديق مع انتفاء عمل القلب، وهومحبته وانقياده كما لم ينفع إبليس وفرعون وقومه واليهود والمشركين الذين كانوا يعتقدون صدق الرسول ﷺ بل ويقرون به سرا وجهرا ويقولون ليس بكاذب ولكن لا نتبعه ولا نؤمن به.ا.هـ.(١)

ونقل أيضًا الاتفاق شيخه **شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ حيث قال: فإن كثيرا ممن تكلم في مسألة الإيمان هل تدخل فيه الأعمال؟ وهل هو قول وعمل؟ يظن أن النزاع إنما هو في أعمال الجوارح وأن المراد بالقول قول اللسان وهذا غلط؛ بل القول المجرد عن اعتقاد الإيمان ليس إيمانا باتفاق المسلمين؛ فليس مجرد التصديق بالباطن هو الإيمان عند عامة المسلمين إلا من شذ من أتباع جهم والصالحي وفي قولهم من السفسطة العقلية والمخالفة في الأحكام الدينية أعظم مما في قول ابن كرام إلا من شذ من أتباع ابن كرام وكذلك تصديق القلب الذي ليس معه حب لله ولا تعظيم بل فيه بغض وعداوة لله ورسله ليس إيمانا باتفاق المسلمين.اهـ. (٢)

وأما الصنف الثالث: وهم الذين جعلوا الإيمان اعتقاد القلب وقول اللسان وهم مرجئة الفقهاء. **وتقدمت الأدلة الدالة على أن الأعمال من الإيمان.**

والنبي ﷺ قال: «**أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**» أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم

(١) كتاب الصلاة (ص ٥٤ـ٥٦).

(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٥٥٠)

(١٥٩٩)، عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

فإذا كان في القلب أصل الخوف والرجاء والمحبة فعاش زمناً ولا مانع من العمل ، فلا بد أن يظهر أثر هذا الصلاح على الجوارح بمقدار ما في القلب وإلا صار القلب خالياً من أصل الخوف والمحبة والرجاء.

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله: ومن الممتنع أن يكون الرجل مؤمناً إيماناً ثابتاً في قلبه بأن الله فرض عليه الصلاة والزكاة والصيام والحج ويعيش دهره لا يسجد لله سجدة ولا يصوم من رمضان ولا يؤدي زكاة ، ولا يحج إلى بيته ، فهذا ممتنع ولا يصدر هذا إلا مع نفاق في القلب وزندقة ، لا مع إيمان صحيح ا.هـ. (١)

وقال أيضا: ثم القلب هو الأصل فإذا كان فيه معرفة وإرادة سرى ذلك إلى البدن بالضرورة، لا يمكن أن يتخلف البدن عما يريده القلب - ثم ذكر حديث النعمان ... وقال: فإذا كان القلب صالحًا بما فيه من الإيمان علمًا وعملًا قلبيًّا لزم ضرورة صلاح الجسد بالقول الظاهر والعمل بالإيمان المطلق. ا.هـ. (٢)

وقال أيضا: وهنا أصول تنازع الناس فيها. **منها**: أن القلب هل يقوم به تصديق أو تكذيب ولا يظهر قط منه شيء على اللسان والجوارح وإنما يظهر نقيضه من غير خوف؟ **فالذي عليه السلف والأئمة وجمهور الناس** أنه لا بد من ظهور موجب ذلك على الجوارح فمن قال: إنه يصدق الرسول ويحبه ويعظمه بقلبه ولم يتكلم قط بالإسلام ولا فعل شيئا من واجباته بلا خوف فهذا لا يكون مؤمنا في الباطن؛ وإنما هو كافر.اهـ. (٣)

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٦١١)

(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ١٨٧)

(٣) مجموع الفتاوى (١٤/ ١٢٠)

الإيمان قول وعمل واعتقاد

٣٠. وقُــلْ إنَّما الإيمــانُ قَـوْلٌ ونيَّـةٌ ..... وِفعْلٌ عَلَى قَـولِ النبيِّ مُصَرَّحُ

قوله: (**وقُــلْ**): أيها السني المتبع لسبيل سلف الأمة. (**إنَّما الإيمــانُ قَـوْلٌ ونيَّـةٌ وِفعْلٌ**): الإيمان **لغة**: الإقرار.

واصطلاحا: الإيمان اعتقاد بالقلب وقول باللسان، وعمل بالجوارح، يزيد وينقص. وأما تفسير الإيمان بالتصديق فحسب، فمنتقد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: تفسيره أي: الإيمان، بلفظ الإقرار أقرب من تفسيره بلفظ التصديق.اهـ. وقال: ومعلوم أن الإيمان هو الإقرار لا مجرد التصديق.اهـ. (١)

ومعناه أن الإقرار يتضمن معنى زائد، ولذا **قال العلامة العثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: الإيمان في اللغة: يقول كثير من الناس: إنه التصديق، فصدقت وآمنت معناهما لغة واحد.

وقد سبق لنا في التفسير أن هذا القول لا يصح بل الإيمان في **اللغة**: الإقرار بالشيء عن تصديق به، بدليل أنك تقول: آمنت بكذا وأقررت بكذا وصدقت فلانا ولا تقول: آمنت فلانًا. إذًا فالإيمان يتضمن معنى زائدًا على مجرد التصديق، الإقرار والاعتراف المستلزم للقبول للأخبار والإذعان للأحكام، هذا الإيمان، أما مجرد أن تؤمن بأن الله موجود، فهذا ليس بإيمان، حتى يكون هذا الإيمان مستلزما للقبول في الأخبار والإذعان في الأحكام، وإلا، فليس إيمانا.اهـ. (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٦٣٨، ٢٩١).

(٢) شرح الواسطية (ص: ٥٤).

ولهذا قال (عَلَى قَـولِ النبيِّ مُصَرَّحُ): أي: **تدل الأدلة على ذلك دلالة صريحة**، أن الإيمان قول باللسان ، وعمل بالجوارح ، واعتقاد بالقلب، ومن أدلة ذلك:

حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ**» رواه مسلم (٣٥) بهذا اللفظ، وفي البخاري (٩) بأخصر منه.

والأعمال داخلة في الإيمان، ومن أدلة ذلك:

❁ قول الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾ [البيِّنة:٥]

❁ وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ١٥﴾ [الحُجُرات:١٥]

❁ وقوله سبحانه، في الصلاة التي صلاها المسلمون إلى بيت المقدس ومات من مات قبل نسخ القبلة: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ﴾ [البقرة:١٤٣] أي: صلاتكم إلى بيت المقدس.

❁ وحديث ابن عباس رضي الله عنهما في وفد عبد القيس: أن النبي ﷺ «**أَمَرَهُمْ بِالْإِيمَانِ بِاللهِ وَحْدَهُ**»، وَقَالَ: «**هَلْ تَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللهِ؟**» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَأَنَّ تُؤَدُّوا خُمُسًا مِنَ الْمَغْنَمِ**» رواه البخاري (٥٣)، ومسلم (١٧).

قال الإمام الآجري رَحِمَهُ اللَّهُ: اعلموا رحمنا الله وإياكم أن الذي عليه علماء المسلمين : أن الإيمان واجب على جميع الخلق وهو تصديق بالقلب وإقرار بالسان وعمل بالجوارح ا.هـ. وحكى الإجماع ابن عبد البر وأبو عمرو الطلمنكي كما نقله ابن تيمية. (١)

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: وَقَدْ حَكَى غَيْرُ وَاحِدٍ إجْمَاعَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ عَلَى أَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ. قَالَ أَبُو عُمَرَ بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي التَّمْهِيدِ: أَجْمَعَ أَهْلُ الْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ عَلَى أَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَلَا عَمَلَ إلَّا بِنِيَّةٍ وَالْإِيمَانُ عِنْدَهُمْ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ وَالطَّاعَاتُ كُلُّهَا عِنْدَهُمْ إيمَانٌ إلَّا مَا ذُكِرَ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَصْحَابِهِ فَإِنَّهُمْ ذَهَبُوا إلَى أَنَّ الطَّاعَةَ لَا تُسَمَّى إيمَانًا قَالُوا إنَّمَا الْإِيمَانُ التَّصْدِيقُ وَالْإِقْرَارُ وَمِنْهُمْ مَنْ زَادَ الْمَعْرِفَةَ.اهـ. (٢)

٣١. ويَنْقُصُ طَـوْرًا بالمعَاصِي وَتَـارةً ..... بطَاعَتِهِ يَنْمِي وفي الوَزنِ يَرْجَحُ

قوله: (**ويَنْقُصُ طَـوْرًا بالمعَاصِي**): أي: أن الإيمان ينقص أحيانا، بالمعاصي، فإنها تضعف الإيمان، (**وَتَـارةً بطَاعَتِهِ يَنْمِي**): وتارة يزيد بالطاعة، ومن أدلة ذلك:

قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ [الأنفال: ٢]

وقوله سبحانه: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾ [المدَّثر: ٣١]

وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾

(١) التمهيد (٩/ ٢٣٨) والشريعة (٢ / ٦١١) ومجموع الفتاوى (٧ / ٣٣٠ ، ٣٣٢) .

(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٣٣٠)

[الفتح:٤] وحديث أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ**». رواه مسلم (٤٩).

وحديث أَبِي سَعِيدٍ أيضا، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ فِي أَضْحَى أَوْ فِطْرٍ إِلَى الْمُصَلَّى، فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ، فَقَالَ: «**يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ**» فَقُلْنَ: وَبِمَ يَا رَسُولَ اللهَّ؟ قَالَ: «**تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ العَشِيرَ، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ**»، قُلْنَ: وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللهَّ؟ قَالَ: «**أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ**» قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: «**فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا، أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ**» قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: «**فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا**». رواه البخاري (٣٠٤)، ومسلم (٧٩).

وهذا فيه رد على المرجئة الذين يقولون الإيمان لا يزيد ولا ينقص وأهله في أصله سواء، وهذا قول باطل ترده الأدلة.

قوله: (**وفي الوَزنِ يَرْجَحُ**): أي: يرجح في الميزان يوم القيامة، ويثقل ميزان العبد بالطاعات. **فالإيمان يتفاضل. قال شيخ الإسلام** رحمه الله: والذي مضى عليه سلف الأمة وأئمتها: أن نفس الإيمان الذي في القلوب يتفاضل كما قال النبي ﷺ « **أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان**»... وأما عامة السلف والأئمة فعندهم أن إيمان العباد لا يتساوى بل يتفاضل وإيمان السابقين الأولين أكمل من إيمان أهل الكبائر المجرمين.اهـ. (١)

(١) مجموع الفتاوى (٦/ ٤٧٩، ٤٨٠)

السنة لا تعارض بالآراء

٣٢. وَدَعْ عنكَ آراءَ الرِّجالِ وَقولَهُم .... فَقَولُ رَسُولِ اللهِ أَزكى وَأَشْرَحُ

قوله: (**وَدَعْ عنكَ آراءَ الرِّجالِ**): اترك آراء الرجال، ولا تعارض بها الحق.

قال عَليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه: **لو كانَ الدينُ بالرَّأي لكانَ أسفَلُ الخُفِّ أولى بالمَسحِ مِن أعلاه، وقد رأيتُ رسولَ الله ﷺ يَمسَحُ على ظاهِرِ خُفَّيهِ**. رواه أبو داود وهو في الصحيح المسند (٩٦٧)، وصحيح أبي داود (١٥٣)

قوله: (**وَقولَهُم**): المخالف للأدلة الشرعية. قال الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور:٦٣]

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: أي: فليحذر وليخش من خالف شريعة الرسول باطنا أو ظاهرا ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي: في قلوبهم، من كفر أو نفاق أو بدعة، ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ أي: في الدنيا، بقتل، أو حد، أو حبس، أو نحو ذلك.اهـ. (١)

وقال الإمام الأوزاعي رحمه الله: عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوه لك بالقول، فإن الأمر ينجلي وأنت على طريق مستقيم.اهـ. (٢)

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: ومن أحالك على غير أخبرنا وحدثنا فقد أحالك: إما على خيال صوفي، أو قياس فلسفي. أو رأي نفسي. فليس بعد القرآن وأخبرنا

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٩٠).

(٢) أخرجه الآجري في الشريعة (١٢٧) بإسناد حسن.

وحدثنا إلا شبهات المتكلمين. وآراء المنحرفين، وخيالات المتصوفين، وقياس المتفلسفين. ومن فارق الدليل، ضل عن سواء السبيل. ولا دليل إلى الله والجنة، سوى الكتاب والسنة. وكل طريق لم يصحبها دليل القرآن والسنة فهي من طرق الجحيم، والشيطان الرجيم. والعلم ما قام عليه الدليل. والنافع منه: ما جاء به الرسول ﷺ.اهـ. (١)

(فَقْولُ رَسُولِ الله): الثابت عنه. (أَزكى): أطهر، وأنقى، وأصلح.

(وَأَشْـرَحُ): للصدر، وأعظمه اطمئنانا.

قال الله عز وجل: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام:١٢٢]

وقال عز وجل: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الزُّمَر:٢٢]

وهو الذي نسأل عنه يوم القيامة:

قال الله سبحانه: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾﴾[القصص:٦٥]

قال الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: وأما أقوال بعض الأئمة كالفقهاء الأربعة وغيرهم؛ فليس حجة لازمة ولا إجماعا باتفاق المسلمين بل قد ثبت عنهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أنهم نهوا الناس عن تقليدهم؛ وأمروا إذا رأوا قولا في الكتاب والسنة أقوى من قولهم: أن يأخذوا بما دل عليه الكتاب والسنة ويدعوا أقوالهم.اهـ. (٢)

وقال الحافظ ابن عبد البَرّ رَحِمَهُ اللَّهُ: ولا خلاف بين أئمة الأمصار في فساد

(١) مدارج السالكين (٢/ ٤٣٩)

(٢) مجموع الفتاوى (٢٠/ ١٠)

التقليد.اهـ.(١)

وذكر **الإمام ابن القيم** رَحِمَهُ اللَّهُ أنواع التقليد فقال: ذكر تفصيل القول في التقليد وانقسامه إلى ما يحرم القول فيه والإفتاء به وإلى ما يجب المصير إليه وإلى ما يسوغ من غير إيجاب. فأما النوع الأول (ما يحرم القول به) **فهو ثلاثة أنواع:**

أحدها: الإعراض عما أنزل الله وعدم الالتفات إليه اكتفاء بتقليد الآباء.

الثاني: تقليد من لا يعلم المقلد أنه أهل لأن يؤخذ بقوله.

الثالث: التقليد بعد قيام الحجة وظهور الدليل على خلاف قول المقلد.

والفرق بين هذا وبين النوع الأول:

أن الأول قلد قبل تمكنه من العلم والحجة وهذا قلد بعد ظهور الحجة له فهو أولى بالذم ومعصية الله ورسوله.

وقد ذم الله سبحانه هذه الأنواع الثلاثة من التقليد في غير موضع من كتابه كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠]

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ﴾[الزخرف: ٢٣ - ٢٤] ...

وأما تقليد من بذل جهده في اتباع ما أنزل الله وخفي عليه بعضه، فقلد فيه من هو أعلم منه فهذا محمود غير مذموم ومأجور غير مأزور كما سيأتي بيانه عند ذكر التقليد الواجب والسائغ إن شاء الله....**قال:** العالم قد يزل ولا بد، إذ ليس

(١) إعلام الموقعين (٤٢٨).

بمعصوم، فلا يجوز قبول كل ما يقوله وينزل قوله منزلة قول المعصوم، فهذا الذي ذمه كل عالم على وجه الأرض، وحرموه وذموا أهله، وهو أصل بلاء المقلدين وفتنتهم، فإنهم يقلدون العالم فيما زل فيه وفيما لم يزل فيه، وليس لهم تمييز بين ذلك فيأخذون الدين بالخطأ ولا بد، فيحلون ما حرم الله ويحرمون ما أحل الله، ويشرعون ما لم يشرع ولا بد لهم من ذلك، إذ كانت العصمة منتفية عمن قلدوه فالخطأ واقع منه ولا بد ...

ومن المعلوم أن المخوف في زلة العالم تقليده فيها إذ لولا التقليد لم يخف من زلة العالم على غيره، **فإذا عرف أنها زلة لم يجز له أن يتبعه فيها باتفاق المسلمين** فإنه اتباع للخطأ على عمد ومن لم يعرف أنها زلة فهو أعذر منه وكلاهما مفرط فيما أمر به.اهـ.[(١)]

(١) إعلام الموقعين (٤٢٢،٤٢٣)

التحذير من القدح في أهل الحديث

٣٣. وَلا تَكُ مِـن قـوْمٍ تَلَهَّـوْ بِدِينِهِـم .... فَتَطْعـنَ فِي أَهَلِ الحَدِيثِ وتَقْـدَحُ

قوله: (**وَلا تَكُ مِـن قـوْمٍ تَلَهَّـوْ بِدِينِهِـم**): أي: احذر أن تكون مع من اتخذ دينه لعبا ولهوا، من أهل البدع والأهواء، المعارضين للسنن، المخالفين للحق، الصادين عنه.

قوله: (**فَتَطْعـنَ فِي أَهَلِ الحَدِيثِ وتَقْـدَحُ**): هذه من صفات أهل البدع والانحراف، الطعن في أهل الحديث، والوقيعة في أعراضهم، بالذم والغيبة والتنقص. وإذا كان الطعن والقدح محرما في حق أي: مسلم بغير حق، فكيف بحملة الدين، وورثة النبيين.

قال قتيبة بن سعيد رَحِمَهُ اللَّهُ: إذا رأيتَ الرجُلَ يُحِبُّ أهلَ الحديثِ- مثل يحيى بن سعيد القطَّان، وعبد الرحمن بن مهدي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وذكر قومًا آخرين - فإنه على السُّنَّةِ، ومن خَالَفَ هذا فاعلم أنه مُبْتَدِعٌ. أخرجه الخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث (ص:٧١) بإسناد صحيح.

وقال أحمد بن سنان القطان رَحِمَهُ اللَّهُ: ليس في الدنيا مُبْتَدِعٌ إلا وهو يُبغِضُ أهلَ الحديث، واذا ابتدَعَ الرجلُ نُزِعَ حلاوةُ الحديثِ من قَلْبِهِ. أخرجه الخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث (ص: ٧٣) بإسناد صحيح.

قال الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: عن الطبراني، قال: أنشدنا محمد بن موسى بن حماد

لمحمد بن عبد الله بن طاهر[١]:

أضحى ابن حنبل محنة مرضية ..... وبحب أحمد يعرف المتنسك

وإذا رأيت لأحمـــد متنقصًـــا ..... فاعـــلم بأن ستوره ستهتك.

وقال الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: أهلُ الحديث هم المنتسبون إليه اعتقادًا وفقهًا وعملاً، كما أن أهل القرآن كذلك، سواء رَوَوا الحديث أو لم يَروُوه، بحيث يدخلُ في مثل هذه العبارة اسم التابعين وتابعيهم، كالفقهاء السبعة: سعيد بن المسيب وذَوِيْه، وعلقمة والأسود وطبقتهما، وعطاء وطاوس ومجاهد والحسن وابن سيرين والنخعي، والزهري ومكحول ويحيى بن سعيد وأيوب السختياني وابن عون ويونس بن عبيد ومالك والحمادَيْن والسفيانَين والشافعي وأحمد وإسحاق والفضيل بن عياض وبشر بن الحارث.اهـ.[٢]

فعلامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر، كما قال أبو حاتم الرازي. **وقال الإمام ابن القيم** في الكافية الشافية (ص: ٢٨١):

يا مبغضا أهل الحديث وشاتما ... أبشر بعقد ولاية الشيطان

أو ما علمت بأنهم أنصـار ديـ ... ـن الله والإيمان والقرآن

أو ما علمت بأن أنصار الرسو ... ل هم بلا شك ولانكران

هل يبغض الأنصار عبد مؤمن ... أو مدرك لروائح الإيمان

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة (١١/ ٢٩٩)

(٢) جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس (٥/ ٧٥)

٣٤. إذا مَا اعْتَقَـدْتَ الدَّهْرَ يَا صَاحِ هذِه .... فَأَنْتَ عَلـى خَيْرٍ تَبِيتُ وتُصْبِحُ

قوله: (**إذا مَا اعتقـدْتَ**): **الاعتقاد:** الحكم الذهني الجازم فإن طابق الواقع فصحيح وإلا ففاسد.(١) **فقوله:** (**إذا مَا اعتقـدْتَ الدَّهْرَ**):أي: إذا كنت على هذا المعتقد الصحيح المؤيد بأدلة الكتاب والسنة، وتمسكت به على الدوام.

قوله: (**يا صَاحِ**): أي: يا صاحبي. (**هذِه**): إشارة إلى ما ذكره من أصول الاعتقاد ومسائله المهمة في هذه المنظومة.

قوله: (**فَأَنْتَ عَلـى خَيْرٍ تَبِيتُ وتُصْبِحُ**): أي: فأنت على خير ما دمت على هذا المعتقد الصحيح، تبيت على خير وتصبح على خير، ما دمت ثابتا حتى يأتيك الموت وأنت على ذلك. قال الله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٣٢﴾[البقرة:١٣٢] وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢]

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ**» رواه مسلم (١٨٤٤).

تم بحمد الله تعالى

(١) تعليق مختصر على لمعة الاعتقاد، للعلامة العثيمين.

الفهارس

المقدمة..... ٥

ترجمة مختصرة للناظم رحمه الله تعالى..... ٦
نسبة المنظومة إلى الإمام أبي بكر بن أبي داود..... ٨
وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة..... ١٢
واتباع الهدى شرط لصحة العبادة:..... ١٤
فائدة في الفرق بين الاتباع والتقليد:..... ١٦
ولا يشترط في الوقوع في البدعة ترك جميع السنة:..... ١٨
ومن أعظم أسباب الوقوع في البدع:..... ١٩
وجوب الانقياد للكتاب والسنة..... ٢٢
إقامة الدين لا يكون إلا بالقرآن والسنة جميعا:..... ٢٦
وجوب الإيمان بما ورد في الكتاب والسنة من الأسماء والصفات:..... ٢٨
صفة الكلام..... ٢٩
أولا: الأدلة على صفة الكلام:..... ٣١
ثانيا: الأدلة على أن القرآن كلام الله تعالى:..... ٣٣
رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة..... ٤٤
وتجلي الله تعالى لأوليائه، إنما يكون في الآخرة:..... ٤٥
وتنزيه الله عز وجل يكون عن ثلاثة أشياء:..... ٥٥
والناس في الرؤية على أربعة أقسام:..... ٥٧
حكم من أنكر الرؤية في الآخرة:..... ٥٨
صفة اليدين..... ٦٣

صفة النزول الإلهي ٦٨
مسألة ما الرد على من يقول: إن الذي ينزل إلى السماء الدنيا أمره؟ ٧٨
صفة العلو ٨٠
عقيدة أهل السنة في الصحابة ٨٦
ترجمة العشرة المشهود لهم بالجنة ٨٩
أبو بكر الصديق رضي الله عنه ٨٩
ترجمة عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ٩٠
ترجمة عثمان بن عفان رضي الله عنه ٩٣
ترجمة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ٩٥
ترجمة بقية العشرة المبشرين بالجنة رضي الله عنهم ١٠٠
ترجمة سعيد بن زيد رضي الله عنه ١٠٠
ترجمة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ١٠١
ترجمة عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ١٠٣
ترجمة طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه ١٠٤
ترجمة أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه ١٠٧
ترجمة الزبير بن العوام رضي الله عنه ١٠٨
الإيمان بالقدر ١١٦
الإيمان بفتنة القبر والحوض والميزان ١٢٥
الإيمان بالحوض ١٢٩
الإيمان بالميزان: ١٣١
خروج الموحدين من النار ١٣٥
الشفاعة ١٤٢
شروط الشفاعة: ١٥٢

الإيمان بعذاب القبر لمن يستحقه ١٥٣
صاحب الكبيرة مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ١٥٨
الإيمان بالعرش..... ١٦٢
بدعة الخوارج..... ١٦٥
حكم الخوارج: ١٦٩
بدعة الإرجاء..... ١٧١
الإيمان قول وعمل واعتقاد ١٧٨
السنة لا تعارض بالآراء..... ١٨٢
التحذير من القدح في أهل الحديث..... ١٨٦
الفهارس ١٨٩